

رقم الترتيب:

رقم التسلسل:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير

الفرع: الأدب العربي

التخصص: بلاغة وأسلوبية

إشراف: أ.د. أحمد موساوي

إعداد الطالب: سليم سعداني

الانزياح في الشعر الصوفي

رأية الأمير عبد القادر نموذجاً

نوقشت يوم: 2010/03/01

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

- 1- أ.د. مشري بن خليفة: أستاذ التعليم العالي بجامعة ورقلة رئيساً.
- 2- أ.د. أحمد موساوي: أستاذ التعليم العالي بجامعة ورقلة مشرفاً.
- 3- د. أحمد زغب: أستاذ محاضر (أ) بالمركز الجامعي الوادي عضواً مناقشاً.
- 4- د. العيد جلولي: أستاذ محاضر (أ) بجامعة ورقلة عضواً مناقشاً.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير

الفرع: الأدب العربي

التخصص: بلاغة وأسلوبية

إشراف: أ.د. أحمد موساوي

إعداد الطالب: سليم سعداني

الانزياح في الشعر الصوفي

رأية الأمير عبد القادر نموذجاً

نوقشت يوم: 2010/03/01

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

- أ.د. مشري بن خليفة: أستاذ التعليم العالي بجامعة ورقلة
- أ.د. أحمد موساوي: أستاذ التعليم العالي بجامعة ورقلة
- د. أحمد زغب: أستاذ محاضر (أ) بالمركز الجامعي الوادي
- د. العيد جلولي: أستاذ محاضر (أ) بجامعة ورقلة
- رئيساً
- مشرفاً
- عضواً مناقشاً
- عضواً مناقشاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاجْعَلْ عَقْدَةً مِنْ

لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

اللهم

أهدي هذا الجهد:

إلى والدي ووالدي الكريمة.

إلى زوجتي.

إلى روح أخي محمد، أسكنه الله فسيح جناته.

شكر وعرفان

أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان، أتقدم بها:

- إلى أستاذي المشرف الدكتور: أحمد موساوي، الذي يسّر كل عسير، وسهر على تمام هذا البحث.

- إلى أستاذي الموقر: مفتاح عبد الباقي، الذي تابع بحشي باهتمام، وزودني بآراء ساهمت في تمام هذا العمل.

- إلى كل من ساعدني بكلمة أو فكرة أو مرجع.

- إلى أولئك الذين ابتهلوا إلى الله سرّاً، وجهراً طالبين لي العون والتوفيق.

فאלلهم اجزهم عني خير الجزاء.

المقدمة

إن سؤالا ما يفتأ يراود صاحب البحث، وهو كيف يقدم لبحثه؟ كيف يمكن أن يوفق في تقديمه بين ما يرضيه كمرسلٍ، وفي الوقت نفسه يثير المتلقي، و الأهم من هذا وذاك كيف يمكن أن تخدم مقدّمته موضوعه، لا سيما إذا كان الموضوع ذا أبعاد متعدّدة، كموضوعنا هذا الذي يحمل بعدا أسلوبيا يتمثل في محور الانزياح، وبعدا صوفيا يتمثل في نوعية نصّ المدوّنة، وآخر تاريخيا يتعلّق بصاحب المدوّنة، (الأمير عبد القادر).

فهذه عناصر ثلاثة تتفاوت في درجة الأهميّة فالعنصر الأساس من بينها، هو عنصر الانزياح إنّه المحور الرئيس ، الذي يدور حوله البحث في كلّ فصل من فصوله، وإذا كانت كلّ الدّراسات الأسلوبية تُعدّه المميّز الأول للأسلوب، فإن بعضهم عدّه هو الأسلوب ذاته، من هؤلاء (فيلي سانديرس) الذي عدّ الأسلوبية علما خاصا بالانزياحات.

والذي يميّز دراسة الانزياح في هذا البحث، عن غيره من الدّراسات، كون دراستنا تحاول تقصّي هذه الظّاهرة الأسلوبية في نمط أدبي مختلف من حيث المرسل والرّسالة، والشّفرة؛ إنّه الخطاب الصّوفي، وحتّى يتمّ التّواصل السّليم، وجب على المتلقي التّزوّد بوسائل تمكّنه من فكّ شفرة هذا التّمط، فكأنّا في حاجة إلى قارئ (متلقي) مختلف كذلك.

هذا التّباين بين عناصر الرّسالة الأدبية كما سطرّها (رومان جكبسون) وعناصر الرّسالة الصوفية، ناتج عن اختلاف طبيعة النصّ الصّوفي الذي اخترناه كنمط للمدوّنة، وهذا الاختلاف نفسه هو الذي دعا كثيرا من الدّارسين في العصر الحديث والمعاصر للانكباب على الدّراسات المتنوّعة للخطاب الصّوفي إذ وجدته حقلا خصبا للعديد من التّطبيقات الأدبية والأسلوبية، ورغم كثافة هذه الدّراسات، لم نعثر بالتحديد على بحوث تناولت عنصر الانزياح في دراسة الخطاب الصّوفي، لكن لا بدّ أن نشير إلى دراسات قد سبقتنا تعرّضت لعناصر موضوعنا فمنها ما تعرض لشعر الأمير، و إن لم تتعرض إليه من

الناحية الأسلوبية، لكنها ناقشت شعر الأمير، وذلك من خلال ديوانه الذي حققه عدّة دارسين، منهم: "ممدوح حقي" و "العربي دحو" و "زكريا صيام"، كما نلاحظ أن باحثين آخرين تعرضوا للغة المتصوّفة، ومنها إلى المدلول الجديد لوظيفة الكلمة، من ذلك كتاب "سعاد الحكيم"، "ابن عربي ومولد لغة جديدة"، كذلك كتاب "رضوان الصادق الوهابي"، "الخطاب الشعري الصّوفي والتأويل"، و رسالة ماجستير تُحضّر بعنوان (رمزية المكان في شعر ابن الفارض) لـ "حسين مشارة"، ورسالة ماجستير أخرى بعنوان (العدول في البلاغة العربية) أعدّها "عبد الحفيظ مراح"، ولقد استفدنا من كل هذه الدراسات، رغم أن التناول في كل ما سبق ذكره لم يكن بمفهوم الانزياح في الدّراسات الأسلوبية الحديثة، ممّا شجّعنا على الإقدام على هذا البحث لما فيه من جدّة — حسب اطلاعنا — وقد عنوانه بـ (الانزياح في الشّعر الصّوفي، رائية الأمير عبد القادر نموذجاً).

وما كان اختيارنا لهذا العنوان كمدوّنة للبحث، محض صدفة، أو اختياراً اعتباطياً؛ كلا، بل هناك من الدوافع الدّاتية والموضوعية ما يبرّره، ذلك أننا نحيا في وسط صوفي منذ نعومة أظفارنا، بين زاويتين عريقتين: (الزاوية التجانية، والزاوية الهبرية)، إذ كانت كل منهما تحيي كل مناسبة دينية بالذكر والقصائد الصّوفية، فكانت تثيرنا كلمات تلك القصائد التي تؤدّي في المساجد، بما فيها من ذكر الغزل والخمرة، إلى أن علمنا أنّ دلالاتها غير التي تبادرت إلى أذهاننا ولا زلنا نتوق لمعرفة أسرار دلالاتها إلى اليوم، وهاهي الآن الفرصة مواتية لتناولها بالبحث، تحت مظلة الأسلوبية في مبحث الانزياح لنلبي بها رغبة تراودنا منذ الصّغر.

بالإضافة إلى هذا الدّافع، أجد أنفسنا محكومين بدوافع موضوعية أخرى ذلك أنّ تخصّصنا هو الأسلوبية، و يعد الانزياح أهمّ عناصر هذا العلم، و كون المدوّنة نصّاً صوفياً، فذلك — في اعتقادنا — هو الصّبغة الجديدة المميّزة لدراستنا عن غيرها من الدّراسات التي ركّزت اهتمامها على تقصّي الانزياحات في القصائد المعاصرة، ولأسباب موضوعيّة أيضاً

كان صاحب المدوّنة الأمير عبد القادر، إذ توفّرت فيه جميع الشّروط؛ منها رغبة أساتذتنا الكرام في أن يكون أصحاب المدوّنات من الجزائر، وهو مسعى نبيل لإثارة الاهتمام بدراسة تراثنا غير الملتفت إليه، ومنها أن هذه الشّخصية الوطنية قد خلّفت أعمالا مازالت على حدّ قول (الدكتور العربي دحو) : (حتى الآن لم تأخذ العناية جمعا وتحقيقا ودراسة ونشرا)، كذلك من أهم دواعي اختيار مدوّنة الأمير عبد القادر الجزائري، أنّه من أشهر أعلام تصوّف في الجزائر، وله مجموعة من القصائد الصّوفية في كتابه (المواقف)، التي لم تلحق بديوانه إلّا في تحقيق جديد قام به (د/ العربي دحو)، وما كان اختيارنا لـ (الرّائية) إلّا لأنّها الحقل الأكثر خصوبة للدّرس، فقد بلغت مائة وأحد عشر بيتا، ممّا أهّلها لأن تكون مدوّنة قابلة لبحثٍ كبحتنا، كما أنّها جمعت عدّة مواضيع صوفية، بذلك نكون قادرين على تقصّي مواطن الانزياحات في أنواع عدّة من الموضوعات الصوفية.

وللقيام بهذا البحث بصورة تضمن لنا عمليّة تقصّي مواطن الانزياحات تشمل جميع جوانب القصيدة، ارتأينا أن تكون الدّراسة على المحورين الأساسيين في الدّراسات اللسانية الحديثة لبناء النص، وهما: محور التّركيب، ومحور الاستبدال وذلك وفق مخطّط للبحث قسّمناه كالآتي:

فصل تمهيدي؛ وعنوانه بـ (عتبات البحث)، في مقدّمته ترجمة للأمير تسمح للقارئ أخذ ومضات عن أهم جوانب هذه الشّخصية، ثم قدّمنا فيه لدراستنا، بالتعريف اللّغوي والاصطلاحي للانزياح، ومميّزات الانزياحات الصّوفية عن غيرها من الانزياحات، ثمّ مثّلنا لأنواعها في كلا المحورين (التركيبي، والاستبدالي)، جاعلين كلّ الشّواهد من الشّعري الصّوفي، للتّقيّد بنوعية البحث، إلّا إذا دعت المقارنة للاستشهاد بغيره من الشّعري، وأعقبنا هذا الفصل بفصلين تطبيقيين على قصيدة الأمير (الرّائية).

الفصل الأوّل منهما بعنوان: (الانزياحات التركيبية في رائيّة الأمير)، وفيه تتبّعنا مواقع الانزياحات في أهمّ مكوّنات هذا المحور وهي: الحذف والتقديم والتأخير بالإضافة إلى الاعتراض والسّياق، ثمّ ملخصاً لأهم ملاحظاتنا على نتائج الفصل.

أمّا الفصل الثّاني فعنوانه بـ (الانزياحات الاستبدالية في رائيّة الأمير)، وفيه كذلك تتبّعنا مواقع الانزياحات في أهمّ مكوّنات هذا المحور وهي: الاستعارة وتغيّر المدلولات، انزياحات الأساليب، الحقول الدّلالية، ثمّ التّناس، لنختم هذا الفصل بملخص لأهم ملاحظاتنا على ما جاء فيه، أمّا الخاتمة فقد ضمّناها أهمّ النتائج التي تمخّضت عن الفصول المدروسة.

سيلاحظ القارئ غياب الجانب الصوتي في بحثنا ، رغم أنّه من أهم عناصر التحليل الأسلوبي، ذلك أنّ الجانب الصّوتي في دراسة الانزياحات، تمتصّه جوانب أخرى ، مثال ذلك حذف الهمزة، قضية صوتية، لكنّنا نأخذها في باب الحذف، كما نعالج في باب التّقديم والتأخير، انزياحات الإيقاع الخارجى للقصيدة عندما يضطر الشّاعر إلى ذلك حفاظاً على صوت حرف الرّوي، وهي ظواهر قليلة – من قضايا هذا الجانب - لا تقتضي مبحثاً خاصّاً بها.

بالإضافة للمنهج الأسلوبي الذي استوجبه الدّراسة - وإن عدّه البعض إجراءات أسلوبية، وليس منهجاً - فقد لجأنا إلى المنهج الإحصائي الذي ساعدنا كثيراً في الكشف عن قوّة وضعف كثافة بعض الميزات الأسلوبية في نتائج الانزياحات التي سجّلناها، كما كان لزاماً علينا الاعتماد على المنهج التّاريخي في ترجمة الأمير، وكون الدّراسة أخذت جوانب متعدّدة، كانت المراجع الأساسيّة حسب نوعية الموضوع، ففي الحديث عن الأمير كان كتاب تشرشل، (حياة الأمير عبد القادر)، من أهم المراجع وفي الحديث عن الانزياحات وأنواعها، كتاب أحمد ويس (الانزياح) وكتاب د/ صلاح فضل (علم

الأسلوب مبادئه وإجراءاته)، بالإضافة إلى (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، و كتاب (أسلوب الالتفات في القرآن) لـ:د/ حسن طبل ، و الدّواوين المختلفة للأمير، وللإشارة فإنّ الديوان الذي اعتمدنا عليه في مرجع القصيدة، هو الديوان الذي حقّقه (د/ زكريا صيام)، لذلك فهو المقصود في التهميش عن غيره من التحقيقات الأخرى كتحقيق (د/ممدوح حقّي)، وتحقيق (د/ العربي دحو).

ولقد اعترضتنا أثناء البحث بعض الصّعوبات حاولت جاهدة عرقلتنا، فنكاد نستسلم، لكن نجد في عزمنا على الاستمرار مع مساندة أستاذنا المشرف، برضاه المستمر، وتبسيطه لما حسبناه معقّدا، نجد أنفسنا متغلبين على كلّ عقبة من ذلك:

- عدم عثورنا على شرح كامل لقصيدة الأمير (الرّائية) إلّا ما جاء في تعليقات محققي ديوان الأمير لبعض المفردات، وأحيانا لبعض الأفكار، فلم نعثر على تحليل أدبي ولا أسلوبى شامل لتلك القصيدة، وذلك ما أوقفنا في عدّة محطّات من البحث حائرين في بعض المعاني، والأفكار الواردة في المدوّنة.

- كذلك من أشدّ الصّعوبات ما حسبناه في البداية تبسيطا للبحث، ذلك لما اخترنا مدوّنتنا هذه القصيدة المطوّلة منفردة، قصد القيام ببحث مضبوط وغير متّسع، وأغفلنا شيئا مهمّا، وهو أنّه كلّما اتّسعت مساحة البحث، كلّما ازدادت إمكانية رصد الظواهر وتنوّعت، والعكس بالعكس، وذلك ما أوجب علينا الغوص مرّات ومرّات في القصيدة، فكان ثمرة ذلك، أن علمنا علم اليقين، أنّه مهما بدا الأمر بسيطا، فإنّ عملية التأمّل، والتّقليب والتّمحيص وإعادة النّظر، كل ذلك كفيل بأن يريك رؤى جديدة لا تُتاح لصاحب النّظرة العابرة.

و أخيرا أتقدّم بأسمى عبارات الشّكر والتّقدير و الامتنان للأستاذ المشرف: د/ أحمد موساوي الذي كالأنا برعايته منذ بداية البحث إلى وضع نقطة النّهاية فيه، و إلى بقية

أعضاء لجنة المناقشة الموقرين، إذ لن يكون لهذا البحث قيمة إلاّ بعد الاستفادة من جميع نصائحهم و توجيهاتهم السّاعية إلى إتمام ما فيه من نقائص، وعلى الله الاعتماد والتّوكّل.

سليم سعداني

18 أكتوبر 2009م

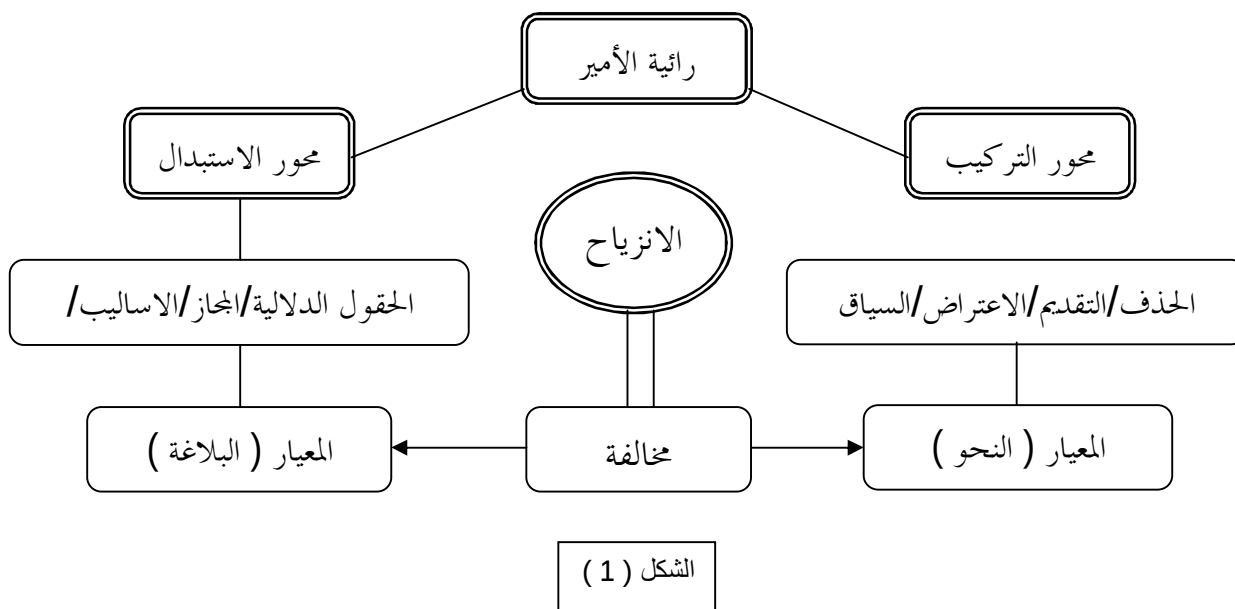
الفصل الثمهيدي^٣

عتبات البحث

1. ترجمة الأمير عبد القادر.
2. مفهوم اللغز ياح.
3. اللغز ياح علمي مستوى محور التركيب.
4. اللغز ياح علمي مستوى محور الاستدلال.

مدخل: عنوان بحثنا هو (الانزياح في الشعر الصوفي - رائية الأمير، نموذجاً)، فنحن في صدد دراسة ثلاثة محاور متفاوتة العمق والأهمية، وهي (الانزياح - الشعر الصوفي - شخصية الأمير)، وهذه العناصر الثلاثة هي عتبات البحث، وإن كنا سنجد لها مجتمعة، في دراسة قصيدة الأمير في الفصلين التطبيقيين، فلا بد من عرضها مفصلة، كونها هي المكونات الأساسية للبحث، وهذا ما نحاول تقديمه في هذا الفصل التمهيدي، بدءاً بترجمة الأمير، ثم التعرض إلى مفهوم الانزياح عموماً، ومنه إلى الانزياحات الصوفية.

ولنتمكن من طريقة عرض سليمة، رأينا أن تكون دراسة الانزياحات في الخطاب الصوفي على المحورين الأساسيين لإنشاء الكلام عامة، وهما محورا التركيب، والاستبدال، وما دام الانزياح هو خروج عن القاعدة - كما يراه جان كوهن - أي لابد من مخالفة معيار ما¹، فسنجد أن الانزياح في كل محور من المحورين المذكورين، سيخالف قاعدة محددة، وهذا مخطط يوضح عتبات البحث.



¹ - ينظر، جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، (ت، محمد الولي ومحمد العمري)، المغرب: دار توبقال للنشر، (ط1)، 1986م، ص 15.

أولاً: ترجمة الأمير عبد القادر:

كتب الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين، في تصديره لكتاب (الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه)، للأستاذ عبد الرزاق بن السبع عبارات قال فيها: " الكتابة عن الأمير عبد القادر الجزائري أشبه بمغامرة ولكنها مغامرة محببة ومرغوب فيها، فالاقتراب من الأمير ليس اقتراباً من شخص عادي يمكن رسم حدوده بسهولة...إنه رجل ولكنه يختصر في كيانه أمة بكاملها...ومثل أيّ عظيم من العظماء لا تشكّل حياة الأمير رافداً من روافد النشاط الإنساني تسهل الإحاطة به بل هي أشبه بمحيط يكلّ أمامه البصر: فهو سليل نسب رفيع، وفارس بارع، ومجاهد مظفر، ورجل دولة حصيف، وشاعر ملتزم، وصوفي متبحر، وفقه مملّم، واجتماعي نشيط"¹ لذلك فما سنقوله في ترجمته ليس إلاّ ومضة خاطفة، من مسيرة طويلة وثرية بالمواقف مازالت البحوث المتخصصة، تغوص في البحث فيها.

المولد والنشأة:²

هو الإمام عالم الأمراء، وأمير العلماء عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري. ولد في شهر رجب سنة 1222هـ/1807م في القيطننة، وهي قرية اختطها جده في أيلة وهران، من أعمال الجزائر، وتربى في حجر والده إلى أن بلغ سن التمييز، فحفظ الكتاب العزيز في المدرسة التي أسسها والده في القيطننة، وتلقى بها بعض العلوم، وكان والده كأسلافه من العلماء الأعلام الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام، ولما بلغ الأمير أربع عشرة سنة سار إلى وهران، لاستكمال فنون العلوم.

¹ - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، (دط)، 2000م، ص3.

² - ينظر (مقدمة كتاب الأمير - ذكرى العاقل وتنبه الغافل - كتبها ابنه محمد باشا) تحقيق ممدوح حقي، دمشق: دار اليقظة العربية، (دط)، 1976م، ص 15..23.

و في سنة 1826م سافر مع والده برّا، إلى الحجاز ، حيث أدّى في هذه الرحلة فريضة الحج وزارا المدينة المنورة، و الحضرة النبوية الشريفة ، ومنها توجّها إلى دمشق، فبغداد، فزارا حضرة القطب الربّاني الشيخ (عبد القادر الجيلاني)...ورجعا إلى دمشق، ليعودا بعدها إلى الحجاز؛ حيث حجّا مرّة ثانية، وفي سنة 1827م رجعا إلى الوطن، ثم بايعه أهل الجزائر سنة 1832م أميرا عليهم¹، " مبايعة تذكرنا طقوسها ببيعة الخلفاء الراشدين"² .

الأمير والجهاد.

بعد مبايعة الأمير ربّما يُتصور أن الإمارة تمت، وصارت الأمور منقادة له من قبل كل القبائل، كان الواقع غير ذلك، نعم لقد " نجح عبد القادر خلال هذه الجولة في فرض طاعته على أغلبية القبائل، ولكن قبائل أخرى نازعت سلطانه، وفي مقدمة المنازعين قبيلة الدّوائر والزّماله بقيادة مصطفى بن إسماعيل، وابن أخيه المزارى على التّوالي وكذلك رفضت الحامية التركية في وهران الاعتراف بالأمير، وكذلك اضطر الأمير أن يسلم السيف لقمع قبيلة فتيلة (فليتة) التي تمارس السلب والنهب وقطع الطرق، وقبائل عكرمة وبني مدين التي أظهرت العصيان والشّقاق... لكنهم استأمنوه في الأخير"³ رغم المعاناة التي سببتها هذه المقاومات للأمير غير أنّها أثبتت لمن والاه ولأعدائه مقدرته على القيادة والحكمة في تسيير الأمور.

قاوم الأمير، في مسيرة جهاده، العديد من الجنرالات الفرنسيين، ولم تكن براعته ، في الحنكة السياسية مع قادة محنكين بأقل من براعته في المقاومة الميدانية، فقد كان لديه من الذكاء والفطنة، ما أجبر العدو ، في عرض الصلح عليه في بداية مشواره بعد ما أبدى قدراته

¹ - ينظر، الأمير عبد القادر، المواقف، ج1، (حققه عبد الباقي مفتاح)،الجزائر: دار الهدى، (ط1)، 2005م، (مقدمة المحقق)، ص6.

² - أبو القاسم سعدالله، خلاصة تاريخ الجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2007م، ص 28.

³ - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1982م، ص 44، 45.

على تنظيم جيشه، وشجاعته وتصميمه على المقاومة في كل الظروف، بدءا مع الجنرال (ديميشيل)، الذي لم يجد بدا من مفاوضة الأمير الشاب، التي أفضت بمعاهدة، حيث أملى الأمير شروطه المسجلة في كتب التاريخ و كتب سيرته.

علينا أن نذكر أن الأمير كان عمره حينذاك 26 سنة تقريبا. وقد زادت الردود والرسائل الدبلوماسية، من قبل الأمير على هذا الجنرال من إثبات براعته وذكائه وهو ما فرض على الجميع احترامه بما فيهم أعداءه. و بعد (ديميشال) تم تعيين الجنرال (تريزيل)، الذي منى في نهاية أيام قيادته بهزيمة نكراء، في معركة (المقطع) قادها الأمير بحكمة وشجاعة " لقد كلفت هزيمة المقطع الجنرال تريزيل قيادته في وهران، إذ كان عليه أن يتخلى عنها بأمر من الحاكم العام"¹ وقد أثارت هذه المعركة صدى ليس في الجزائر فحسب، "لقد اهتزت فرنسا لأخبار النكبة، فقد طالبت الأمة في صوت واحد بالتحقيق، والعقوبة، والانتقام، وهكذا أستدعي ديرلون وحل الجنرال (دارلنج) محل تريزيل ... وعُين المارشال (كلوزيل)... ليفتح عهدا جديدا فيما كان يُسمى عندئذ المستعمرة الأفريقية، ولكن سلاح كلوزيل الحديد قُدر له أن يتحطم في يديه."² وبعده عين الجنرال (بوجو)، الذي اضطر إلى معاهدة التافنه مع الأمير، في 20 ماي 1837، ويصف هنري تشرشل اللقاء الذي جمع بوجو مع الأمير، بعد يوم من المعاهدة، وكيف استطاع الأمير إثارة الجنرال بالطريقة التي اختارها للقاء، في أبهة جيشه، واستعراض ميزات في الفروسية ، وكيف تعمد تأخير الموعد

¹ - فان دينزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، (تر، وتقديم، أبو العيد دودو)،الجزائر: دار هومة، (دط)،2003، ص 78.

² - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر،(ترجمه وقدم له، أبو القاسم سعد الله)، تونس: الدار التونسية للنشر، (دط)،1974م، ص 98.

و جعل بوجو ينتظر عدّة ساعات الأمير العربي، ممّا زاد إعجاب جيش الأمير به والثقة فيه.¹

كان الأمير في كل فترة جهاده، ساعيا إلى تمكين دولته، ولم يكل ولم يمل خلال هذه المسيرة، فإن لم يكن في حرب مع الفرنسيين، تجده في غارات، لإخضاع القبائل المتمردة، وملاحقة الخونة، الذين كان عداءهم يفوق عداء المستعمر له.

اجتمع على الأمير خذلان القربى، وخيانة الموالين وتفوق العدو عددا وعتادا، مع جيوش مراکش الزاحفة نحوه، فتوجه إلى من كان معه بمحاورة منها قوله: " إذا كنتم تعتقدون أنه مازال بوسعي أن أقوم الآن بأي شيء، فأخبروني. وإن كنتم لا تعتقدون ذلك فإني أسألكم أن تعفوني من القسم الذي التزمت به إليكم عقليا عندما طلبت رسميا قسمكم. فقالوا: (إننا جميعا نشهد أمام الله أنكم فعلتم كل ما في وسعكم لإعلاء كلمته، ويوم القيامة سيجازيكم الله بعدله.)، فقال: إذا كان هذا رأيكم، فإن أماننا ثلاثة احتمالات لا غير: إما العودة إلى الدائرة حيث نكون مستعدين لمواجهة أية عقبة، و إما محاولة إيجاد طريق لأنفسنا إلى الصحراء، وفي هذه الحالة لا تستطيع النساء والأطفال، والجرحى أن يتبعونا وسيسقطون لا محالة في أيدي العدو، وإما الاستسلام. وتوقف عبد القادر بعض اللحظات ثم استأنف كلامه بتأثر عميق: صدقوني إن المقاومة قد انتهت. فلنعترف بذلك، والله شاهد أننا حاربنا طالما كان ذلك في استطاعتنا... وبقائي في البلاد أو عدم بقائي فيها سوف لا يغير من الأمر شيئا، وماذا أستطيع أن أفعل أكثر ممّا فعلت من أجل القضية التي دافعنا عنها طويلا؟ هل في استطاعتي أن استأنف الحرب؟ إنني سأهزم وسيعرض العرب إلى مزيد من الآلام"² ولقد حلّ جواد المرباط وضعية الأمير، في وقوعه بين عدّة خيارات، التي كان أسلمها الاستسلام إما للمراكشيين، أو للفرنسيين، وكيف استقر رأيه و أثر

¹ - السابق، ص 121.

² - نفسه، ص 245، 246.

الاستسلام للفرنسيين، ولم يستسلم إلا بعد قتله القضية درساً.¹ وهكذا كانت نهاية مقاومة الأمير المسلحة في الجزائر سنة 1847م، ليبدأ مرحلة جديدة من حياته، بدأت بنقض العدو لميثاقه، إذ نقل الأمير للسجن بدلاً مما اتفق عليه، حيث مكث فيه حوالي خمس سنوات.

الأمير شاعراً.

يقول زكريا صيام: " ليس الذي بين أيدينا، كل ما نظم الأمير عبد القادر، فقد نظم شعراً في شبابه ضاع معظمه لسببين على الأقل هما: انهماك الأمير في بناء دولته الفتية وحربه ضد المستعمر الفرنسي من جهة أخرى، واستيلاء العدو على مكتبة بيته في مدينة (الزمالة)، التي أودع فيها مذكراته الخاصة، وربما بعض أشعاره من جهة ثانية."²

و قد تطرّق الأمير في شعره إلى أكثر الفنون الشعرية المعروفة في عصره، وقد " ارتبطت كل مرحلة تاريخية من مراحل حياة الأمير بفن معين من الفنون الشعرية، فشعر الفخر والحماسة مثلاً أوثق صلة بحياة الأمير من شعر الوصف، وما ذلك إلا لأن شعره في الفخر والحماسة كان نتيجة معاناته الحروب وخبرته وتجربته الحربية."³ وقد تناول الأستاذ فؤاد صالح السيد في كتابه، (الأمير عبد القادر الجزائري شاعراً ومتصوفاً) مجموعة من أغراض شعره، وهي: الفخر والحماسة، والغزل، الشعر الصوفي، والمدح، وأخيراً الحجازيات.⁴

1 - ينظر، جواد المرباط، التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري، دمشق: دار اليقظة العربية، (دط)، 1966م، ص 79، 80.

2 - الأمير عبد القادر، الديوان، (تح وشرح وتعليق، زكريا صيام)، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، (دط)، (دت)، ص 59.

3 - فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، 1985م، ص 185.

4 - ينظر المرجع نفسه، 186-187.

يبقى أن نشير إلى أن شعر الأمير، متأثر بشعر عصره؛ ما يُسمّى عصر الانحطاط، رغم ذلك، " فإنّ معالم شعر الأمير البنيوية، تجاوزت حدود عصره، إلى ما سبقه بقرون عديدة، وشرّبت إلى مشارف العصر الحديث، ولو أمكنه التفصي من قيود عصره، التي أثقلت كاهل شعره لاقترب من خطّ محمود سامي البارودي، الذي جمع بينه وبين الأمير مقوّمات متعدّدة الجوانب، تستحقّ الدّرس من الباحثين.¹

الأمير متصوّفاً².

البعد الصوفي في شخصية الأمير ليس بعدا عارضا أو طارئا ألجأته إليه الظروف، بل هو متجذّر في أعماق فطرته، ويمكن تقسيم مساره الصوفي إلى ثلاث مراحل: التعلّق ثم التخلّق ثم التحقّق.

- **المرحلة الأولى:** من ولادته إلى مبايعته، ثم طيلة جهاده التي انتهت عام (1847م) وهو في عمر الأربعين، وهي مرحلة تعلقه بالتصوف والتعرّف على رجاله، فقد ولد الأمير ونشأ في زاوية والده محيي الدين شيخ الطريقة القادرية... وامتد إشعاع زاويته إلى أصقاع المغرب الإسلامي، وبوفاة محيي الدين عام (1833م) انتقلت الخلافة الروحية في الطريقة القادرية والمشرب الأكبري* إلى الأمير عبد القادر وهو حينذاك زعيم الجهاد وعمره حوالي 27 سنة، وفي أحضان أسرته منذ صباه بدأ الأمير مطالعته في التصوف، زيادة على مطالعته الصوفية كان للأمير علاقات يومية برجال التصوف من أسرته وفي زاوية والده ومن الشيوخ الذين تتلمذ عليهم... ولما ترعّم الجهاد وحكم البلاد توسعت دوائر علاقاته بشيوخ مختلف الطرق الصوفية داخل الوطن وخارجه، ووجد الأمير من شيوخ أغلب الطرق

1 - الأمير عبد القادر، الدّيان، ص 90.

2 - ينظر مقدمة المحقّق، (عبد الباقي مفتاح)، الأمير عبد القادر، المواقف، ص (12...20).

* - نسبة إلى الشيخ محيي الدّين بن العربي، الذي يلقّب بالشيخ الأكبر، وكان تعلّق، الأمير به عظيما، حتّى أنّه أول من طبع كتابه (الفتوحات) و أوصى بدفنه بجواره وذلك ما كان.

الصوفية تأيدا و مآزره لجهاده، ومن أشهر الشيوخ خارج الجزائر الذين ساندوه إمام الطريقة الحراقية الدرقاوية في المغرب الشيخ محمد الحراق التطواني (1188 - 1261هـ)... ومنهم في مصر شيخ الأزهر مفتي المالكية وشيخ الطريقة الشاذلية الإمام محمد عlish (ت: 1882م) وابنه عبد الرحمن (ت: 1930م).

- المرحلة الثانية: تتألف من فترتين فترة سجنه ثم فترة السنوات الأولى من استقراره في دمشق بعد إقامته في بروسة بتركيا.

الفترة الأولى: فترة الاعتقال ما بين 1847 و 1852 جعل الأمير من سجنه مدرسة لتعليم أصحابه، فكانوا يتدارسون كتب الشريعة والتصوف والأدب والتاريخ، وكتب حوالي سنة 1850م رسالة (المقراض الحاد) في الدفاع عن الإسلام ردا عن انتقادات قسيس مسيحي، وجعل الأمير من سجنه أيضا خلوة للذكر والتفكير والتعبد فأشرقت عليه مطالع الفتح النوراني وحصلت له وقائع روحانية ومشاهد ومراي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخليل إبراهيم عليه السلام، وهو ما أوما إليه في الموقفين 83 و 211 من كتابه المواقف.

الفترة الثانية: تبدأ من خروجه من السجن عام 1852م، إلى سنة حجّه عام 1862م، فبعدما خرج من سجنه وقضى سنتين في بروسة بتركيا حيث ألف كتابه (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل)، توجه من عام 1855م لدمشق ليستقر بها... ثم أنزله حاكم دمشق عزت باشا في المتزل الذي سكنه وتوفي فيه الشيخ (ابن عربي) قبل ذلك بنحو ستة قرون... وفي هذه الفترة أتيح له دراسة كتب الشيخ التي لم يطلع عليها من قبل، وهي تعد بالمئات، وكلما ازداد عليها عكوبا ازداد بها شغفا وازدادت العلاقة الروحية بينه وبين الشيخ عمقا... فهو مثلا يقول في الموقف 358 عن كتابه (التجليات): (لو كُتب بماء العيون كان قليلا في حقّه وهو أحق بقول القائل : هذا كتاب لو يُباع بوزنه ذهباً لكان البائع

مغبونا، ذكر فيه 97 تجليا أودع فيه من الحقائق والعلوم الإلهية ما لا يصدر منه ولا أقول لا يصدر إلا من مثله فافهم).

- المرحلة الثالثة: مرحلة التحقق والفتح الكبير.

يقول ابنه محمد " أقبل الأمير، على عبادة الله تعالى، عند بيته الحرام، في مسجده الحرام، وتفرّغ لها، من كل شيء يتعلق بالدنيا وأهلها، واختار الشيخ محمد الفاسي، المجاور في مكة المكرمة، أستاذا له فأخذ عليه الطريق، وتلقى شؤونها عنها ولازم، الرياضة والخلوة والاجتهاد، وعكف على ما في تلك الطريقة الميمونة، من الوظائف والأوراد، إلى أن رقي معارج الأسرار إلى حظائر القدس ذات الأنوار، ووقعت له كرامات وخوارق، و أحرز بقوة سعه أحوالا سنّية و أنفاسا محمّدية وما تم له الارتقاء إلا في غار حراء، لأنه انقطع فيه أياما عديدة، إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى، ووقع له الفتح النوراني، وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق بين أدواح جنانه وانفتح له باب الواردات، واستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحة، فكتب من خلوته، إلى حضرة أستاذه يصف بدايته ونهايته، ويثني على الله، بما أولاه على يده بقوله:

أمسعود! جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش التحس ليس لها ذكر".¹

وهو مطلع القصيدة التي نزمع على دراستها أسلوبيا متقنين ظاهرة الانزياح فيها، وذلك على مستوى محوري التركيب و الاستبدال. وهذا يدفعنا بدءا، لدراسة الانزياح بصورة عامة، ثم على كل مستوى من المحورين (التركيب، والاستبدال).

¹ - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، (شرح وتعليق ممدوح حقي)، (ج2)، بيروت: دار البيقطة العربية، (ط2)، 1964م، ص 694-695.

ثانياً: مفهوم الانزياح:

تقتضي كل دراسة علمية ممنهجة، استعمال مصطلحات خاصة بها إذ تعد هذه المصطلحات بمثابة مفاتيح أساسية، سواء بالنسبة للباحث، أو لمتلقي البحث، وأهم مصطلح في بحثنا هذا، مصطلح الانزياح، والذي سيكون عليه مدار البحث، وربما علينا أن نعلل اختيار هذا المصطلح من بين العديد من المصطلحات المستعملة كبديل عنه، ومن هذه المصطلحات حسب تصنيف عبد السلام المسدي¹.

المصطلح الغربي	المصطلح المعرب	مستعمله
<i>L'écart</i>	الانزياح	فاليري
<i>La déviation</i>	الانحراف	سبيتر
<i>La distorsion</i>	الاختلال	والاك/فاران
<i>La subversion</i>	الإطاحة	بايتار
<i>L'infraction</i>	المخالفة	تيري
<i>La scandale</i>	الشناعة	بارت
<i>Le viol</i>	الانتهاك	كوهين
<i>La violation des normes</i>	خرق السنن	تودوروف
<i>La transgression</i>	العصيان	آراقون

الجدول (1)

وقد اشتهر مصطلح العدول لدى الكثيرين ففي بحث بعنوان العدول يذكر صاحبه أن المسدي ذاته قد تراجع عن مصطلح (الانزياح)، الذي استعمله في البداية لصالح مصطلح

¹ - ينظر، عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب (دط)، 1977م، ص96.

(العدول).¹ وهذه المصطلحات جميعها دوال لمدلول واحد. وعند تأملنا لها نلاحظ منها مجموعة تفتقر إلى اللياقة كـ: (الاختلال-الانتهاك-الإطاحة - المخالفة - الشناعة - العصيان). فضلا عن استغناء الكثير من الباحثين العرب عن استعمالها. إذ سنجد أن المتبقي منها ثلاثة، على حد رأي أحمد ويس - هذا الرأي الذي كان ميلنا إليه - وهي: (الانزياح، الانحراف، العدول) وإذا كان للمرء أن يختار من بينها، فسنتار الانزياح لأنه الترجمة الأدق لمصطلح (l'écart) وأن العدول والانحراف قد يحملان معان أخرى بلاغية، غير التي نجدها في الانزياح عند الدراسة الأسلوبية للنصوص.²

أ - الانزياح لغة:

جاء في لسان العرب الجذر "(ز-ي-ح)، زاح الشيء يزح زحاً، وزيوحا وزيحانا وانزاح ذهب وتباعداً".³

وينبغي الإشارة إلى أن هذا اللفظ إنما هو ترجمة للمصطلح الفرنسي (Ecart)، والذي يراه أحمد ويس الترجمة الأحسن، رداً على حمادي صمود الذي ترجمه بـ (العدول).⁴

ب - الانزياح اصطلاحاً:

عرّف كتاب المصطلحات اللسانية والبلاغية، الانزياح بلاغياً بعدما عرّفه لسانيا فقال: "أما الاستعمال الثاني لهذا المصطلح فإنه يرتبط بعلم الأسلوب، ويعني الخروج عن أصول

¹ - عبد الحفيظ مراح، (العدول في البلاغة العربية، مقارنة أسلوبية)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة 2006/2005م، ص 12.

² - ينظر أحمد محمد ويس، الانزياح، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2005م، ص46.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، ص552.

⁴ - ينظر أحمد محمد ويس، الانزياح، ص49.

اللغة وإعطاء الكلمات أبعاداً دلالية غير متوقعة، ولهذا المصطلح في اللغة العربية عدّة مرادفات،¹ سنذكرها في وقتها، أما نور الدين السدّ فيقول: "الانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي، يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته".² ويؤكد هذه الرؤية الاصطلاحية، التي ترى أن الأسلوب هو الانزياح نفسه كثير من الدارسين، ونستنتج من ذلك أن من عرف الأسلوب بالانزياح، أنه يعرف الانزياح بالأسلوب.

ومن ذهب إلى ذلك (فيلي سانديرس) الذي عد الأسلوبية علماً خاصاً بالانزياحات، وهو ما أكّده، أسغود (Osgood) بقوله إن الأسلوب خروج فردي على المعيار لصالح المواقف التي يصورها النص.³

كذلك كانت نظرة جون كوهن إذ يقول: "الأسلوب هو كل ما ليس شائعاً ولا عادياً ولا مصوغاً في قوالب مستهلكة... هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذن خطأ مُراد".⁴ ومن أكثر التعريفات الواردة، تعريف فاليري الذي قال: "إن الأسلوب في جوهره انحراف عن قاعدة ما".⁵

عند تأملنا للتعريفات السابقة، يمكننا أن نستجلي عدة مفاهيم، تساعدنا في تقصي نقاط بحثنا ومن أهم هذه النقاط :

1 - بوطران محمد الهادي، وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، بيروت: دار الكتاب الحديث، (دط)، 2008م، ص 160.

2 - نور الدين السدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، الجزائر: دار هومة، (دط) 1997م، ص 179.

3 - ينظر، فيلي سانديرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ت، د/خالد محمود جمعة، سوريا: دار الفكر، ط1، 2003م، ص 36.

4 - جون كوهن، النظرية الشعرية، (تر، أحمد درويش)، القاهرة: دار غريب، (ط4)، 1999م، ص 35.

5 - صلاح فضل، علم الأسلوب، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1968م، ص 208.

ü كون الانزياح انحراف عن مألوف، وهذا يدفعنا حتما لاستحضار، ثلاثة أشياء وهي.

1. المسار الأصلي للنص، قبل حدوث الانزياح.
2. الانحراف الذي وقع، فأحدث الانزياح.
3. المسار الذي كان ينبغي أن يكون (المألوف - القاعدة) وهذا سيكون خارج النص، لكنه حاضر في ذهن المتلقي، والمرسل.

ü أن الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته.

ü أنه خروج فردي، غير متعلق باصطلاحية سابقة بين المتخاطبين عامة، "لكنه ضرب من الاصطلاح يقوم بين الباث والمستقبل... اصطلاح لا يطرد¹".¹ يكون مقبولا كونه يخدم مواقف النص.

ü عدم الشبوع والاعتیاد، لأن ذلك يقلل من الكثافة المحدث للتمعة.

ü و أنه انحراف عن قاعدة ما، وكلمة (ما) تفتح لنا عدة مستويات يمكن أن تكون، مادة التضاد، كالقواعد التي تحكم النص الخطية، والاستبدالية وقد تتعدها إلى سياقات أخرى خارج البنية النصية نفصلها فيما يلي:

ت - مستويات دراسة الانزياح:

إن تتبع الانزياحات، والكشف عنها مهمة أسلوبية، وعلى الدارس أن يحدد المستويات التي يمكن أن تتواجد فيها، إن الدائرة الكبرى التي يمكن أن نستشف منها الانزياحات هي الحدث الألسني الذي يعرفه جكبسون أنه " تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة وهما اختبار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبها لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في

¹ - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص101.

الاستعمال.¹ وهذا ما أشار إليه أحمد ويس عندما قال: "إذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات، وجملا، فإن الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات، وهذه الجمل. وربما صح من أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسيين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح. فأما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية مما سماه كوهن (الانزياح الاستبدالي) وأما النوع الآخر فهو يتعلق بتركيب هذه مع جارقتها في السياق الذي ترد فيه، وهذا ما سمي (الانزياح التركيبي)."² ومن المفيد هنا أن أذكر رؤية العلامة عبد القاهر، وكيفية فهمه لها وطريقة التعبير على ذلك الفهم، فيقول: "واعلم أن ما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت. أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشدد ارتباط ثان منها بأول. وأن يحتاج في الجملة أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه ها هنا في حال ما يضع ييساره هناك، نعم، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين"³.

يمكننا أن نلاحظ في هذه المقولة شيئين مهمين:

- الأول: تحديد الجرجاني لهذه المسألة، بمثال البناء، فهناك عمليتان: اختيار للحجر المناسب، وتركيبه في المكان المناسب أيضا وهما عمليتا (الاختيار والتركيب).
- الثاني: تحديده لقضية ناقشها المحدثون، في الترتيب الزمني للعمليتين، ففي مقولة جاكبسون قال (متتاليتين في الزمن)، ولكن الجرجاني استعمل عبارة (في حال ما يضع ...وفي حال ما يبصر)، فكأن العمليتان وإن كانتا منفصلتين، تحدثان في آن واحد.

1 - السابق، ص 92.

2 - أحمد محمد ويس، الانزياح، ص 111.

3 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شكله وقدم له ياسين الأيوبي، بيروت: المكتبة العصرية، (دط)، 2003م، ص 137.

إذا كان النص المنجز، يتكون من هذين المحورين (محور التركيب، ومحور الاستبدال) واللدان يمثلان إحدى أهم ثنائيات (دوسوسير).¹ فستكون الانزياحات على هذين المستويين في النص، غير أننا سنجد انزياحات أخرى يفرضها السياق الخارجي من جهة ورؤية المتلقي من جهة أخرى، "فربما يخضع لمحددات تاريخية، وثقافية، وربما يخضع للخبرة، والمعرفة اللتين تتعلقان بالقواعد، فالسياقات التاريخية والثقافية ربما تحدد أنماطاً من الانزياح في حقبة معينة، وثقافة معينة فقط، بحيث لا تمثل تلك الأنماط انزياحاً ما في حقبة أخرى وسياق ثقافي آخر".²

فنحن الآن أمام ثلاثة مستويات لدراسة الانزياح، وهي :

1. انزياحات على مستوى محور التركيب.
2. انزياحات على مستوى محور الاستبدال (الاختيار).
3. انزياحات على مستوى السياقات الخارجية.

وللإشارة، فالسياق الذي نقصده هنا، ليس السياق الداخلي لبنية النص، كما عرّفه (ريفاتير) بل هي السياقات الخارجية، ذلك أننا سنتعرض للسياقات الداخلية، في النوع الأول من الانزياحات، (محور التركيب). أما السياقات الخارجية فنشير إليها كلما أحدثت، أثراً في بناء النص لاسيما في تحليل البعد الصوفي الناتج عن حال صاحبه.

وكل مستوى من هذه المستويات، يضم مجموعة من القواعد النمطية، وكل خرق لواحدة منها يعدّ انزياحاً فسنكون إذاً أمام مجموعة من الانزياحات في كل مستوى، لكن " ليس بوسعنا من الوجهة الأدبية، أن نعتبر جميع الظواهر اللغوية، في النص الخارجة عن

¹ - ينظر، أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (ط 2)، 2005م، ص 130-131.

² - حسن ناظم، البنى الأسلوبية، بيروت: المركز الثقافي العربي، (ط 1)، 2002م، ص 45.

النظام اللغوي ذات أهمية أسلوبية، وقيمة فعلية.¹ فالعبرة في ذلك، إذا أحدثت أثرا جماليا، وبعدا دلاليا.

و لنا أن نتساءل؛ إذا كانت هذه المستويات الثلاثة هي عمدة الحدث الألسني، والتي من خلالها، ندرس الانزياحات الخارقة لقواعد كل مستوى، فكيف يتجلى الفرق بين الانزياح الصوفي، وغيره من الانزياحات؟ أهو على مستوى التركيب أم الاختيار؟ أم في سياق آخر خارج النص؟

ث - تميز الانزياحات الصوفية عن غيرها:

من البديهي أن المتصوفة وغيرهم، سيحتكمون، أثناء تأليفهم إلى نظام اللغة، إذ "تقيم الوحدات في الخطاب الشعري من خلال تعاقدها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية... لأنها تخضع بصفة إجبارية إلى نظام التعاقب، والتوالي في السلسلة الكلامية."² وفي هذا سيتساوى الجميع، (المتصوفة وغيرهم)، كون الانزياحات ستكون من نوع واحد، بإحداث خلخلة في هذه السلسلة، لكن الأمر يختلف في المستويين الآخرين، لاسيما على مستوى محور الاختيار، وممكن ذلك أن المصطلح الصوفي، الذي يأخذ دلالات ساذجة في المعجم المستعمل. ينتج عنه تغير في أهم عناصر الرسالة، كما حددها (جاكبسون). إذ تأخذ منحى آخر، فنحن أمام نمط مختلف من التواصل، اختلفت فيه طبيعة المرسل، ونوعية الرسالة، والأهم من ذلك كله اختلاف الشفرة المستعملة، وهذا سيجعل من الخطاب الصوفي خطابا خاصا، وقد نبه، أغلب كبار المتصوفة أن كتاباتهم

¹ - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص213.

² - رابح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، الجزائر: دار العلوم، (دط)، 2006م، ص225.

ليست في متناول كل قارئ؛ نذكر من هؤلاء، ابن عربي* في تقديمه لترجمان الأشواق؛
ينظم قصيدة يبين فيها مقاصده من رموز شعره يقول:

كلما أذكره من طلل أو ربوع أو معان كلما
وكذا إن قلت ها أو قلت يا وألا إن جاء فيه أو أما
وكذا إن قلت هي أو قلت هو أو همو أو هن جمعا أو هما
أو نساء كاعبات نُـد أو نساء كشموس أو دمي
كلما أذكره مما جرى ذكره أو مثله أن تفهمها
منه أسرار وأنوار جلت أو علت جاء بها رب السما
فاصرف خاطر عن ظاهرها واطلب الباطن حتى تعلمها¹

وهذا تصريح صريح من ابن عربي، لقارئه أن يعتد بباطن القول لا بظاهره، وهذا مذهب
المتصوفة، فابن الفارض* يقول كذلك:

وعني بالتلويح يفهم ذائق غني عن التصريح للمتعتت
بها لم يُيح من لم يُيح دمه وفي الـ إشارة معني ما العبارة حدت²

* - الأصح (ابن العربي) لكن المغاربة دعوه بان عربي تميزا له عن (أبي بكر بن العربي)، ولد بمرسية (الأندلس)
سنة 560هـ - وتوفي 638هـ ، يدعى الشيخ الأكبر من أشهر مؤلفاته (الفتوحات المكية).

1 - ابن عربي، ترجمان الأشواق، بيروت: دار بيروت، (دط)، 1981م، ص10.
* - عمر بن الحسين بن علي، (ابن الفارض)، ولد بالقاهرة، سنة 576هـ - وتوفي 632هـ يدعى سلطان
العاشقين.

2 - عمر بن الفارض، الديوان، (شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط2)،
2002م، ص55.

فالمصطلح في ما أحسب أكبر حاجز، يحول بين النقاد والمفكرين والفقهاء، الذين يعتمدون على الظاهر والعقل في فهم الخطاب الصوفي، وبين النص الصوفي، لأن السؤال الذي يطرحونه، وهم محقون في ذلك إلى حد ما، كيف تكتبون يا متصوفة، بلغتنا وتدعون عدم فهمنا؟ هل تنتقصون قدرتنا على الفهم؟ أم قصورنا في اللغة؟ أم لكم كفاءة أكثر من بقية البشر؟

الاختلاف كامن في نوعية الخطاب، إنه أقرب إلى استعمال لغة أخرى مخالفة، كيف لا وأهم عناصر التواصل، تأخذ صورة مغايرة، للخطاب المؤلف، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

أ- المرسل: إن الصوفي يعايش التجربة الصوفية بكل ما فيها من إشعاعات عرفانية، ويريد بعد ذلك أن يترجم هذا الانفجار الوجداني فيجد اللغة تحول بين ما يعاينه والتعبير عنه، وقديما قال التّفري: " كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة ". وهنا يجد نفسه مضطرا لأن يؤسس تراثا لغويا صوفيا، وأن يجد مخرجا يتجاوز به أزمة اللغة التي تحول دون التعبير عن حقيقة الحال الذي يعاينه.¹ ومن هنا يضاف إلى الانزياح الذي يحدث، في اللغة الشعرية عامة انزياح آخر متميز في شعرية المتصوفة، نتيجة الاستعمال الجديد للرصيد اللغوي، لتغير مصدر الإمداد بين المرسل العادي، والمرسل الصوفي.

ب- الشفرة: هي المادة الخام للمرسل وللمتلقي، وهي وسيلة التلاقي بينهما، لكن " اللغة العادية لا تفي بالتعبير عن عالم الصوفية ذي الخصوصية الشديدة، وقد بلغت حدة الاصطدام باللغة، قدرا أودى بحياة بعض الصوفية وساقهم إلى نهايات تراجيدية، وأشهر هؤلاء. الحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة 304هـ². "إن اختلاف الشفرة، ليس

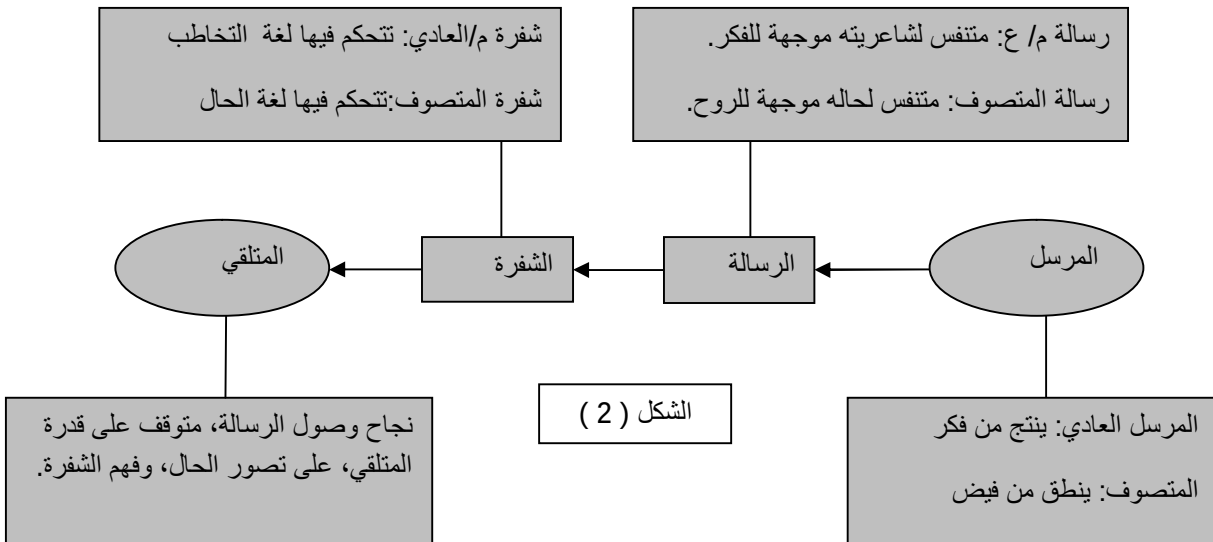
¹ - ينظر قويدر قيداري، (مجلة الأثر) دلائلية مصطلح السماع في الفكر الصوفي، جامعة ورقلة، العدد الثالث، ماي: 2004م، ص 306-307.

² - نفسه، ص 305. عن : (يوسف زيدان، المتواليات، "دراسة في التصوف" ص، 39).

ناتجا عن اختلاف اللغة، بين المرسل والمتلقي، لكنها ناتجة عن اختلاف المصطلح. " إذ تعتبر اللغة الصوفية إشكالية منهجية ومعرفية مطروحة منذ القدم عند الباحثين والمحققين القدامى والمحدثين، باعتبارها الممر الحتمي والسبيل الوحيد المفضي إلى عملية قراءة النص الصوفي، وتفكيك بنيته الدلالية"¹. وهذا حتما يفرض إيجاد (القارئ العمدة).

ت - القارئ: لا يجزئ القارئ هنا التعرف على المصطلح الصوفي فقط، لفهم الشفرة، بل عليه التعرف على الفكر الصوفي، لأن المتصوف قد يُحمّل أي دال، مدلولاً جديداً، وفي أي وقت شاء ذلك، وإنما يُدرك ذلك المدلول من قبل المتلقي باستعمال الذوق، معتمداً على قرينة السياق الحالية والمقامية.

فـ (ابن عربي) مثلاً عندما " يصور حال الصوفي الذي يُقبل على ربه، وكيف يفارق هذا الصوفي الدنيا بهيمته، فلا يصير له مطلب إلا الله، يرمز لهذا الإقبال على الله بطرق الباب، ويرمز لتخلية النفس عن شواغل الدنيا بالفراق.. فيقول الطّارق مفارق"². ومن المؤكد أن اللجوء، لقواميس المصطلحات الصوفية، لن يحل هذا الطلسم، ما لم يتسلح المتلقي بالذوق، والقراءة بعين القلب، ولعل هذا الشكل يوضح الرؤية أكثر.



¹ - السابق، ص 303.

² - يوسف زيدان، ابن عربي، الجيلي، شرح مشكلات الفتوحات المكية، القاهرة: دار الأمين، (ط1)، 1999م، ص 22.

وبهذه المفارقات، بين عناصر الرسالة العادية، وعناصر الرسالة الصوفية، تتغير رؤى الصوفي للكلمات، ولا يهمله بل لا يشعر عند اشتداد الحال به أن يعبر بما يحمله من معنى للكلمة، فإذا صادفت الرسالة، من يستطيع حل شفرتها أدرك أبعادها، وإن لم يكن ذلك إما أن يُساء الفهم، وإما لا يحدث فهم أصلاً.

ومن أكثر ما يرتبك فيه المتلقي من رسائل المتصوفة، ثلاثة مواضع (المرأة، الخمرة، ذهاب الأنا وبقاء الهو في الحب الإلهي). والواقع أن هذه المواضيع، تحدث في ظاهرها تناقضاً، في أدب المتصوفة خصوصاً، لأن في شعر غيرهم، تُقبل هذه المواضيع بسهولة فالناقد الذي يقرأ خمريات أبي نواس، وغزلياته، ولغيره من عامة الشعراء، لا يجد في ذلك عجباً ولا غرابة، لكن الأمر يختلط، عند المتصوفة.

" والسبب في ذلك هو عجز الصوفيين في طوال الأزمان عن إيجاد لغة للحب الإلهي، تستقل عن لغة الحب الحسي كل الاستقلال.¹ فالصوفي يكون في حديث عن الذكر ومحبة الله في مواطن، ثم ينتقل إلى ذكر مفاتن المرأة مجسدة في أخرى بل وفي نفس القصيدة، وإنما في الواقع ما هي إلا رموز لمقدسات سامية، لم يجدوا مندوحة، في التعبير عن هيامهم بها إلا بما يهيم به المرء في طبعه، من حبه للجمال بالمرأة، والغياب عن المحسوسات بالخمرة ولنا أن نوضح هذه الاستعمالات بإيجاز:

أ- المرأة: تظهر المرأة في الشعر الصوفي، من خلال تجسيد مفاتها² فالصوفية يطلقون مثلاً، العين والخذ والشعر والوجه ألقاظاً ترمز إلى مدلولات غير تلك التي تعارف عليها الناس في دنيا الحس³. وهذا ابن عربي يقول في قصيدة نقتطف منها هذين البيتين:³

1 - محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، القاهرة: مكتبة غريب، (دط)، (دت)، ص 182

2 - نفسه، ص 182.

3 - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 124-125.

النعامات مجرّدا والكاعبات منهّدا والمهديات ظرائفا

المبديات من الثغور لآليا تشفي بريقتها ضعيفا تالفا

" قوله: الكاعبات منهّدا، هي التي صار فُدها كالكعب وهي أحسن ما تكون فيه الجارية، يشير إلى أن محلّ حمل المعارف تجلّى له ليشاهد كيف يتحمّل المعارف الإلهية.¹ والمقصود من ذلك النهْد موقع اللَّبن، الذي كان الرّسول لا يسأل من الزّيادة من شيء في الطعام إلا منه، وفي هذا ربط بالآية، { وَقُلْ رَبِّ نَرِزْنِي عِلْمًا }².

ب - الخمرة: وهي المحدثّة لحالة السكر، " وهو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذه وبين أضدادها في مرافقة الحق، فإن غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه³ وما من شاعر متصوف، إلا وكانت الخمرة موضوعا أساسيا في قصائده، وكيف لا وهي المتسع للقاء الحبيب والذوبان فيه، وفيها تقول رابعة⁴:

كأسي وخمري والنديم ثلاثة وأنا المشوقة في الحبة رابعة

كأسي المسرة والنديم يديرها ساقى المدام على المدى متتابعة

1 - السابق، الشرح، ص 124-125.

2 - سورة طه، من آخر الآيات، 114.

3 - أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه (أحمد شمس الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية، (دط)، 2001، ص 135.

* - رابعة العدوية، بنت إسماعيل العدوي، ولدت بالبصرة حوالي 100هـ، متصوّفة عرفت بالحب الإلهي، عاشت ما يقرب 80 سنة.

4 - مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، دمشق: دار الكتاب العربي، (ط1)، 1997م، ص 124.

ت - الحب الإلهي: جرّ هذا الباب على المتصوفة كثيرا من الهجومات، ممن لم يتمكنوا من فهم شفرتهم، من ذلك عبارة الحلاج (أنا الحق)، التي أقامت الدنيا وأقعدتها، وإن كان مقامنا لا يتسع إلى بسط هذه المسألة، فأقل ما يمكن أن نقول فيها شيئين:

- الأول: المتصوفة يذلون كل شيء في سبيل حبهم للذات العلية، وفي ذلك " يضرب الإمام الجيلاني مثلا بالعبد الذي يسمع بالجنة وما فيها وما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين فيطلب الجنة، فيكون آنذاك مطالبا ببذل ثمن الجنة الذي صرح به الحق تعالى في قوله: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ } * فما بال العبد إذا طلب ما هو أعز من الجنة.¹ ويقصد بذلك وجه الله.

- الثاني: ما دام المتصوف قصد وجه الله، فعليه أن يسلك الطريق إلى ذلك، والمعتمد في ذلك عندهم، قوله تعالى في حديثه القدسي عن رسول الله أن الله قال: " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبّه فإذا أُحِبّته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته.² فالمريد عليه أن يجاهد ؛ وجهاده ليس بالأمر الهين فـ " عن أبي بكر الشبلي قال: قصدت الحلاج وقد قُطعت يداه ورجلاه وصُلب على جذع، فقلت له: ما التصوف؟ فقال: أهون منه مرقاة ما ترى.³ فإذا كان هذا الحال أهون من المجاهدة وبذل النفس في التّقرب

* - سورة التوبة، من الآية 111.

1 - يوسف زيدان، الطريق الصوفي، بيروت: دار الجيل، (ط1)، 1991م، ص 105.

2 - محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به أبو عبد الله، محمود بن الحميل، (ج3)، القاهرة: دار البيان الحديثة، (ط1)، 2003م، ص 247.

3 - الحلاج، الديوان، (وضح حواشيه وعلق عليه محمد ياسل عيون السود)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط2)، 2002، ص 45.

والطّاعة التي بها يكون الله مع عزّته وجلاله عين ويد ورجل عبده المتقرب إليه ويشعر هذا العبد بهذا عين الحقيقة، فالقضية ستتعدّى العين واليد والرجل إلى كل الكيان فلا كيان إذن، فماذا هناك غير الحق، فكل شيء عندها سيكون (هو). بما في ذلك (أنا)، ربما لو رأينا هذا الحال من هذه الوجهة لكان أهون علينا في فهم بعض الأحوال التي ينطق بها المتصوفة معبرين عن وجدهم وحالهم.

إذن فهذه المواضيع الثلاثة (المرأة، الخمرة، الحب الإلهي)، هي المواضيع الأكثر التي يتزاح فيها النص الصوفي عن غيره من النصوص، وسنلاحظ ذلك جليا عند دراستنا للانزياحات على مستوى الاستبدال.

ثالثا: الانزياح على مستوى محور التركيب :

" مما لا ريب فيه أن العناصر اللسانية في الخطاب المنطوق أو المكتوب، تخضع لإزاميا لسلطة الطبيعة الخطية للغة، فهي إذ ذاك ترتبط فيما بينها بعلاقات ركنية تقتضيها طبيعة اللسان اقتضاء... ويرتد ذلك في جوهره إلى مجموعة السنن أو القوانين التي تعتمد في الإجراء التأليفي بين العناصر المتعاقبة، التي تكوّن المتوالية التلفظية "¹ وهو ما يسمى بمحور التركيب." سنجد الموجه التّوعي للانزياح هنا مكونا من تغيير الخط العادي للسلسلة اللسانية (أي التأليف). ويجب أن تحدد السلسلة التي تمثل درجة الصّفر من طرف المعيار النحوي للغة الطبيعية. "² وهذا ما يصر عليه ويؤكدده، الجرجاني إذ يقول: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجّت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخلّ

¹ - أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1994 م، ص 9.

² - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر د/ محمد العمري، المغرب: أفريقيا الشرق، (دط)، 1999 م، ص 66.

بشيء منها.¹ لذلك ستسيطر تماما، في هذا العنصر من البحث، (مادّة النحو) كونها هي الخلفية النمطية التي سيقاس عليها معيار الانزياح.

ويمكن لهذه السلسلة المترابطة أن تخرق بعدة طرق، وقد حددت عند بعض الباحثين، كـ د/عبد الباسط محمود، في ثلاثة مباحث حددها في، الحذف، والاعتراض، والتقديم والتأخير.² غير أن آخرين، كانت لهم تسميات أخرى (فهنريش بليث)، يرى العمليات التي تخرق المعيار، في الزيادة والنقص والتعويض، والتبادل.³ قاصدا بالتبادل تبادل المواقع، ويكتفي بعضهم بذكر التقديم، والحذف، إذ "حين نذكر التقديم، فينبغي بداهة أن يغنيا ذلك عن ذكر التأخير، لأننا حين نقدم الخبر فأننا في نفس الوقت نؤخر المبتدأ، وحين نقدم المفعول فإننا نكون قد أحرنا الفاعل."⁴ لكن إذا كان هذا رأي البناء النحوي فإن النظرة الأسلوبية تختلف، كون الغرض قد يكون في هذه العملية التركيز على التقديم وحده، وقد يكون التركيز على التأخير وحده. ولنا أن نبين هذه الانزياحات في مستوياتها على النحو التالي:

1. الحذف: وهو "إسقاط لأحد عناصر التركيب اللغوي، هذا الإسقاط له أهميته في النظام التركيبي للغة، إذ يعد من أبرز المظاهر الطارئة على التركيب، المعدول بها عن مستوى التعبير العادي، وتتنوع مظاهر الحذف وتختلف من سياق لآخر، تبعا لملازمات هذا السياق أو ذاك، في سياقه الأكبر (النص)، هذا التنوع يعطي للحذف قيمته التعبيرية

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 128.

2 - ينظر عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ليبيا: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، (دط)، 2005م، ص 256.

3 - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص 67.

4 - أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، 1998م، ص 169.

...ويعت على دلالات جديدة، ويشرك القارئ في عملية التوصيل، من خلال إعطائه مساحة إلى التأويل والتقدير.¹

فيشارك المتلقي في بناء النص، وهو بذلك يجد المتعة المبتغاة من هذا الانزياح، و"الحذف يؤدي إلى عدول النسق التعبيري عن الاستعمال المألوف، بحيث إذا تعاملنا مع العبارة التي تشتمل على جزء محذوف، نرى هناك خللاً واضحاً خلافاً لما هو معهود يحكم به العقل أو السياق أو مقتضيات اللغة، ولا يمكن تجاوزه إلا باستكمال العنصر المحذوف ... ومن ثم لابد من البحث فيما وراء ظاهر الصياغة، والوصول إلى صورتها المثالية، أو بنيتها العميقة التي تحمل أصل المعنى، وللقيام بهذه التحولات لابد من تقدير عناصر محذوفة غائبة عن ظاهر الصياغة"².

ويمكن أن يسلط هذا الحذف على عدة مواقع من السلسلة الخطية للجملة، سواء كانت اسمية أو فعلية، ومما يقع فيه الحذف حسب الدراسات الأسلوبية لبعض النصوص المدروسة*، نسجل ما يلي:

أ- الحذف في الجملة الاسمية:

حذف المسند إليه في الجملة الاسمية:

بُنيت الجملة الاسمية في اللغة العربية على نمط محدد كي تؤدي معنى مفيداً، هذا النمط يوجب في الأصل ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، والمسند هو الخبر، أما المسند إليه فهو المبتدأ.³ والاستغناء عن أحد هذين الركنين يعد انزياحاً، وقد حدد

¹ - عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ص 257.

² - محمد صلاح زكي أبو حميدة، البلاغة والأسلوبية، القاهرة: جامعة الأزهر. (دط)، 2007م، ص 117.

* - ينظر طريقة د/ عبد الباسط محمود، في دراسته للغزل في شعر بشار بن برد.

³ - عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ص 259.

البلاغيون قيوداً لهذا الحذف¹ ومن أمثلة حذف المسند إليه قول ابن الفارض في تائيته الصغرى.²

سَرَت فأسرَّت للفؤاد غديّة أحاديث جيران العذيب، فسرَّت
مهيمنة بالروض لدن رداؤها بها مرض من شأنه براء عـلـي

فمهيمنة، خبر لمبتدأ مقدر، وهي تلك الريح التي سرت، ويبين د/ أحمد درويش مكن الجمال في ذلك فيقول: "إن سر جمال هذا اللون، هو أننا حين نحذف المبتدأ من العبارة، إنما ندعي أن ذلك المبتدأ حي في ذهن المخاطب، ومعلوم، ولسنا بحاجة إلى أن نورد مرة أخرى."³

حذف المسند في الجملة الاسمية: ومن ذلك قول ابن الفارض:⁴

تقدم كل الكائنات حديثُها قديماً، ولا شكل هناك، ولا رسمٌ
فقله ولا رسمٌ، مبتدأ سوغ ابتداءه بالنكرة، (لام النفي) وخبرها محذوف "هناك"

ب - الحذف في الجملة الفعلية:

حذف المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية:

الفعل والفاعل، هما المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية، عند حذفهما يكون الاكتفاء أحياناً بالمفعول المطلق، وأحياناً، بالمفعول به، وقد يكتفى بالمتعلق كالجار والمجرور.⁵

¹ - ينظر، أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، بيروت: دار القلم، (دط)، (د ت)، ص 83.

² - ابن الفارض، (الديوان)، ص 83.

³ - أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص 172.

⁴ - ابن الفارض، (الديوان)، ص 182.

⁵ - ينظر عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد، دراسة أسلوبية، ص 262-263،

من مواضع حذف المسند والمسند إليه، والاكتفاء بالمفعول به قول سمنون المحب*:1

ليس لي سواك حظ فكيف شئت فامتحنني

إن كان يرجو سواك قلبي لا نلت سؤلي ولا التمني

يريد أن يقول: (ولا بلغت التمني)، فإن كان السؤل ما ظهر طلبه، فهو بمثابة السؤل وهو شيء يريد الإنسان الوصول إليه، ولا بد له من مسؤول يُطلب منه، أمّا التمني فهو من الأمنية، وهي رغبة لا تحتاج الإظهار كالسؤل، ولأن الذي يريده الشاعر هو ما في قلبه، وهو الرجاء المنقطع لله وحده، فهو الأمنية، فلو صرح بالفعل والفاعل وقال: (نلت التمني) لنسب نيل فعل التمني لنفسه، وهنا سيشارك كل كيانه أمنية القلب المخصصة له وحده، وهو ما يأباه السياق، في الشرط وجوابه، (إن كان يرجو سواك قلبي لا نلت...) فنلاحظ في خرق القاعدة، لذّة هذه الانزياحات بالحذف جماليا ودلاليا.

2. التقديم والتأخير:

بعد ما رأينا أنواعا من الحذف التي تخرق نظام التجاور في السلسلة الخطية للنص، محدثة بذلك انزياحات الحذف، نتطرق لعمليتي التقديم والتأخير، إذ يحدث بهما نوع آخر من خلخلة البناء في محور التركيب، ينتج عن ذلك انزياحات، تُضفي على الخطاب الشعري جمالا، ولذّة يستشعرها المتلقي. وفيه يقول الجرجاني:"وهو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه؛

* - سمنون، لقّب بالمحب، شاعر صوفي، توفي ببغداد سنة 689هـ.

1 - مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، مصر: دار الكتاب العربي، (ط1)، 1998م، ص 10.

ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان.¹

في كلام الجرجاني إشارات جلية، إلى أهم ما يهتم به الدارسون اليوم، في نظرية التلقي، ففي الفقرة السابقة تسع إشارات للمتلقي، وهي (يفتر لك، يفضي بك، ترى، يروقك، ويلطف لديك، تنظر، تجد، راقك، لطف عندك). على أنك أنت المستمع، وأنت المقصود من الرسالة.

فالتقديم من الظواهر التي تخرق اللغة النمط، فـ "الألفاظ قوالب المعاني فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي، بحسب ترتيبها الطبيعي ومن البين أن رتبة المسند إليه التقديم لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير إذ هو محكوم به، وما عداهما فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لهما في الرتبة. ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه"² وهذا ما عبّر عنه الجرجاني إذ يقول: "واعلم... أنه لا بد من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظام الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر (أي بجهد) ولكنه شيء يقع بسبب الأول، ضرورة من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"³.

أ - التقديم في الجملة الاسمية:

تقديم المسند (الخبر):

ويقدم لعدة أغراض حدّدها البلاغيون، لكن الذي يهمنا منها، ما يكون ذا دلالة أسلوبية، تحمّل المعنى شحنة إضافية لا تكون، لو كان الأسلوب يتبع النمطية.

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 148.

² - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 92.

³ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 104.

ومن ذلك قول ابن عربي:¹

فقلت للريح سيري والحقي بهم فإنهم عند ظل الأيك قطان

وبلغيهم سلاما من أخي شجن في قلبه من فراق القوم أشجان

فشبه الجملة (في قلبه) خبر مقدم لعدة اعتبارات، وهي:

- اعتبار إيقاعي صوتي لتساوي موسيقى البيت مع سابقه من الأبيات (قطّان / أشجان / سكان)، وهذا لا يتأتى إلا بتقديم الخبر (في قلبه).

- اعتبار نحوي له بعد دلالي، كون أشجان نكرة، فهذا يبعد من حدها ويوسّع فيها بدون تحديد، وهذا التنكير يوجب تأخير المبتدأ، إذ ليس له مسوغ للابتداء بالنكرة في هذا المثال. وابن عربي هنا يخصص القلب، من كل كيانه، " إنه في مقام التلوين، فكى عنه بالقلب من تقلبه في هذه الأحوال والأحزان".²

تقديم المسند الواقع خبرا للناسخ. كقول رابعة العدوية:³

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وفي هذا التقديم من الروعة ما فيه من حيث السياق السابق له، فقد أوقعتنا رابعة في لذة الانزياح، في موضعين :

الأول منهما أنها عندما نفت الحمد عن نفسها في ذا وذاك واستدركت بـ (لكن)، توهمنا أن الحمد سيكون في شيء ثالث، فأنت عندما تقول ليس الكتاب لي وليست الكراسية لي، ولكن.... توهمنا أنك ستذكر شيئا لك. ولكن رابعة لم تفعل.

¹ - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص31.

² - نفسه، ص31.

³ - مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص 125.

الثاني أن نفيها كان من أجل تقوية الإثبات في التخصيص والإسراع بالخبر أنه (لَكَ)،
كأنها تقول: بل هو لك فيما نفيته عن نفسي وهو (ذا، وذاك).

ب - التقديم في متعلقات الفعل:

"الأصل في العامل أن يتقدم على المفعول، وقد يعكس ذلك فيقدم المفعول ونحوه من
الجار والجرور والظرف والحال"¹، ويعد هذا التقديم من الخروقات للنمط الخطي، في بناء
الجملة، حيث يستغله المرسل، عن قصد أو غير قصد، فيحدث به انزياحا يتجاوب معه
المتلقي، بقدر حسنه، ومن ذلك:

تقديم المفعول على الفعل:

الأصل في الجملة العربية أن تبني من، (فعل+فاعل+مفعول)، إذا كان الفعل متعدٍ. غير
أن هذا البناء، قد يتذبذب لعوامل أسلوبية، فتطوع القاعدة، ويحدث الانزياح، ولنتأمل
قول ابن الفارض إذ بنى الجملة من، (مفعول+فعل+فاعل) فيقول:

كبدِي سلبتَ صحيحة، فأمنن على رمقي بها، مــــنونة أفلاذا²

فكبدِي مفعول الفعل (سلب)، وفي تقديمه تهويل لما أخذ من الشاعر، إذ عجل بذكر
المسلوب، لتعظيم الخطب، وما جاء بعده أعظم، والمعنى "سلبت أيها المحبوب كبدِي
وأخذتها حال كونها صحيحة سليمة، فأنا الآن أَرْضَى أن تمن بها علي مقطعة قطعاً، لأن
الوجود خير من العدم."³

¹ - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص98.

² - ابن الفارض، الديوان، شرح الشيخين حسن البوريني وعبد الغني النابلسي، (ج1)، بيروت: دار التراث، (دط)،
(دت)، ص108.

³ - نفسه، ص 109.

تقدم المعمول (الجار والمجرور):

ومن ذلك قول عبد الرحيم البرعي* في مدح الرسول (ص):

1. وكم له من كرامات يخص بها ومعجزات كثيرات عرفناها
2. الثدي درّ له، والغيم ظلّله وانشق في الأفق بدر شق ظلماها¹

لو أن البرعي، قال في البيت (2) وانشق بدر في الأفق لذهب اهتمامنا، لما حدث من الانشقاق للبدر، لكنه هو منجذب لما حدث في الأفق وشق ظلام الكون، لذلك جاء كلامه موحيا بالاهتمام لموضع الانشقاق، وهو قوله: (في الأفق).

تقدم المعمول (الظرف) . ومنه قول ابن عربي:

لمعت لنا بالأبرقين بُروق قصفت لها بين الضلوع رُعود²

فقوله (بين الضلوع) معمول تقدم الفاعل (رعود)، وفي ذلك تخصيص لموقع القصف، وهو صوت الرعد، والذي يريد به مناجاة إلهية، إذ هو في حالة موساوية، برؤية البرق الذي يقابل النار، في مشاهدة كلم الله، والرعد الذي يقابل كلام المولى.

3. الاعتراض:

يعرفه أبو هلال العسكري بقوله: " الاعتراض كلام في كلام لم يتم، ثم يرجع إليه فيتمه"³ وينقله حسن طبل عن الحاتمي هو " أن يكون الشاعر آخذاً في معنى، فيعدل عنه

* - عبد الرحيم بن أحمد بن علي، البرعي، شاعر متصوّف من اليمن، توفي سنة 803هـ.

1 - عبد الرحيم البرعي، الديوان، (اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي)، بيروت: دار المعرفة، (ط1)، 2007م، ص264.

2 - ينظر ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 37.

3 - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، (تحقيق علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم)، بيروت: المكتبة العصرية، (ط1)، 2006م، ص360.

إلى غيره قبل أن يتم الأول، ثم يعود فيتممه فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول، وزيادة في حسنه.¹

فهو نوع آخر من فك المجاورة في البناء التركيبي للجمل، وانزياح يضيف على الرسالة ميزة أسلوبية يلتذ بها القارئ. وقد سماه البلاغيون بأسماء عديدة وعرفوه بتعاريف مختلفة، وحددوا وظيفته " وهي إمتاع المتلقي وجذب انتباهه بتلك التواءات أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير... لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد.²

ويمكن أن يكون في أي مكان من الجملة بين متلازمين، كالمبتدأ والخبر، أو الشرط وجوابه، أو الصفة وموصوفها، أو الفعل وفاعله ومفعوله. وهو بذلك الدخول المفرق بين المتلازمين، يحدث الانزياح، ومن ذلك:

أ - الاعتراض بين المبتدأ والخبر:

كقول ابن الفارض:

فوصفي، إذ لم تدع باثنين، وصفها وهيئتها، إذ واحد نحن، هيئي³

فالأصل (فوصفي وصفها، وهيئتها هيئي). غير أن الجملة المعترضة، جاءت لتسديد القول، فبه اتضح المعنى الصوفي الذي يرمي إليه ابن الفارض في ذوبان ذاته في محبوبه، وهو الذات الإلهية.

¹ - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، القاهرة: دار الفكر العربي، (دط)، 1998م، ص 18. (نقلا عن الحاتمي، حلية المحاضرة، ص 157).

² - نفسه، ص 26.

³ - ابن الفارض، الديوان، ص 42.

ب - الاعتراض بين الفعل وفاعله:

ومنه قول السهروردي*:

شربوا كؤوس الحبّ في حان الصّفا فتمايلت سكرًا بها الأرواح

بالانكسار تحملوا في حبه فبدا عليهم من رضاه سماح¹

لقد تمايلت الأقداح بهم لما شربوا كؤوس الحب، والاعتراض بـ (سكرًا) أكّد أن هذا من شدة السكر، كما تحمل المريدون في حبه شدة الانكسار لمحبوهم، فبدا عليهم لما تم رضاه (سماح)، وهو رقصة في العبادات عند المشائخ والمريدين، ولولا هذا الاعتراض (من رضاه)، لبقى سر رقصهم غائبًا. فنرى أن الجملة أو شبه الجملة أو الكلمة "المعتضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية، أو تسديدا، أو تحسينا".

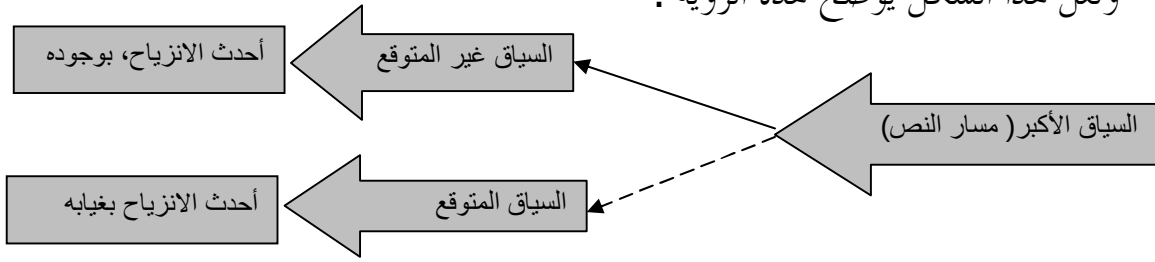
4. السياق:

لقد كانت المباحث الثلاثة السابقة، وهي (الحذف، والتقديم، والاعتراض) تقوم بعملية الانزياح، في البناء الداخلي للنص، في سيرورته الخطية، أما هذا المبحث في السياق، فإنه وإن كانت انزياحاته كذلك، في الحركة الخطية للكلام، إلا أنها تختلف عمّا سبق، بعدم دخول عنصر دخيل، أو حذف آخر في مسار الجملة، بل بتغير مفاجئ، وهذا ما سماه (ريفاتير)، بالسياقين: الأكبر والأصغر، إذ "ما يشير انتباهه (هو) التباين بين عنصرين نصيين في متوالية خطية من الأدلة اللسانية، (التصور المركبي) فالمفارقة ناتجة عن إدراك عنصر نصي متوقع متبوع بعنصر غير متوقع...العنصر غير الموسوم في هذا

* - شهاب الدين السهروردي يلقّب (الصوفي القليل) نسبة إلى مقتله بأمر من صلاح الدّين الأيوبي، شاعر صاحب فلسفة من أشهر كتبه (الإشراقية).

¹ - مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص21.

التعارض الثنائي هو السياق الصغير، أما السياق الكبير فهو الذي يسبق السياق الصغير.¹ ولعل هذا الشكل يوضح هذه الرؤية .



الشكل (3)

إن هذا الذي يذكره ريفاتير، هو ما عرف في البلاغة العربية بـ (الالتفات)، وعرف بأسماء أخرى، كالعدول، الصرف.. وغيرها من المصطلحات. وسنعرض في بحثنا إلى بعض أنواع هذه الانزياحات، في، (العدد، الضمائر).

أ- **الالتفات في العدد:** يرى د/ حسن طبل أن الالتفات في هذا المجال، يكون في عدة حالات حددها فيما يلي:²

- بين الأفراد والجمع، بين الأفراد والتثنية، بين التثنية والجمع.

ومن المفيد أن نشير هنا، إلى ما ذهب إليه (د/ عبد الخالق رشيد) في مقال له نشرته مجلة دراسات أدبية، حول العدول الصوتي، إذ جعل بعض أنواع الالتفات نوعاً من العدول الصوتي في القرآن فيقول: " يحدث العدول الصوتي باللجوء على الإجراءات الاستبدالية أيضاً، ويتم ذلك في أغلب الأحيان باستبدال الصيغ الدالة على العدد... كما في قوله تعالى: { واجعلنا للمنفقين إماماً } (سورة الفرقان 74) إذ من مستلزمات الظاهر أن يرد

¹ - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص 60.

² - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 88.

لفظ الإمام في هذا السياق على صيغة الجمع، لتحقيق المطابقة العددية.¹ ليتناسب ذلك صوتياً مع فواصل الآيات الأخر (سلاماً، مقاماً)، غير أننا وجدنا درسها في القصيدة لا يحتمل هذا التأويل، وإن كان التأويل الصوتي أيضاً غير مسلّم به، فميلنا إلى ما ذهب إليه حسن طبل أكبر.

ومن ذلك قول البرعي في حق سيد المرسلين متحولاً من الأفراد إلى الجمع:

1. لقد طال المطال علي لولا خيالك زار مضجعي استراقاً
2. وما شيء بأعظم من جسموم مفرقة وأرواح تلاقى
3. فكم سمح الهوى بدمي ودمعي وكلّني بكم ولها وشاقاً²

فقد خاطب البرعي ممدوحه بصيغة الواحد فقال (خيالك) في البيت الأول، ثم تحول إلى الجمع، في البيت الثالث فقال (بكم)، وصيغة الجمع جاءت أصلاً لأجل التعظيم والتفخيم، لكنها لم تجئ في لفظ (خيالك)، بصيغة الجمع، ذلك أن المعنى الذي حمّله (الخيال) في البيت أدى إلى معنى الإجلال والتعظيم المراد، فمجرد زيارة الخيال في المنام، خفف عليه وطأة البعد وطوله، بل الأبلغ في أداء المعنى المراد أن لا يكون المخاطب في خيالك بصيغة الجمع، حتى يُدرك المتلقي أن اقتراب أي شيء من بعض هذا المحبوب، كفيل بأن يخفف وطأة البعد فكيف بالمحبوب كله.

ب - الالتفات في الضمائر: في سياقات النص يتحول الشاعر من حين لآخر بين

الضمائر متنقلاً من سياق لآخر حسب متطلبات، التعبير والالتفات في مجال الضمائر يتحقق في صور المخالفة التعبيرية.

¹ - عبد الخالق رشيد، (مجلة، دراسات أدبية)، العُدول الصوتي وتناسب آي الذكر الحكيم، دورية فصلية محكمة، تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلّمية، العدد الثاني، جانفي 2008م، ص 52.

² - عبد الرحيم البرعي، الديوان، ص 147.

منها:¹ بين الغيبة والخطاب، بين الغيبة والتكلم، بين التكلم والخطاب، بين تذكير الضمير وتأنيثه، ومثال ذلك قول ابن عربي متنقلاً بين المخاطب إلى الغائب:

1. ألا يا حمامات الأراكة والبان ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
2. ترفقن لا تظهرن بالتّوح والبا خفي صبابتي ومكنون أحزاني
3. أطارحها عند الأصيل وبالضحى بحنة مششتاق وأنة هيمان²

فابن عربي، ينادي مخاطباً حمامات الأراكة والبان يقصد "واردات التقديس والرضى والتنزيه"³ بعدة كلمات تدل على صيغ المخاطب وهي: (ترفقن، لا تضعفن، لا تظهرن)، ثم يتحول في البيت الثالث، قائلاً (أطارحها) بصيغة الغائب إلى آخر القصيدة.

رابعاً: الانزياح على مستوى محور الاستبدال:

إذا كان محور التركيب يعتمد على بناء الجملة، حسب قواعد اللغة، فمحور الاستبدال، هو المتسع الفسيح الذي يسمح للمبدع باستعمال قدراته في الاختيار، والنظم، ويرى الدارسون أن "الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح".⁴

ويرى د/ صلاح فضل أن هذا المحور هو مجال التعبيرات المجازية التصويرية، من تشبيه واستعارة وغيرها⁵، وهنا نذكر قول (كولردج) الذي عرف به الشعر "إنه أفضل الألفاظ في أفضل الأوضاع".⁶

1 - ينظر، حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 103.

2 - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 40.

3 - ينظر المرجع نفسه ص 40.

4 - أحمد محمد ويس، الانزياح، ص 111.

5 - ينظر صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 119.

6 - محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي، بيروت: دار النهضة العربية، (دط)، (دت)، ص 291.

يقول د/ أحمد ويس : " يبدو أن (ريتشاردز) أول من أشار إلى أن الأمر في الاستعارة لا يراد به الإبدال بقدر ما يراد به عملية التفاعل؛ ذلك بأن المعنى الأساسي في الاستعارة لا يحتفي وإلا فلن تكون هناك استعارة؛ ولكنه يتراجع إلى خط خلفي وراء المعنى الاستعاري. وهكذا تقوم بين المعنيين علاقة تفاعل وتماه. ومن خلال هذه العلاقة وهذا التفاعل يبرز المعنى الاستعاري.¹

وفي قول د/ أحمد ويس أن ريتشاردز، أول من أشار إلى ذلك، فيه نظر، فعبد القاهر الجرجاني تحدث عن هذه القضية في أكثر من موضع من ذلك قوله: "الاستعارة إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء، لا نقلُ الاسم عن الشيء؛ وإذا ثبت أنها ادعاء معنى الاسم للشيء، علمت أن الذي قالوه من أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ونقل لها عما وضعت له، كلام قد تسامحوا فيه، لأنه إذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مزالا عما وضع له، مُقرّاً عليه.²

فقد وردت لفظة (ادعاء) في الفقرة السابقة أكثر من مرة في الحديث عن نقل الاسم، الذي ذكره ريتشاردز بمعنى الإبدال، والادعاء يفضي معناه اللغوي إلى إخفاء شيء وإظهار آخر، وهذا الإخفاء إنما هو الخط الخلفي في نص ريتشاردز، ومن الطبيعي أن يحدث تفاعل بين المخفي والمظهر هذا التفاعل هو الاستعارة ذاتها.

إن طواعية اللغة، وقدرة الشاعر، على الاستعمال هما العنصران الأساسيان في إحداث هذا النوع من الانزياح، رغم أن الأصل في، " مواضعة اللغات في مبدأ النشأة، أن يكون لكل دال مدلول واحد، ولكل مدلول دال واحد، غير أن جدلية الاستعمال تُرضخ

¹ - أحمد محمد ويس، الانزياح، ص 115.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 405

عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي بموجبه تتراح، الألفاظ تبعا لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية.¹

ونحن إذ نتحدث عن عملية الاختيار فذلك يعني وجود عملية اصطفاء، لوحدة لغوية من بين عدّة وحدات؛ وهذه الوحدات مجمعة في ذهن كل متكلم على شكل مجموعات، تدعى الحقول الدلالية.

من خلال ما تقدم يمكن أن نستخلص أن عملية الاستبدال تعتمد على عدة ركائز، وهي التي ستكون محاور دراستنا وهي:

- نظرية الحقول الدلالية.

- المجاز

- الأسلوب.

1. نظرية الحقول الدلالية:

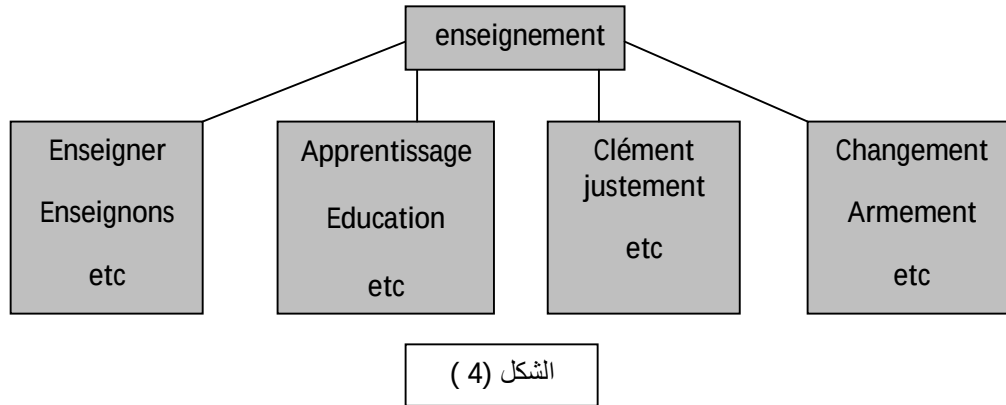
إن الحديث عن الحقول الدلالية، من أهم أركان المحور الاستبدالي، إذ هي المجال الذي يسمح لمؤلف الكلام بإجراء عمليات الاختيار، وقد عرفها سوسير (بالعلاقات الجمعية)، (les rapports associatifs) فيقول عنها: "إن مكان هذه الجمعيات (المجموعات) هو العقل؛ إنها تشكل جزءا من ثروته الذاتية، وهي التي تشكل لغة الفرد الخاصة به."² ويمكن أن نتصوره، " مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية. فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم

¹ - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 54.

V- Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale. Beja : Talantikit.2002,p 148.

² -

ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أخضر، أبيض"¹ وهذا لا يعني عدم دخول هذه الألفاظ في حقول أخرى، وهو ما أكد عليه دوسوسير إذ يقول: إن هذه المجموعات المتشكلة في الذهن، لا يتوقف ارتباطها مع الكلمات المشتركة فيما بينها، بل قد ترتبط في مجموعات أخرى بعلاقات غير الأولى ويضرب لذلك مثالا كما يلي:²



إذا كانت عملية الاختيار متاحة، لكل متكلم في اقتناء الكلمة التي يريدونها من حقل دلالي محدد، فإن الشاعر له القدرة على التنقل بين الحقول الدلالية، ممطيا صهوة المجاز، أو هو كما صورته، إبراهيم أنيس: "كالطائر الطليق يحلق في سماء من خيال وينشد الحرية فلا يسمح لقيود اللغة أن تلزمه حدّا معينا لا يتعداه... فلا غرابة إذن أن نرى في ترتيب كلماته أمرا غير مألوف أو معهود."³ إن هذا الأمر غير المألوف هو الانزياح الذي ننشده، فيثير فينا متعة التلقي.

إذا كان هذا دأب، الشاعر العادي (غير المتصوف)، فإن الشاعر المتصوف لا يتنقل بين هذه الحقول كالطائر فقط، بل يدخل هذه الحقول الدلالية ويضفي عليها أبعادا وصورا جديدة، توجب على المتلقي أن يكون ذا علم بهذا الفن، " وهذا يذكرنا بالعبارة المشهورة، عبارة الحلاج (أنا الحق)، كيف نفهم هذه العبارة، ما لم ندرس حياة قائلها

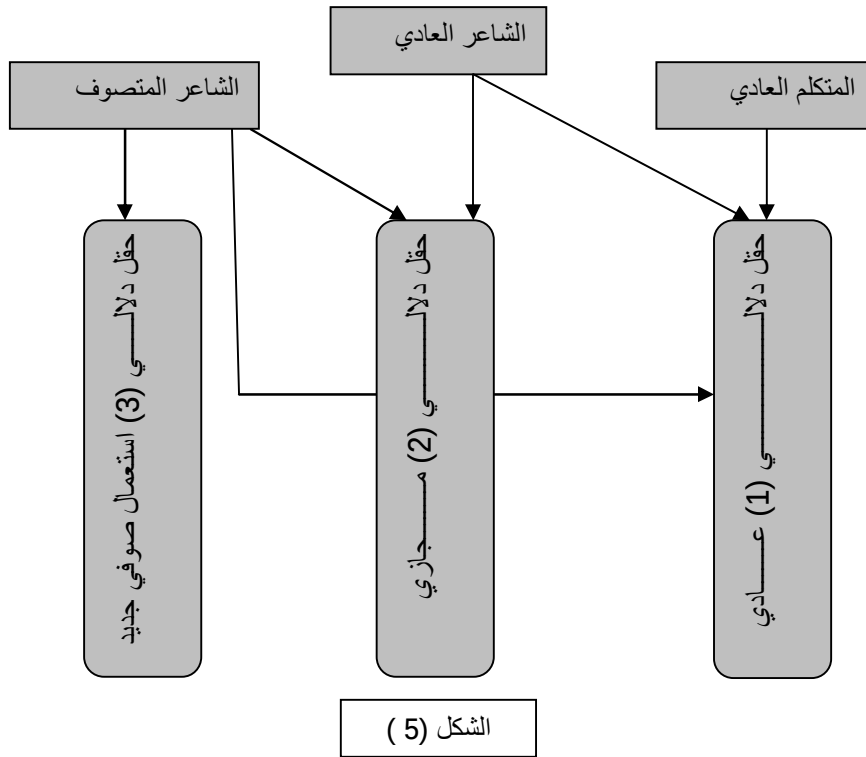
¹ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، (ط5)، 1998م، ص 79.

² - v, Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale, p 150.

³ - إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (ط6)، 1978م، ص 339-340.

ونتبين شخصيته ونتعلم تصوفه، ونضع أيدينا على التجارب التي مرّ بها.¹ لأن ألفاظه هي حاله الذي يعيشه، وبإدراك الحال يتاح لنا فهم لفظه.

وهذا الشكل قد يوضح هذا التمايز، بين المتكلم العادي والشاعر، والشاعر الصوفي في عملية اختيار الكلمات، من بين الحقول الدلالية.



فالمتكلم العادي إذا أراد استعمال (المرأة) في كلامه، فقد يختار الفتاة أو المرأة، أو البنت أو اسم أي أنثى مُستعملاً الحقل الدلالي للمرأة. بينما لو أراد الشاعر أن يستعمل ذلك قد يختار، لفظاً لم يوضع في أصله للمرأة، إنما تدركه من خلال قرينة، وهو ما يُعرف عند البلاغيين بالتعبير المجازي، ومثال ذلك قول أبي نواس:²

ظلي كأن الثريا فوق جبهته
والمشتري في بيوت السعد والسرجا

¹ - محمود السمران، علم اللغة، بيروت: دار النهضة العربية، (دط)، (دت)، ص 268.

² - أبو نواس، الديوان، (حققه وشرحه وفهرسه، سليم خليل قهوجي)، بيروت: دار الجيل، (ط جديدة)، 2003م، ص 197.

لوى على ضرج من خدّه سبجا نفسي فدت سبج الأصداغ والضرجا

فقد اختار أبو نواس الظبي لموصوفته، على طريق المجاز.

أما المتصوّف فإنه يتعدى هذا الحقل المجازي، إلى أبعد من ذلك، فهذا مثلاً قول ابن عربي.¹

ومن عجب الأشياء ظبي مبرقع يشير بعنّاب، ويومي بأجفان

ومرعاها ما بين الترائب والحشا ويا عجباً من روضة وسط نيران

فالشيخ بن عربي قد ذكر الظبي، الذي يفهم منه الأنثى، وقرائن ذلك حديثه، عن العنّاب والأجفان، لكن الذي يُفهم ليس ما يرمي إليه الشاعر، فهو ليس مثل مجاز أبي نواس السابق، فالظبي هنا يريد به لطيفة إلهية، ومرعاها بين الترائب والحشا من العلوم التي في الصدر، والحكم الإلهية.²

كذلك لو قارنا بين خمرة، أبي نواس وخمرة ابن الفارض فيما يلي: يقول أبو نواس:³

ساع بكأس إلى ناش على طرب كلاهما عجب في منظر عجب

قامت تربيني وأمر الليل مجتمع صبحا تولد بين الماء والعنب

ويقول ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامّة سكرنا بما من قبل أن يُخلق الكرم

لها البدر كأس، وهي شمس يُديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

¹ - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 42-43.

² - ينظر، نفسه، ص 42-43.

³ - أبو نواس، الديوان، ص 104.

والبدر هنا "هو العارف الكامل... والمدامة هي المعرفة الإلهية التي تفيض أنوارها في جميع الكائنات، أما الهلال الذي يديرها فهو المبلّغ عن العارف كأصحاب الأنبياء وتلاميذ العارفين، وإذا مزجت المعرفة الدنية بالمدارك الشرعية الدينية فكم يظهر هناك نور يُهتدى به. (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)."¹ ولنا أن نميز بين الصبح الذي رآه أبو نواس عند مزج خمرته، والنجوم الهادية التي رآها ابن الفارض، عند مزج خمرته، وإلى ما يرمي كل منهما. فكلاهما استعمل المجاز، غير أن البعد الصوفي، أحدث مجازا على المجاز، لذلك فالعامل في هذه الانزياحات هو المجاز، ومن المفيد أن نعرض هنا مفهومه.

2 . المجاز:

إن الكلام لا يعدو أن يكون واحدا من اثنين إما حقيقة أو غير حقيقة، فاللفظ " إن استعمل في معناه الموضوع له فحقيقة، وإن استعمل في غيره لعلاقة مع قرينة إما مانعة من إرادة المعنى الأصلي فمجاز، وإما غير مانعة فكناية."² وإدراك المعنى المراد يتطلب منا تأويلا.

لذلك سنحتاج في كل دراسة للبنى الشعرية- لاسيما في الشعر- القيام بعملية التأويل، ويعود ذلك إلى أن " الشعرية... لا تكمن في كسر البناء، أو في عفوية الشاعر، وعمده نهجا معينا، بل المجاوزات تسبق إلى خاطره، فيبني عليها إبداعه الشعري، وعندئذ تصبح المنافرة تلك جزءا من خبرته الشعرية، فتستحيل ملمحا أسلوبيا يقبل، التأويل، والتحليل."³ ومن هنا يبدو أنه لا يشترط توحد رؤى الدارسين في تأويلاتهم، كون التأويل عملية وإن كانت تخضع لشروط، تعطي فسحة للمتلقي الدارس في إعادة بناء النص حسب ثقافته وقدرته على السبح بين الحقول الدلالية، وذلك مذهب التفكيكية.

1 - عمر بن الفارض، شرح الديوان، (ج2)، ص 174.

2 - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 193.

3 - رابع بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، ص 225.

وقد أعطت البلاغة العربية، والغربية للمجاز، وبصورة خاصة (الاستعارة)، أهمية كبرى في دراستها للنصوص، وذلك لكثرتها في الاستعمال العربي، حتى أن ابن جني اعتبر أكثر كلام العرب مجازاً، يقول " اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجازاً لا حقيقة "¹.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن تتبع تفرعات المجاز وما ينجر تحته من أنواع الاستعارات المتعددة والكنائية، وغيرها ليس هو مبتغانا من هذه الدراسة، وهذا في الواقع مذهب كثيرين ممن حللوا بعض النصوص الأسلوبية، فهذا حسن ناظم في دراسته لقصيدة (السياب) يقول: " لن نتقيد - هنا - بالتحديدات البلاغية للاستعارة وأصنافها، ومن ثم، لن نحاول إجهاد أنفسنا بتتبع الاستعارات وتسمية أصنافها، وتبيين الحدود بينها وبين أنواع المجازات الأخرى التي حرصت الدراسات البلاغية - على وفق رؤيتها التصنيفية المقننة - على ضبطها، بل سننظر إلى الاستعارة بوصفها نقلاً للمعنى بأوسع معاني هذا النقل... سنأخذ الاستعارة- هنا - بمعنى واسع، وربما ندرج ضمنها ما هو غير مصنف بلاغياً ضمن مقولة الاستعارة."² ذلك أن الغرض هو البحث عما يحدثه اختيار المؤلف من انزياح أثناء التركيب، وما ينتج عن ذلك من إثارة المتلقي جمالياً، ويوحى إليه بمعنى دلالي يكسر المؤلف ويخترق قواعد البناء الساذج في الدرجة الصفر على حد تعبير (ماروزو).³

3. الانزياح في الأساليب:

قسم البلاغيون الكلام إلى أسلوبين، " فإذا أراد الأديب أن يعبر عن أفكاره ومشاعره وأحاسيسه فلن يخرج عن أحد أسلوبين، إما خبري وإما إنشائي."⁴

¹ - ابن جني، الخصائص، (ج2)، تح محمد علي التّجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (دط)، (دت)، ص 447.

² - حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص 219.

³ - ينظر، عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 95.

⁴ - عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد، ص 311.

فالخبري فهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، أو هو ما يتحقق مدلوله على النطق به ومن خلاله يكون الاسترحام وإظهار الأسف، والضعف، وتحريك الهمة، والمدح، والتوبيخ، والفخر، والوعظ وغير ذلك.¹ وقد تبدو هذه الأغراض في ظاهرها كذلك، بينما يتزاح معناها إلى دلالة أخرى في الشعر عامة والصوفي خاصة، ويُدرك المتلقي هذا الانزياح من خلال السياق.

أما الإنشائي فـ " هو من الكلام ما لا يحتمل التصديق أو التكذيب وهو على ضريين:

الإنشاء الطلبي، وغير الطلبي، ويذكر، أحمد مصطفى المراغي، أن الذي يهتم البليغ بالبحث فيه هو القسم الأول - أي الطلبي - لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الثاني.² وسنحاول إعطاء نماذج من الشعر الصوفي مقتصرين على هذا النوع؛ أي الطلبي.

- التمني: "وهو طلب حصول شيء مرغوب بشرط المحبة واللفظ الموضوع له (ليت)."³

- ومنه قول عبد الغني النابلسي*:

والصَّبَا يذكرنا عهد الصَّبَا ليت بالأمس لي كان غدا⁴

1 - ينظر، راجي الأسمر، علوم البلاغة، بيروت: دار الجليل، (دط)، 2005م، ص 20.

2 - ينظر، أحمد مصطفى المراغي، البلاغة العربية، ص 60.

3 - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، (قرأه وكتب حواشيه وقدم له، ياسين الأيوبي)، بيروت: المكتبة العصرية، (ط1)، 2002م، ص 99

* - هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي، (1050 - 1143هـ)، شاعر وأديب ومتصوف، ولد ونشأ في دمشق وتوفي فيها، له تأليف كثيرة، منها (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية).

4 - عبد الغني النابلسي، ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، (ضبطه وعلق عليه، محمد عبد الخالق الزناتي)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 2001م، ص 150.

فالشاعر استعمل التمني بـ (ليت) التي تفيد طلب الحصول على شيء، لكن كيف السبيل للحصول على أمر يعد مستحيلاً، وهو جعل الأمس غداً، فهذا الخروج عن النمط الأصل هو الذي مكّن الشاعر من إبلاغ رسالته للقارئ في شدة الارتباط بهذه الرغبة، حتى ولو كانت من قبيل المحال.

- الاستفهام: " وهو طلب العلم بشيء بأدوات معروفة، وأدواته أو ألفاظه الموضوعية

له هي: الهمزة وهل وما ومن وأي وكيف وأين وأنى ومتى وأيّان.¹ ومنه قول ابن عربي:

1. هي بنت العراق بنت إمامي وأنا ضدها سليل يمني

2. هل رأيتم، ياسادتي، أو سمعتم أنّ ضدين قطّ يلتقيان؟

يشير ابن عربي في البيت الأول إلى الحقيقة الربانية التي نسبها للعراق، أي أصل الشيء " أصل شريف له التقدم بما ذكر من الإمامة، وأنا يمان من حيث الإيمان والحكمة... وإنما جعله ضداً لما ينسب إلى العراق من الجفاء والشدة والكفر، فهو ضد ما ينسب إلى اليمن.² فالسؤال بهل في البيت الثاني لا يريد به الاستفهام، بل استنكار اجتماع الضدين في الظاهر.

- الأمر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء.³ وله عدة صيغ منها فعل الأمر،

وأسم فعل الأمر، والمصدر النائب عنه (صبرا، سعياً). وقد تخرج صيغ الأمر عن مقتضى الظاهر، فتدل على معان غير معناها الأصلي.³ وذلك في الواقع مبتغانا إذ يشكل خروجه عن معناه الأصلي، انزياحاً يحمل دلالة جديدة. ومنه قول الحلاج*:

1 - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص 100.

2 - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 84.

3 - ينظر، الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص 104.

* - هو الحسين بن منصور بن يحيى، ولد سنة 244هـ بالبيضاء بفارس وقتل في بغداد سنة 309هـ، قصّة قتله شهيرة وتدعى (مأساة الحلاج).

1. مواصلي بالوصل صلي وصل وصالا بلا تجني
2. زعمت أنّي فنيّت عنّي فكيف لي بالدنو منّي
3. إذا دنا منك لي فؤادي فلا تسلي وسله عنّي
4. مواصلي بالصّدود لما بحق حق الصّدود صلي¹

فقد وردت صيغة الأمر في البيت الأول مرتين (صلي، وصل) وفي البيت الثالث مرّة (سلّه)، وفي البيت الرابع كرّر الأمر (صلي). وصيغة الأمر هنا تحمل معنى الرجاء والتّذلل في الدّعاء، لا الأمر وفي هذا انزياح عن مقتضى الظّاهر، ويتّسع هذا المعنى ويتعمّق عندما يكشف عن حاجة الشاعر لما يطلبه.

- النّهي: "وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء. وله حرف واحد وهو (لا) الجازمة... وقد يستعمل النّهي في غير طلب الكف أو الترك، فتخرج صيغته عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخر تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال." ² وبذلك يحدث لدينا الانزياح، ومن ذلك قول ابن الفارض:

و إذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى³

من اللطيف والغريب أن يجتمع في هذا البيت، السؤال، الذي هو التذلل المطلق، ثم يليه الأمر الذي يكون في الأصل طلباً على وجه الاستعلاء، ممن كان له متذللاً، ثم يعقبه بالنهي (لا تجعل) وفي هذا النّهي انزياح عن طلب الكف على وجه الاستعلاء، إلى معنى التذلل والاستعطاف.

¹ - ينظر، أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية، عمان: مجد لاوي، (ط1)، 2202م، ص 136، 137.

² - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص 106.

³ - ابن الفارض، الديوان، ص 128.

- النِّداء: " هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) أو (أنادي)، والأصل أن تكون الهمزة وأي لنداء القريب، وما سواهما لنداء البعيد... لكن قد يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر، فيتزل البعيد منزلة القريب." ¹ ويحدث هذا الخروج عن النمط الأصل، متعة عند المتلقي فضلاً عما يحمل من دلالات جديدة في النص الشعري. ومنه قول الحلاج:

لييك لبيك، يا سرّي ونجوائِي لبيك لبيك يا قصدي ومعناي ²

أدعوك، بل أنت تدعوني إليك، فهل ناديتُ إياك أم ناديتَ إيَّاي

" وهنا تعبير بليغ عن تعقد صيغة النداء، ليس على المستوى اللغوي فحسب، وإنما بما تحمله من إشارات ودلالات على تعقيد الحالة الصوفية المنتجة لها... فلم يعد قادراً على التمييز بين المنادي والمُنَادَى، (من ينادي من؟) ³ هذا بالإضافة إلى كون الحق، قريب والنداء بالياء للبعيد، غير أن هذا الاستعمال يوحي بدلالة عظم الحق وتمازج ذلة العبد فلا يكونان في منزلة واحدة.

يمكن أن نخلص من خلال ما مرّ من استقصاء، خوارق محور التركيب، أن الانزياحات كانت مؤسسة على مخالفة أنماط النحو، المقعدة لبناء الجملة سواء تعلق ذلك بحذف عنصر أو تقديمه، أو دخول عنصر معترض، بين عناصر من حقها التجاور، ولم يكن هذا الدخول إلا ليرز ظاهرة أسلوبية، تنتج عنها دلالة إضافية، تُحدث أثراً يستحسنه المتلقي، لذلك لم نذكر بعض الأمور، كحذف خبر لولا في باب الحذف لأن حذفه واجب، وكنا ربما نذكره انزياحاً لو خالف القاعدة وذكّر، ولم نذكر في التقديم تقديم المفعول إذا كان ضميراً، كقولك (علّمني فلان) كونك لا تستطيع فصله، رغم أن عبد

¹ - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص 106.

² - أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية، ص 142.

³ - نفسه، ص 144 - 145.

الباسط محمود عدّ كل ذلك في تحليله لديوان بشار، من السمّات الأسلوبية. والأصل حتى فيما هو انزياح إذا كثر استعماله فإنه يفقد خاصية المخالفة.

ومع ما تعلق بالتقديم والحذف والاعتراض، كان للسياق دور، في خلخلة البناء التركيبي وهو ما يقوم به الشاعر من تنقّل من أسلوب إلى أسلوب لغرض جمالي ودلالي.

أما ما تعلّق بالانزياحات، في محور الاختيار، فهو نتيجة تنقل الشاعر من حقل دلالي إلى آخر، بقرينة رابطة مع المستبدل، وكلما كانت تلك القرينة بعيدة، وغير واضحة كلما كانت درجة الانزياح أكبر وأمتع. وهذا ما يحدث التعبيرات المجازية، كذلك لاحظنا انزياحات في استعمال الأساليب الإنشائية، في خروجها عمّا وُضعت له من تمّني واستفهام ونهي ونداء وأمر.

الفصل الأول

الأمثلة على التركيبية في راية الأمير

1. الحذف.

2. التقديم والتأخير.

3. الاعتراض.

4. السباق.

مدخل: بعدما حاولنا في الفصل التمهيدي دراسة الانزياحات، ومستوياتها ممثلين لذلك بعدة أمثلة من مصادر شعرية صوفية، ها نحن نحاول من جديد تطبيق تلك الدراسة، على قصيدة صوفية للأمير عبد القادر، من أهم قصائده، وأطولها، وهي من البحر الطويل ذات قافية مطلقة، رويها حرف الراء، و مجراها الضمة، بلغت أبياتها مائة وأحد عشر بيتا، وقد سمّاها ممدوح حقّي في ديوانه (أستاذي الصوّفي) وكذلك فعل (د/ عبد الرزاق بن السبع) في كتابه الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، وعلّق عليها فقال: " تعتبر من عيون قصائده الموثقة رواية ونسبة، حتّى أنّ د/محمد سيّد الوزير يراها أجمل و أطول مدائحه وربّما قصائده كلّها."¹ وهذه القصيدة كغيرها من الشعر الصوفي يعتمد على الرمزية، ويتوقف مدى فهمه على قدرة القارئ، أو "القارئ العمدة" في تعبير ريفاتير فإن هذا العدد — 111 - له رمزه الخاص الذي يرسله الأمير للقارئ، إذ يشير الأستاذ (عبد الباقي مفتاح)، أن هذا العدد مجموع أعداد الحروف (ق ط ب) في حساب الجمل²، إذ نلاحظ أن:

- الحرف قاف = 100 .

- الحرف طاء = 9.

- الحرف باء = 2.

وبالجمع (111=2+9+100) بذلك فهو يرمز لقبطية شيخه الذي قصده في القصيدة. ويذكر محمد ابن الأمير، أن الفتح قد وقع للأمير في مكة في غار حراء، وجاءته

¹ - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص 157.

² - الأمير عبد القادر، المواقف، ج2، ص 610.

البشرى فكتب إلى حضرة شيخه (محمد الفاسي) * هذه القصيدة، يصف له بدايته، ونهايته، ويثني على الله بما أولاه على يده¹.

في البداية سنتعرض إلى الانزياحات في مستوى التركيب وهي الانزياحات الواقعة في التأليف الخطي، " وعلاقات التأليف تتحرك أفقياً، وتعتمد على التجاور بين الوحدات المؤلفة، وهذا بحكم الصلة بين هذه الوحدات، حيث تكون صلة تآلف تبادلية... وطبيعة هذه العلاقة تقوم على المغايرة فكل كلمة في الوحدة هي مغايرة للآخرى... ولا تجمع بينهما إلا قابليتهما للتجاور"² لذلك يعد كل كسر لهذا التجاور انزياحاً، وكمثال لذلك نلاحظ ما يلي:

أحمد	كـ	الأسد	في	الشجاعة
------	----	-------	----	---------

الشكل (6)

نلاحظ بعملية فك المجاورة، يحدث خرق للقاعدة ، بالفصل بين المبتدأ والخبر، مقدمين الجار والمجرور، كمثال، وهي إحدى أكثر الخروقات في السلسلة الخطية للتأليف.

أحمد	في	الشجاعة	كـ	الأسد
------	----	---------	----	-------

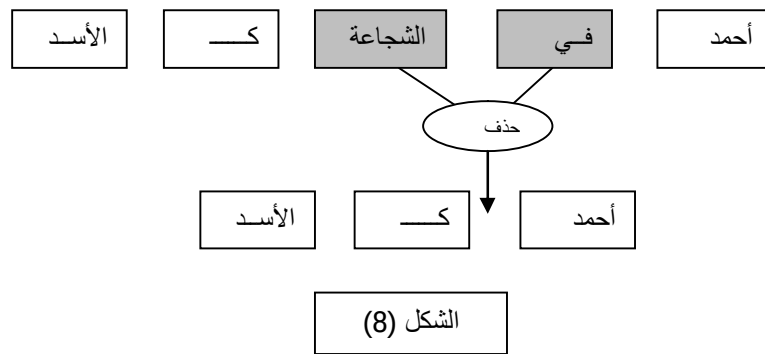
الشكل (7)

* - " سيدي محمد الفاسي (1289 هـ) قرأ القرآن في بدايته بالمغرب الأقصى، كان أشياخه رضي الله عنهم يتعجبون من شدة اطلاعه، وسرعة حفظه، خدم رضي الله عنه الأولياء إلى أن خدمته الأقطاب، ألف كتباً كثيرة، منها (الكثر المطلسم)، و(الفتوحات الربانية، والإجازة المدنية)، و(مراتب الدّين ونهاية العارفين)، وقد انتقل إلى رضوان الله تعالى، ودفن في المعلي بمكة المكرمة سنة، ألف ومئتين وتسع وثمانين هـ . " نفلا عن طبقات الشاذلية الكبرى، تأليف علي بن محمد بن قاسم الكوهن الفاسي المغربي.

¹ - ينظر محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، (شرح وتعليق ممدوح حقي)، بيروت: دار القيقظة العربية، (ط2)، 1964م، ص695.

² - عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط4)، 1998م، ص38.

وبأجراء عملية أخرى لفك هذا التجاور من جديد، وذلك بحذف عناصر من السلسلة، نحدث خرقاً آخر، ينشأ عنه انزياح، ويمكن أن نواصل الحذف (للكاف) و(ال) التعريف في الأسد، في مرحلة أخرى.



في المثالين السابقين حدثت عمليتان أساسيتان في دراسة الانزياحات، كونهما خرقاً السلسلة الخطية، وفكنا التجاور فيها، الأولى وضحت عملية التقديم والتأخير، والثانية وضحت عملية الحذف، وينبغي الإشارة أن الخرق الذي نتحدث عنه، ليس ابتداءاً لقواعد جديدة لأن، "إمكانات اللغة وقواعدها تتيح للمبدع ألواناً كثيرة من التصرف وحينئذ فإن مكن قوته لا يكون في أن يجترح لنفسه قواعد جديدة، وإنما في أن يكرس هذه الإمكانيات لبناء ما يريد على نحو جديد أو يشبه الجديد. وفي هذا أيضاً يكمن الفارق بين المبدع و(بين) غير المبدع."¹

و إذا كانت الحركتان السابقتان، قد أحدثتا خلخلة، في بناء الجملة بالحذف أو التبديل، محدثة بذلك سمة أسلوبية، "فهناك غيرها من الأنماط النحوية ما يكون في استعماله سمة أسلوبية كما يتضح في استخدام الجمل المعترضة بين أجزاء الجملة الاسمية"² وهذا مثال يبين ظاهرة الزيادة، بالاعتراض.

¹ - أحمد محمد ويس، الانزياح، ص 126.

² - محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو، الإسكندرية: دار الدعوة، (ط1)، 1988م، ص 19.

أحمد	ذلك الفتى الطويل	كالأسد	في	الشجاعة
------	------------------	--------	----	---------

الشكل (9)

يمكن أن نعتبر الحالات الثلاثة، السابقة ذات صلة بالجملة، أي ما يقع فيه الانزياح داخل الجملة، لكن هناك نوع آخر من التركيب داخل النص" هو تركيب مجموع الجمل بعضها مع بعض كي تشكل في نهاية الأمر بنية النص كله. وعلى ذلك فثمة مستوى تركيب الكلمات في الجملة، ومستوى تركيب الجمل في نص، والانزياح وارد في كلا المستويين.¹

فما كان متعلقا بالجملة، هو ما سبق ذكره من حذف وتبديل واعتراض، أما ما تعلق بتركيب الجمل، فيدخل في مجال السياقات، وقد تحدث عنه البلاغيون، في باب الالتفات، وهذه الأوجه التي ذكرناها هي ما نريد أن نرصده في نص الأمير، على النحو التالي:

أولا: الحذف:

وهو من السمات الأسلوبية المميزة، لدوره المهم في الربط بين المرسل والمتلقي، فهو أحد متنفسات القارئ لإعمال تجربته في النص، ومنه المشاركة في البناء الجديد، وذلك سر جماله، وفيه يقول الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للفائدة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين."² ويحدث هذا الحذف في الجملة الاسمية كما يحدث في الجملة الفعلية، تاركا فراغا بين عناصر التركيب، وتبقى مهمة المتلقي في تقديره أو الشعور به، ومن أمثله ما يلي:

¹ - أحمد محمد ويس، الانزياح، ص128.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 177.

أ - الحذف في الجملة الاسمية:

حذف المسند إليه في الجملة الاسمية:

يعد المسند إليه والمسند، الركنان الأساسيان في الجملة الاسمية، وهما على التوالي المبتدأ والخبر، ومن مواقع حذف الخبر في قصيدة الأمير، نجد قوله¹:

1. أمسعود! جاء السعد، والخير، والبشر وولت جيوش النحس، ليس لها ذكر
2. ليالي صدودٍ، و انقطاع وجفوة وهجران سادات، و لا ذكر الهجر

(ليالي صدودٍ) خبر لمبتدأ محذوف تقديره تلك، أوهي، وب حذفها استطاع الأمير أن يشعرنا بثقل تلك الأيام، فكأنه قال قبلها (آه)، من الحسرة، بينما لو ذكر المبتدأ، وقال (هي ليالي..) ما كنا لنستشعر، حسرة في قولها. " ثم أنك ترى نصبة الكلام، وهيئة تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ، وتباعده عن وهمك، و تحتهد أن لا يدور في خلدك، ولا يعرض لخاطرك "2 فكأن هذا الخبر (ليالي صدود)، يحمل في ذاته المبتدأ والخبر، بعبارة أخرى هو الموضوع والمحمول.

ويقول الأمير في موضع الحديث عن البطاح³:

13 - بطاحٌ؛ بها البيت المعظم، قبله فلا فخر إلا فوقه، ذلك الفخر

14 - بطاحٌ، بها الصّيد الحلال محرّم ومن حلّها، حاشا يبقى له وزر

بطاح في البيت الثاني والثالث، جاءت خبراً لمبتدأ محذوف، يقدره المتلقي، وبعدم ذكر هذا المبتدأ، فسح لنا المجال للإحساس بمدى نشوة الأمير، بذكره هذه البطاح، والقرينة

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 182.

2 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 182.

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 184.

الدالة على النشوة، يوضحها البيت الأول، بأن البشر تم بها، عكس المثال الأول الذي كانت قرينته دالة على شدة الحسرة، في (ليالي صدود) وهي قوله (جيوش نحس). وفي حديث عن شيخه يقول الأمير:

25- محمد الفاسي له من محمد صفى الإله الحال والشيم الغر¹

30- "صفوح يغض الطرف عن كل زلة لهيته ذل الغضنفر والنمـر

31- هشوش بشوش يلقي بالرحب قاصدا وعن مثل حب المزن تلقاه يفتـر

34- ذليل لأهل الفقر لا عن مهـابة عزيز ولا تيه لديه ولا كبر²

36- حريص على هدي الخلائق جاهد رحيم بهم برّ خبير له القـدر³

في هذه الأبيات ، وردت أخبار كلها عن شيخ الأمير، مبتدأها محذوف، وهي : (محمد الفاسي، صفوح، هشوش، ذليل، عزيز، حريص، رحيم). و لنا أن نقدر المبتدأ في هذه الأخبار كلها بـ (هو). حيث يجعلنا الأمير واضعين صورة له في أذهاننا، وما ينقصنا إلا بعض الإخبار عنه.

والملاحظ أن ورود الخبر الأول باسم الشيخ مصرحا عنه بذكر اسمه، جاء نتيجة ما سبقه من حديث عنه فيه تشويق لمعرفة يقول: (عياذي ، ملاذي، عمدي، كهفي، غياثي، محيي رفاقي)، فكأنه يقول هل تريد الآن أن تعرفه؟ هو محمد الفاسي، بحذفه للمبتدأ (هو)، مستغنيا عن ذلك بما صار في ذهنك من صور له.

¹ - السابق، ص 187.

² - نفسه، ص 188.

³ - نفسه، ص 189.

ويذكر عبد القاهر مواضع أخرى " يطرد فيها حذف المبتدأ: (مثل) القطع والاستئناف؛ يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر، بخبر من غير مبتدأ.¹"

و أمثلة هذا الحذف الأسلوبى، لابد أن ترمي إلى دلالة ما، هذه الدلالة يبينها السياق، وتؤدي معنى يضيفي على النص جمالا يستلذه المتلقي، إذ لو ذكر المحذوف لفقدت المتعة أو على الأقل نقصت " فلا ينبغي أن تقتصر على القول بأن المسند إليه قد حذف... وإنما علينا أن نحاول النفاذ إلى بعد دلالي آخر يعين عليه السياق، ويؤازره.²"

ومن الحذف بعد القطع والاستئناف في رائية الأمير نجد قوله:³

21- و أعني به: شيخ الأنام، و شيخ من له عمّة، ذي عذبة، وله الصدر

22- عياذي، ملاذي، عمدتي، ثم عدتي وكهفي؛ إذا أبدى نواجذه الدهر

23- غياثي من أيدي العداة، ومنقذي منيري، مجيري، عندما غمّي الغمر

24- ومحبي رفاقي؛ بعد أن كنت رمة و أكسبني عمرا، لعمرى هو العمر

تكلم الأمير في البيت الأول، عن شيخه، ولم ين عن اسمه، وأتى بأخبار متعددة في الأبيات الموالية مبتدؤها محذوف، (عياذي، ملاذي، عمدتي، ، عدّتي، و كهفي، غياثي...) وقد تطلب الوضع هذا الحذف، لحالة الأمير الشاعرية أثناء حديثه عن شيخه، إذ الأصل أن يقول هو عياذي، هو... هو... إذ يُقدّر هذا الضمير بالمسند إليه المحذوف، لكن في الضمير (هو) إيجاء بالبعد كونه ضمير غائب، و الأمير في وضع يستدعي القرب، بل شدة

1 - السابق، ص178.

2 - شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، القاهرة: دار الفكر العربي، (ط2)، 1996م، ص206.

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص186.

القرب، و ترجمَ هذا الحذفُ ذلك القرب، حتى يتهياً للمتلقى، وكأن الأمير ينادي، لا يخبر والنداء يستوجب حضور المنادى بل و استماعه لمناديه، غير أن قرينة الإخبار، حاضرة في قوله: (إذا أبدى نواجذه الدّهر)، وقوله: (عندما غمني العمر). مما يعيدنا للشعور بهذا الحذف.

ومن ذلك أيضا قوله في موضوع الخمرة:¹

65- و يشرب كأسا صرفة من مدامة فيا حبذا كأس ويا حبذا خمر

68- معتقةٌ من قبل كسرى مصنونةٌ وما ضمها دنّ ولا نالها عصر

وهذا في مقام حديثه عن خمرة القوم، وقد سبق الحديث عنها في أبيات قبلها وسيلحق بعدها أيضا، فالبيت الثاني مبدوء بخبر (معتقة) مبتدأها مقدر (هي)، وعادة ما يأتي الشعر الصوفي بهذا الأسلوب، أثناء الحديث عن الخمرة، كقول ابن الفارض:²

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

صفاء ولا ماء، ولطف ولا هواء ونور ولا نار، و روح ولا جسم

فالملاحظ أن الحديث عن الخمرة قد ذكر أولا قبل وقع الحذف، وحدث بعد ذلك قطع، ثم استئناف، فالشاعر سيخبر عن شيء واقع في الذهن وكأنه بهذا الحذف يوحي إلى المتلقي أنه يعلم أنه معه، ويتابعه فالحاجة إذا للخبر، وفي هذا فسحة لمشاركة هذا الأخير تفكير الشاعر، "و من هنا وجب تناسي وجود المحذوف تماما، و إبعاده عن الوهم بحيث لا

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص196.

² - عمر بن الفارض، الديوان، ص182.

يدور في الخلد، ولا يعرض للخاطر.¹ وبوضع النتائج السابقة في جدول، يمكن أن نحدد المواضيع التي كان فيها هذا الحذف، ودراسة مواطن الكثافة فيها والرجوع إلى أسبابها.

حذف المسند إليه في الجملة الاسمية.			
الموضوع	المسند	المسند إليه (المقدر)	
ليالي الأمير	ليالي	هي	1.
الشيخ	محمد الفاسي	هو	2.
الشيخ	صفوح	هو	3.
الشيخ	هشوش	هو	4.
الشيخ	ذليل	هو	5.
الشيخ	عزیز	هو	6.
الشيخ	حريص	هو	7.
الشيخ	رحيم	هو	8.
الشيخ	عيازي	هو	9.
الشيخ	ملاذي	هو	10.
الشيخ	عمدتي	هو	11.
الشيخ	غياثي	هو	12.
الشيخ	منيري	هو	13.
الشيخ	مجيري	هو	14.
الخمرة	معتقة	هي	15.

الجدول (2)

الملاحظ من خلال الجدول، أن حذف المسند إليه (المبتدأ)، كان في خمسة عشر موضعاً، منها ثلاثة عشر، متعلقة بالشيخ، وواحد بالأمير، وآخر بالخمرة. وقد حدّد البلاغيون الأغراض التي يحذف المسند إليه لأجلها منها:

¹ - راجي الأسمر، علوم البلاغة، ص316.

- ظهوره بدلالة القرائن.
- ضيق المقام عن إطالة الكلام.
- المحافظة على سجع أو قافية.¹

وإذا تأملنا مواطن الحذف، عند الأمير لا نجد ما يبرر ضيق المقام فيها، ولا السجع، ولا القافية، فهي لم ترد في أواخر الأبيات، لذلك يكون الحذف، لغرض الظهور بدلالة القرائن. وكان ذلك في المواضع التي ذكر فيها شيخه، وفي هذا دلالة على حضور الشيخ في فكر الأمير، الذي جعل من المتلقي، مشاركاً له هذا الحضور وسيظهر ذلك عندما سنقارن بين هذا الحذف، للمسند إليه وبين الحذف الموالي للمسند.

حذف المسند في الجملة الاسمية:

كما يُحذف الركن الأول من الجملة الاسمية، يمكن أن يحذف الركن الثاني (المسند)، محدثاً بذلك انزياحاً عن القاعدة، إذ يلعب ذلك الحذف دوره أبلغ مما يؤديه لو كان ذكر، ومن ذلك قول الأمير :

3- فأَيَّامها أضحت قتاما، ودجنةً ليالي؛ لا نجم يضيء، ولا بدر²

ماذا عساه يريد أن يقول الأمير بعد ولا بدر؟ لو قال أي خبر لتحددت قيمة الجملة، واتضحت الفكرة، وكيف توضح العبارة، وقد بعدت الفكرة، الأمير لم يكمل خبره، لأن كل قول أقل تعبيراً مما يريد، وهنا نذكر قول عبد القاهر: "فإنك ترى به الترك، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للفائدة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،³ وأتم بيانا إذا لم تبين". والسر في جمال هذا الخروج عن القاعدة، أن الأمير نقلك إلى حاله فعلاً، فهو لم

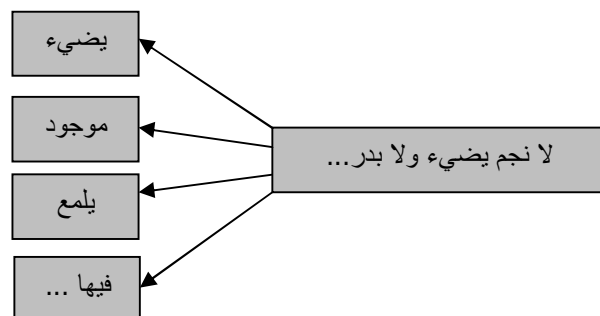
¹ - ينظر، أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص77.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص182.

³ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص177.

يستطيع ولا بد أنه حاول، فإنك أيها المتلقي ستحاول، ولن تصل؛ فتعلم بذلك ما يريد مخاطبك، من غير إخبار.

فقله يحتمل مثلاً:



الشكل (10)

أليست كل هذه الأخبار في حال حذفها أبلغ من وجودها، لقد وصلت الفكرة، ولكن وصلت بالحذف، ومن هذا أيضاً قول الأمير في موضوع رحلته و الأرض المقدسة التي بها شيخه :

11- "وما بعدت عن ذا المحب قمامة ولم يثنه سهل هناك ولا وعـر(....)

12- إلى أن أنحننا بالبطاح ركابنا وحط بها رحلي، وتم لها البشـر

13- بطاح بها البيت المعظم قبلة فلا فخر(....) إلا فوقه ذلك الفخر

15- أتاني مربي العارفين، بنفسه ولا عجب(....) فالشأن أضحى له أمر¹

58- وكعبة حجاج الجناح الذي سما وجلّ فلا ركن لديه ولا حجـر²

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 184.

² - نفسه، ص 194.

ومن جميل الحذف، في الخبر حذف جزء من الجملة الفعلية الواقعة خبراً، فحدث بذلك حذفان، وذلك في قوله:

48- وما كل سيف ذو الفقار*، بحده و لا كل كرّار عليّاً إذا كرّوا¹

لقد جاءت (عليّاً) منصوبة، وهذا التعبير، يستوجب ناصباً ويكون تقديره من خلال السياق، ذلك أن "من شرط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف و إلاّ كان تسمية وإلغازاً...وهو على ضربين: ضرب يظهر فيه المحذوف عند الإعراب...وضرب لا يظهر بالإعراب، و إنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى ووجدته لا يتم إذا لم يراع ذلك المحذوف"² فـ (عليّاً) دلت بإعرابها على الحذف، والتقدير (ولا كل كرّار يشبه عليّاً)، ولأن المحذوف (يشبه) عامل النصب في (عليّاً)، فالخبر فيه حذف، والجملة الفعلية كذلك، غير أن ما نقصده هنا هو الحذف المتعلق بالخبر. فالأمير يخبر بـ (الحذف) أن كل محارب شعاع كثير الكر لا يمكن أن يشبه عليّاً (رضي الله عنه) ، فضلاً على أن يكون هو ذاته عليّاً.

وفي هذا البيت، لما شمل من هذا الحذف لطيفة، إذ لم يُقدّر المحذوف (يشبه) في خبر (وما كل سيف ذو الفقار)، لسببين:

الأول: الإعراب؛ إذ لم يقل الأمير (ذا الفقار) بالنصب ، مخالفًا بذلك قوله (عليّاً).

الثاني: كون الدلالة تسمح بأن نتصور استعمال (ذي الفقار) ذاته لا ما يشبهه، كونه وسيلة مادية، ولا مانع من استعمالها؛ لكن لا يمكن أن نتصور أبداً (عليّاً) عينه، بل إن

* ذو الفقار سيف الإمام علي (كرم الله وجهه).

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 192.

2 - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 82.

تصورنا فسيكون شخصا آخر، قد يشبهه. وهذا جدول يبين المحذوف المقدّر، والمواضيع التي، كانت محل هذا حذف.

و كل حذف للمسند فيما رأينا لا يكون إلاّ لدواعي منها:¹

- قصد الاختصار.
- الثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ.
- الدلالة على الاختصاص.

و لابد من قرينة دالة على المحذوف ليفهم المعنى، فيتضح من خلال السياق الذي يحمل في طياته، بذور ذلك المحذوف، ويكون بذلك حاضرا في ذهن المتلقي.

حذف المسند في الجملة الاسمية			
المسند إليه	المسند (المقدّر)	الموضوع	
1. ولا بدر	يضيئ/ موجود	الأمير	
2. ولا وعر	هناك	الأمير	
3. فلا فخر	موجود	البطاح/ مكة	
4. لا عجب	كائن/ في ذلك	الأمير	
5. كل كرّار	يشبه	مقارنة الشيخ	
6. ولا حجر	لديه	الشيخ	
7. كل كرّار	يشبه	ممثل به	

الجدول (3)

يتضح من الجدول أن مواطن مواضيع الشيخ قليلة بالمقارنة مع، الحذف في المسند إليه، فنسبة الحذف في المسند في مواضيع الحديث عن الشيخ مقدرة بـ (33.33 %)، وذكره في مواضيع الحذف في المسند إليه مقدرة بـ (86.66 %). ويعود ذلك أن

¹ - السابق، ص 85-86.

الأمير، يريد تزويدنا بأكبر عدد من الصور عن شيخه، الذي جعله حاضرا في أذهاننا كمبتدأ، فكثرت الأخبار المحذوفة مبتدأها، وهذا ما جعل حذف الأخبار في حق الشيخ قليلة جدا، إذ الحاجة الماسة للإخبار عنه.

حذف المسند والمسند إليه معا:

ويكون هذا الحذف في الإجابة عن سؤال كقولهم، أعندك فلان، فتقول : نعم وتقديره نعم فلان عندي ، أو عندي فلان. ولقد ورد هذا الحذف في اسم الناسخ وخبره، بصيغة أخرى في قصيدة الأمير وذلك قوله متحدثا عن شمائل شيخه:¹

27- شمائله تغنيك إن رمت شاهدا هي الروض؛ لكن شق أكمامه القطر

فالمراد ؛ (هي الروض لكن هو روض شق أكمامه القطر)، فالروض جميل، بأزهاره المتنوعة و ألوانه الزاهية، أما شيخ الأمير فهو روض لا يجب أن يفصح عنه بالكلام حتى تظهر مزيته لأن (شمائله تغنيك) ، وهو كذلك يختلف عن بقية الرياض، فالذي شق أكمام هذا الروض إنما هو القطر والقصد (أكمام زهوره) ، والمعنى صوفي، إذ المقصود أن القطر وهو العطاء الإلهي والفتح الرباني، هو الذي أبرز تلك المقامات الجمالية، التي تتجسد في جمال الزهور ، وما تنشره من عبيق ينشقه المريدون، أروض كهذا يحتاج أن يذكر حتى يُعرف؟! فمعرفة لا تستوجب الذكر اللفظي له فالذكر للأخبار والتعريف، وهو معرف بدون ذكر ولا تعريف. والدليل على ما ذهبنا إليه ما ذكره بعد ذلك إذ يقول:

28- توضع طيبا كل زهر بنشــــره فما المسك ما الكافور ما الند ما العطر²

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 187.

² - نفسه ، ص 187

96- فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء — وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر¹

ففي قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، إشارة على أنه ذلك القطر الذي فتح تلك الأكمام، التي رمز بها إلى مدد شيخه الذي ينتشر كالطيب.

حذف الموصوف: ومما حذف فيه الموصوف، وعبر عنه بالصفة قول الأمير:²

76- ولا خسر في الدنيا ولا هو خاسر سوى والهِ والكف من كأسها صفر

فالمراد من القول (ولا هو خاسر، سوى رجل أو شخص أو امرئ والهِ)، ولو أن الشاعر، ذكر الموصوف، لتبادر إلى الأذهان أن الخسارة ستكون لهذه الذات الموصوفة، والمتصوفة لا يهتمون بالذوات بل بالأحوال، لذلك ذكر الأمير الصفة المعبرة عن الحال.

وفي البيت ذاته، حذف آخر، في قوله (والكف)، فجاء بها مبتدأ مفردا والمنتظر من الشاعر أن يقول: (ولا هو خاسر سوى رجل والهِ، وكفه من كأسها صفر)، فترك التعبير عن المبتدأ بالإضافة، إلى مبتدأ معرف، وأفاد هذا في إبعاد الصورة المجسمة للكف التي كانت ستتبادر لو قال، (وكفه من كأسها صفر)، وهو يرمي بعدم امتلاك هذه الخمرة الروحية، فكان من المناسب إبعاد الإحساس بمادية الكف لها أيضا.

ب - الحذف في الجملة الفعلية:

يحذف المسند والمسند إليه من الجملة الفعلية، أحيانا وهما الفعل والفاعل ويتم الاكتفاء بالمفعول به عن أحدهما، أو المصدر (المفعول المطلق)، الذي يكثر مجيئه نائبا في مقامات التأسف والنصح والاستعطاف والدعاء، أو المتعلق كالجار والمجرور³. ومن ذلك:

¹ - السابق، ص 202.

² - نفسه، ص 198.

³ - ينظر عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ص 262.

حذف الفعل و الاكتفاء بالمفعول به. ومنه قول الشاعر:

48- وما كل سيف ذو الفقار بحده ولا كل كرار **عليّا** إذا كرّوا

49- وما كل طير طار في الجو **فاتكاً** وما كل صيّاح إذا صرصر الصقر¹

لقد مرّت الإشارة ، إلى الحذف في البيت الأول في سياق الحديث عن حذف، العامل في الخبر الواقع جملة فعلية، إذ يقدر الكلام (ولا كل كرار يشبه عليا)، وفي البيت الثاني، يمكن أن نقدر الكلام، (وما كل طير طار في الجو "يُعدُّ" فاتكاً)، على أن الفعل عدّ يتعدى إلى مفعولين، وهو مبني للمجهول حيث نائب الفاعل ضمير، وفاتكا مفعول به، و هذا الحذف جعله بمثابة الإخبار، وما دلنا على المفعولية فيه، إلّا حالته الإعرابية إذ جاء منصوباً، و معنى الإخبار أبلغ ، فليست العبارة (يعد ويشبه الفاتك)، كالعبارة (هو فاتك)، ويمكن أن يحمل على الحالية كذلك.

حذف الفعل والاكتفاء بالمفعول (مقول القول). يقول الأمير:²

17- فأنت بني مذ "ألست بربكم" وذا الوقت **حقاً** ضمّه اللوح والسّطر

ففي قوله أنت بني مذ ألست بربكم، يقصد مذ قال الله: { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين }³. ويرجع المتصوفة، إلى هذه الآية دوماً، عند حديثهم عن السماع والعهد القديم، من ذلك ما ذكره الأمير في (الموقفين 343/37).⁴

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 193.

² - نفسه، ص 185.

³ - سورة الأعراف ، الآية (172).

⁴ - ينظر، الأمير عبد القادر ،المواقف، ص 155-319.

وبالإشارة إلى هذا القول تمكن الأمير على لسان شيخه، من أن يربط العهد الأول، بالإقرار للربوبية، وما يمكن أن نستشفه من أخذ العهد الجديد للأمير من شيخه بالمشيخة.

حذف الفعل و الاكتفاء بالمفعول المطلق. ومنه قول الأمير:

16- فأنت بنبي مذ "أست بربكم" وذا الوقت حقا ضمّه اللّوح والسّطر¹

90- وفي شمها حقا بذلنا نفوسنا فهان علينا كل شيء له قدر²

110- و صلوا على خير الورى خير مرسل وروح هداة الخلق حقاً وهم ذر³

ففي الشطر الثاني من البت الأول حذف المسند والمسند إليه (أُحِقُّ) أي الفعل والضمير المستتر المقدر ب (أنا)، وتم الاكتفاء بـ (المفعول المطلق حقاً). وكذلك في البيتين الثاني والثالث .

ومنه أيضاً قوله:⁴

105- هنيئا لنا يا معشر الصّحب إننا لنا حصن أمن ليس يطرقه دعر

فـ (هنيئا) نائب مفعول مطلق، صفة كأن التقدير فلنعش عيشا هنيئا، يا معشر الصّحب، وهو من باب الدّعاء، ومنهم من عده نائب مفعول مطلق (حال).

حذف المفعول:

ويذكره الجرجاني بعد حديثه عن حذف المبتدأ وفي ذلك يقول: "المفعول به إذا حذف خصوصاً؛ فإن الحاجة إليه أمس... واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 185.

2 - نفسه، ص 200.

3 - نفسه، ص 204.

4 - نفسه، ص 203.

- أن يكون الغرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل من غير اعتبار عمومته، وخصوصه
وحيث أن يكون المتعدي بمترلة اللازم.

- أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول، ويجب تقديره بحسب القرائن، ويكون ذلك
لأغراض بلاغية، وأسلوبية.²

ومن هذا الحذف قول الأمير:³

نلاحظ أن مفعول أنادي محذوف، وفي ذلك زيادة في الشعور بتوتر الأمير، فكأنه ينادي كل شيء، لإطفاء النار التي تكوي قلبه الذي كنى عليه (بما قد حوى الصدر)، فلو حدّد المنادى، ما حمل المعنى تلك الشحنة الموحية بالحسرة التي يعانيتها . ومن ذلك قوله أيضا: 4

لقد أحدث الفراغ، الذي تركه الفعل (تثني) انزياحا، بعدم ذكر المفعول به، والمتعلق به وجعلنا نتصور أشياء عديدة، و أذكر هنا قول سيد قطب إذ يقول: " و إني لأذكر على سبيل المثال قول عمرو بن ربيعة.

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 184.

2 - ينظر أحمد مصطفى المراغي، ص 86-88

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 183.

4 - نفسه، ص 200.

فاذكري العهد والمواثيق منا يوم آليت لا تطيعين فينا

فإن (آليت لا تطيعين فينا) بهذا الغموض الذي أتبعه حذف المفعول، فيها من الروعة ما فيها، ولكنه أفسد علينا هذه الروعة المبهمة، فقال بعد ذلك.

قول واش أتك عنا صرم أو نصيح يريد أن تقطعينا.

قد كنا في غنى عن ذكر المفعول، الذي لم يأتينا بشيء جديد من عنده، فقد فهمنا من يوم آليت لا تطيعين فينا، أنها لن تطيع قول واش ولا نصيح، وأحسنا ما هو أكثر من ذلك وهو أنها غير مستعدة أن تسمع مجرد استماع لمن يحدثها فيه.¹ كذلك في حذف مفعول الفعل (تثني) لكن لم يفسد علينا التمتع بحذفه، لأن الأمير لم يذكره.

ومن هذا الحذف كذلك قوله:²

53- و لا تسألن عن ذي المشائخ غير من له خبرة فاق، وما هو مغترّ

فالفاعل فاق فعل متعدٍ، غير أن الأمير ترك مكان المفعول شاغرا، ليعمل المتلقي خياله إلى أبعد حدٍّ ممكن، "فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين."³ وفي هذا من الدلالة على الحرص ما فيه، فإذا كان الدال على الشيخ، ينبغي أن تكون له خبرة تفوق قدرا لم يُقدّر، فماذا نقول عن خبرة الشيخ ذاته؟!

¹ - عبد الحفيظ مراح، (ظاهرة العدول في البلاغة العربية)، ص 52.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 193.

³ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 177.

وهذا حول يبين ما قد تم ذكره:

ملخص الحذف في الجملة الفعلية		
الشاهد	المحذوف المقدر	الموضوع
ولا كل كرار...عليا	يشبهه	شخص ممثل به
طار في الجو...فاتكا	يُعد	شخص ممثل به
مذ...ألست بربكم	قال الله	الأمير
وذا الوقت...حقا	أحق	الأمير
وفي شتمها...حقا	أحق	الخمرة
روح هداة الخلق...حقا	أحق	الصلاة على الرسول
هنيئا	فلنعش عيشا	الصحب
ليالي أنادي...	المنادى	الأمير
قاصرات الطرف تثني...	المتعلق بـ (تثني)	الأمير وصحبه

الجدول (4)

الحذف في الحرف. أكثر ما وقع الحذف في حرف الهمزة، ومن ذلك قوله:

26- بفرض وتعصيب غدا إرثه لـه هو البدر بين الأوليا، وهم الزهر¹

33- لنا منه صدر ما تكدره الدلا ووجه طليق لا يزايله البشـر²

39- فذلك فضل الله يؤتيه من يشا وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر³

108- وغيم السّما مهما سما هان أمره فليس يرى إلا لمن ساعد القدر⁴

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 187.

² - نفسه، ص 188.

³ - نفسه، ص 190.

⁴ - نفسه، ص 203.

وردت في هذه الأبيات، عدة كلمات تكتب أصلا بالهمزة، لكننا وجدناها في قصيدة الأمير، بدونها. هذه الكلمات هي: (الأوليا، الدلا، يشا، السما). ومرجع هذا الانزياح صوتي، فرضته موسيقى الإيقاع التي يفرضها الوزن الشعري بتفعيلاته. ولا يبدو في ذلك بعد دلالي أو جمالي مميز.

ثانيا: التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير من أهم الميزات الأسلوبية، وليس ذلك لكون تقدم شيء بعينه عن شيء آخر بل للدور الدلالي والجمالي الذي يلعبه هذا الخرق من تقديم وتأخير، لأن ما يكون تقديما في لغة ما مثلا، قد يكون الأصل في لغة أخرى وقد أشار إلى ذلك (كوهن)، إذ يقول: " ففي الإنجليزية مثلا، تقدم الصفة شيء عادي، ومن هنا لا تترتب عليه أي خصائص أسلوبية... فليست موقعية الصفة في ذاتها إذن هي المسئولة عن الخاصة الأسلوبية المنتجة، بل كونها (غير عادية)".¹ والذي يثيرنا في كل هذا ليس ما وقع للجملة من مخالفة، لنظام النحو، بل ما توقعه فينا بجمالياتها من تأثير، وما تضيفه من قوة أو تغيير للدلالة، " ولعلنا نلاحظ أن سياقات التقديم والتأخير...أتاح بعدا جماليا في تركيب الكلام، من خلال العدول عن الترتيب المألوف إلى ترتيب آخر، يتميز بقدرته على إبراز الدلالة بتقديم جزء على آخر أو تأخير عنه".²

وقد استعمل الأمير هذه الوسيلة، في قصيدته خارقا بذلك النظام النمطي الذي، تأسست عليه الجملة، في (بنيتها العميقة)، كما سماها شومسكي، وجعل من البنية السطحية، نظاما جديدا، وبذلك تحققت انزياحات على مستوى التركيب، بحركة التقديم والتأخير، ومست هذه العملية الجملة بنوعها الاسمية، والفعلية.

¹ - جون كوهن، ص220.

² - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، (ط1)، 1994م، ص 337.

ولقد وجدنا أنه من المفيد، القيام بدراسة إحصائية، لمظاهر الانزياحات في هذا المجال، على أن " الإحصاء في دراسة الأسلوب يعد من المعايير الأساسية التي تتيح للمحلل الأسلوبي تشخيص الأساليب وتمييز الفروق بينها تمييزاً علمياً مجرداً من العوامل الذاتية،"¹ هذا وإن كانت الدراسات الأسلوبية تعتمد على الحدس أكثر من الإحصاء إلا أنه، " لا نستطيع تسليم أنفسنا للحدس فقط ، لأن ذلك يعني أن نترك دراسة الأسلوب لأحكام ذاتية."² لذلك سنلجأ كل مرة لتحديد الوقائع المسجلة للخروقات، في جداول قصد تفصي درجات الكثافة، لظواهر معينة، ومحاولة تفسيرها.

أ - التقديم في الجملة الاسمية:

المسند والمسند إليه هما الركنان الأساسيان في الجملة الاسمية، وهما على التوالي (الخبر والمبتدأ). والقاعدة النحوية ترتب الخبر في الرتبة الثانية بعد المبتدأ، غير أنه يمكن خرق هذا القانون، في حالات، حددها النحويون، وفصل في معناها البلاغيون. وجعلوا ذلك في:³

1. تخصيص المسند بالمسند إليه.

2. التنبيه.

3. التفاؤل بسماع ما يسر المخاطب.

4. التشويق إلى ذكر المسند إليه...

وجاءت الأسلوبية لترصد هذا الخرق وتعدده ميزة جمالية ذات دلالة، غير قارة، أي يحكمها السياق من جهة، وقدرة المتلقي على مطاردة المعنى الغائب من جهة أخرى. ومن ذلك نجد ما يلي:

¹ - رابح بن خوية، مقدمة في الأسلوبية، سكيكدة: مطبعة NIR، (ط1)، 2007م، ص 83.

² - بيبير جيرو، الأسلوبية، (ترجمة منذر عياشي)، حلب: دار الحاسوب للطباعة، (ط2)، 1994م، ص 86.

³ - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 98.

تقديم المسند (الخبر). جار ومجرور (ضمير)، يقول الأمير:

09- إلى أن دعيتي همة الشيخ من مدى بعيد، ألا أدن فعندي لك الذخر¹

13- بطاح بها البيت المعظم قبلـة فلا فخر إلا فوقه ذلك الفخر²

37- كساه رسول الله ثوب خلافة له الحكم والتصريف والنهي و الأمر³

66- فلا غول فيها ولا عنها نزفة وليس لها برد وليس لها حر⁴

105- هنيئاً لنا يا معشر الصحب إننا لنا حصن أمن ليس يطرقه ذعر⁵

111- عليه صلاة الله ما قال قائل أمسعود جاء السعد والخير واليسر⁶

نلاحظ في البيت الأول تقدم الخبر جار ومجرور، في قوله (لك الذخر)، ففيه محافظة الشاعر على القافية، إذ لو قال الذخر لك لما صلح الوزن ولا القافية، لكن فضلاً على ذلك ما يوحى إليه هذا التقديم من دلالة أوجها السياق، فـ " معنى الكلام لا يتأتى فصله بأية حال من الأحوال عن السياق الذي يعرض فيه." ⁷ لهذا علينا أن نعيش تجربة الشاعر، إنه كان في تيه ، ويبحث عن منقذ له، وأخذ بيده، في عزلته ، فإذا بهمة الشيخ تطلب منه الدنو، وهنا قد يكون القبول وقد يكون الرفض، فهو يبحث عن الذخر، إما أن يعطى إياه أو يحرم منه، فالجار والمجرور (لك) ، فرج عن الأمير ، لأن لك توحى بالملك،

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 183-184-196-203-204.

2 - نفسه، ص 184.

3 - نفسه، ص 190.

4 - نفسه، ص 196.

5 - نفسه، ص 203.

6 - نفسه، ص 204.

7 - محمود السمران، ص 265.

ومنه لم يقع في موقف المتحير والمنتظر لخبر الذخر، الذي قد يكون (هو لك، أو بعيد عنك، أو لست أهلاً له...)، وفي لك تخصيص ، أي لك أنت بالخصوص.

وهذا المقام عند المتصوفة هو بشرى للمريدين، وهو أمر لا جدال فيه، إذ في البيت الثالث، يظهر ما يثبت من جهة الخبر الأول، ويخبر بثنائٍ من جهة أخرى ، ذلك أن هذا الشيخ ليس ينطق عن هوى، فإذا كان هناك حكم أو تصريح أو نهي أو أمر فهو له بالخصوص، وتأتي ذلك إنما كان مما أعطاه رسول الله من ثوب الخلافة، وهو لباس التقوى كما رآها الشيخ ابن عربي.

أما ما ورد من تقديمات للخبر في الأبيات الأخرى فلا يحمل معنى التفاؤل، بالإسراع بذكر الخبر بل ما يحمل معنى التخصيص لتلك البطاح بالبيت، ولخصوصية الحصن لأصحاب الأمير من المريدين، ولخصوصية الصلاة على سيدنا محمد (ص). وهذا جدول

يلخص أنواع هذه النماذج:

تقديم المسند جار ومجرور (المجرور ضمير)				
حرف الجر	الضمير المجرور	النموذج	الدلالة	العدد
اللام	كاف المخاطب	لك الذخر	الإسراع بخصوصية البشري	02
	هاء الغائب	له الحكم	حصر الحكم للشيخ	10
	نون المتكلمين	لنا حصن	تخصيص المتكلمين بالحصانة	02
الباء	هاء الغائبة	بها البيت	تخصيص يفيد التشريف	04
عن	هاء الغائبة	عنها نزفة	تخصيص يفيد تمييزها عن الخمرة المادية	01
على	هاء الغائب	عليه صلاة	تخصيص بمثابة دعاء	01

الجدول (5)

عند تأملنا للجدول نلاحظ أن الضمير، (هاء الغائب)، كان أكثر الضمائر المتصلة بحرف الجر الذي شكل معه خبراً مقدماً، وهذا الضمير عاد على الشيخ في ثمانية مواقع، من بين العشرة؛ تخصيصاً له بأحكام كلها تعظيماً لشيخ الأمير.

و من ناحية الترتيب العددي فقد جاء الضمير، (هاء الغائبة) في المرتبة الثانية بعد الشيخ، و هو يعود على البطاح التي بها شيخه.

أما ضمير المخاطب (الكاف) المتصل بحرف الجر اللام، فقد أوقع استعماله انزياحاً، إذ نجده يعود على الأمير ذاته، وهو المتكلم، وهذا في موقعين (لك الذخر / لك البشري)، وكان ذلك على لسان الشيخ من خلال المونولوج الذي بناه الأمير.

وكذلك مع ضمير نون المتكلمين، في موقعين، (لنا حصن / ولنا منه صدر)، ومن هنا يمكن أن يتجلى لنا أن مواقع التقديم في أغلبيتها مرتبطة باهتمام الأمير بشيخه، فهي إما تعود على الشيخ، (أي الضمائر)، أو على المكان الكائن فيه، أو خطاباً منه. وهذا مؤشر لتعلق الأمير المطلق بشيخه.

تقديم المسند (خبر). جار ومجرور اسم ظاهر، من ذلك قول الأمير:¹

96- وذلك من فيض الإله ومـنه علي فما للفضل عدّ ولا حصر

97- و قد أنعم الوهاب فضلاً بشرها فلله حمد دائم وله الشكر

103- أمولاي إني عبد بـاك واقف لفيضك محتاج لجودك مضطر

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 202-203.

تكاد تكون المواقع المخصصة بالضمائر، هي ذاتها المخصصة لتقديم الجار مع اسم ظاهر، ففي البيت الأول ، مؤشر كثرة الفضل الذي لا يكاد يعد ولا يحصر، وهو يقابل،(الذخر والبشرى)، في الطائفة الأولى من الأبيات.

وما جاء في البيت الثاني، من تخصيص موقع وقوف الأمير ، من بين كل الأماكن، وهو (باب سيده)، وتخصيص مراده، من بين كل الأمانى وهو (الفيض، والجود). وهذا الأسلوب يستعمله المتصوفة عند التدلل، والسؤال ومنه قول السهيلي(ت581هـ):

مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلتن رددت فأني باب أقرع.¹

وهذا الجدول يلخص ما سبق:

تقديم المسند جار ومجرور (المجرور اسم ظاهر)				
حرف الجر	المجرور	النموذج	الدلالة	عدد النماذج
اللام	الفضل	ما للفضل عد	حصر العد للفضل	01
	فيض	لفيضك محتاج	تخصيص مكن الحاجة	01
	جودك	لجودك مضطر	تخصيص مكن الاضطراب	01
	الله	لله حمد	تخصيص الحمد لله	01
الباء	باب	ببابك	تخصيص موقع الوقوف	01

الجدول (6)

تقديم المسند على اسم الناسخ. ومن ذلك قول الأمير:

01- أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر²

¹ ينظر، ابن كثير، البداية والنهاية، مج6، ج12، القاهرة: دار المنار، (ط1)، 2001م، ص 315.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 182.

- 10- "فشمرت عن ذيلي الإطار وطار بي جناح اشتياق ليس يخشى له كسر
- 15- أتاني مربى العارفين بنفسه و لا عجب فالشأن أضحي له أمر¹
- 39- فذلك فضل الله يؤتيه من يشا وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر²
- 83- "تميد بهم كأس بها قد تولهوا فليس لهم عرف وليس لهم نكر
- 86- ويسكرهم طيب النسيم إذا سرى تظن بهم سحرا وليس بهم سحر³
- 101- أمولاي إني عبد نعمائك التي بها صار لي كثر وفارقني الفقـر⁴
- 105- هنيئا لنا يا معشر الصحب إننا لنا حصن أمن ليس يطرقه ذعر⁵

لقد وردت عدة نواسخ دخلت على الجملة الاسمية، التي تقدمها الخبر، وكانت على التوالي:

ليس: وردت ناسخة لخبرها المتقدم عن المبتدأ في تسع مواقع من بين أحد عشر موقعا، وإذا تأملنا المواضع التي وردت فيها من بين التسعة، وجدنا منها سبعة تدور حول، خمرة الحب، وشاربيها. وربما علينا أن نطرح سؤالا هنا، لماذا كل هذا النفي عند الحديث عن الخمرة؟

يُكثر المتصوفة من ذكر الخمرة، "فهم يذكرون في عباراتهم الخمرة بأسمائها و أوصافها ويريدون بها ما أدار الله تعالى على ألباهم من المعرفة أو من الشـوق والمحبة والحبيب

¹ - السابق، ص 184.

² - نفسه، ص 190.

³ - نفسه، ص 199.

⁴ - نفسه، ص 202.

⁵ - نفسه، ص 203.

في ...حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام،¹ و لأن البون شاسع بين الخمر المحرمة وهذه الخمرة، يضطر المتصوفة نفي الصفات التي توحى بالخمرة الحرام عن خمرتهم، ونفي صفات الشاربين لها عنهم، ومن ذلك قول ابن الفارض:²

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فإن ذكرت في الحى أصبح أهله نشاوى، ولا عار عليهم، ولا أثم

أضحى، وإن، وصار: فقد وردت أخبارها (المسند)، مقدّمة على أسمائها، في الأبيات

الثلاثة الأخيرة على التوالي، محققة التخصيص، وهذا جدول يبين ما ذكرناه.

تقديم المسند على اسم الناسخ				
الناسخ	المتقدم	النموذج	الدلالة	عدد
ليس	لـ + ها	ليس لها ذكر	نفي صفة خمرة القوم، عن الخمر	03
	على + ذي	وليس على ذي الفضل حصر	نفي صفة خمرة القوم، عن الخمر	01
	لـ + هم	فليس لهم عرف	نفي صفة خمرة القوم، عن الخمر	04
	بـ + هم	ليس بهم سحر	نفي صفة خمرة القوم، عن الخمر	01
أضحى	لـ + هـ	أضحى له أمر	التخصيص	01
إن	لـ + نا	إننا لنا حصن	التخصيص	01
صار	لـ + ياء المتكلم	صار لي كثر	التخصيص	01

الجدول (7)

¹ - عمر بن الفارض، شرح الديوان، ص 174.

² - نفسه، ص 174.

ب - التقديم في الجملة الفعلية:

الأصل في العامل أن يقدم على المفعول، وقد يعكس ذلك فيقدم المفعول ونحوه من الجار والمجرور والظرف والحال لأغراض منها:¹

- رد الخطأ في التعيين، كقولك محمدا كلمت، لمن يعتقد أنك كلمت آخر.
- التخصيص وهو لازم للتقديم غالبا.
- الاهتمام بشأن المقدم.
- التبرك.
- الاستلذاذ به، نحو ليلي كلمت.
- رعاية السجع، ضرورة الشعر.

إن هذه المعايير ، وإن كانت مفيدة في تحديد الغرض من التقديم، غير أن المتعة كامنة في السياق الذي يصنعه الشاعر، ويفطن إليه المتلقي، وهو بذلك من صنع النص، في زمن آني، فقد تكون لذة التقديم في زمن ما في نص ما محدثة انزياحا، وفي زمن آخر أو عند قارئ آخر لا تحدث ذلك الانزياح، وربما هذا هو المقصود من وصف أحكام البلاغة بالمعيارية، وللسبب ذاته رُميت بالجمود، ومن مواضع التقديم في قصيدة الأمير نجد:

تقديم المفعول على الفاعل. يقول الأمير:²

22- عياذي ملاذي عمدي ثم عدتي وكهفي إذا أبدى نواجهه الدهر

27- شمائله تغنيك إن رمت شاهدا هي الرّوض لكن؛ شق أكمامه القطر

28- تضرع طيبا كل زهر بنشره فما المسك ما الكافور ما الند ما العطر

¹ - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 99.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 186-187.

في البيت الأول والثاني وقع التقديم للمفعول، في نهاية كل واحد منهما، فلذلك علاقة بمراعاة الإيقاع الذي يحمله روي القصيدة، غير أن هذا التقديم له دلالة في بناء الفكرة وإيصالها بشكل مميز.

فالمفعول (نواجذ) وهي الأضراس ، هي إحدى لوازم الكائنات الحيوانية ويريد بها الشاعر هنا المفترس، فاستعارها للدهر، فهي استعارة مكنية، وإنما اختارها وخصّصها من بين كل ما يمكن أن يكون للمفترس من وسائل فتك كالمخالب وغيرها، إنما فعل ذلك لأن النواجذ في الفم وذلك يوحى بالأكل، أي الاحتواء في البطن بعد ذلك، والصوفي يرفض الاحتواء في أي شيء من أمور الدنيا، لذلك جعل من صفات شيخه (كهفي) الذي هو أولى باحتوائه، كما أن الكهف وهو البيت في الجبل له من القوة ما له.

وفي البيت الثاني قوله (شقّ أكاممه القطر)، الهاء تعود على الرّوض المحذوف بعد لكن، وفي الواقع ليس للرّوض أكامم بل لزهرة، وإنما برز معنى الزهر بإحدى لوازمه، فهذا التقديم قد خصص شيئين، خصص الأزهار من الرّوض، وخصص الأكامم من الأزهار، وما الرّوض إلا ذلك الشيخ وتلك الأكامم التي شقها القطر - وهو رمز العطاء الإلهي - ، إنما كان لتعقب منه تلك الروائح، فينشقها المريدون. وفي البيت الثالث جاء التمييز، (طيباً) مقدماً، "فهو محوّل عن الفاعل، نحو: { واشتعل الرأس شيباً }، أصله: اشتعل شيب الرأس فجعل المضاف إليه فاعلاً، والمضاف تمييزاً".¹ فيكون تقدير الكلام؛ توضع طيب كل الزهر، والتمييز فضلة، لكنه قدّم وفصل بين الفعل وفاعله، وهو نوع من الاستلذاذ يشعر به المتلقي عند قراءته للبيت.

¹ - ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبطه على المخطوطة، يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، (دط)، 2001م، ص325.

تقديم المعمول (الجار والمجرور):

من التقديم يمكن أن نجد تقديم المعمول الجار والمجرور على الفاعل، إذ لا يخلو ذلك من دلالة، لأن " مجرد المخالفة ينبئ عن غرض ما، و أن هذا الغرض قد يكون التفات السامع إلى كلمة من الكلمات، عن طريق إبراز هذه الكلمة يتحقق عنه تأثير ما، وهي فكرة قررها (باسكال) حينما صرح بأن الكلمات المختلفة الترتيب يكون لها معنى مختلف، وأن المعاني المختلفة الترتيب يكون لها تأثيرات مختلفة.¹ وذلك أهم ما يحدثه الانزياح لأن الغرض دائما ليس تحريك الكلمات من مكان إلى مكان، بل ما يحدثه هذا التحريك من أثر في المتلقي، ففي الأبيات الموالية مجموعة من التقديمات لو أعدناها إلى موقعها النمطي حسب قواعد النحو ما أدت، الشحنة الإخبارية التي أرادها لها الشاعر. ومنها:

07- أغث يا مغيث المستغيثين والهـا ألم به من بعد أحبابه الضر²

12- إلى أن أنخنا بالبطاح ركابنا وخط بها رحلي وتم لها البشر³

43- وما كل شهم يدعى السبق صادق إذا سيق للميدان بان له الخسر⁴

52- فلا شيخ إلا من يخلص هالكا غريقا ينادي قد أحاط بي المكر⁵

83- تميد بهم كأس بها قد تولهوا فليس لهم عرف وليس لهم نكر⁶

90- وفي شمها حقا بذلنا نفوسنا فهان علينا كل شيء له قدر

1 - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 337-338.

2 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 183.

3 - نفسه، ص 184.

4 - نفسه، ص 191.

5 - نفسه، ص 193.

6 - نفسه، ص 199.

فالملاحظ أن حروف الجر المتصلة بضمير أفادت الاهتمام بذلك المخصص (ألم به ...الضر، حط بها رحلي، تم لها البشر، تميد بهم كأس،...)، أما في قول الأمير إلى أن أنخنا بالبطاح ركابنا، فيه تقديم (بالبطاح)، فالأمير مهتم جدا بهذه البطاح لحال، يعيشه وتجربة يجيهاها، ويؤكد هذا الاهتمام البيتان المواليان لهذا البيت مباشرة فقال:

13- بطاح بها البيت المعظم قبله فلا فخر إلا فوقه ذلك الفخر

14- بطاح بها الصيد الحلال محرم ومن حلّها حاشاه يبقى له وزر¹

فكيف يمكن أن تساهم اللغة في إبراز هذا الاهتمام، وكيف يمكن أن ينقل للمستمع، إنه هذا الخرق الذي حدث. إذ فيه دعوة للمستمع، أن تهياً، فلست أحدثك عن الإناخة ولا عن الرّحل إنما أحدثك عن بطاح ليست ككل البطاح. وهذا جدول يبين ما ذكرناه.

تقديم المعمول (جار ومجرور)				
حرف الجر	المجرور	النموذج	الدلالة	عدد النماذج
الباء	هاء الغائب	ألم به الضر	تخصيص الضر به	03
	هاء الغائبة	حط بها رحلي	تخصيص المكان	01
	ياء المتكلم	أحاط بي المكر	تخصيص الممكور به	01
	هم	تميد بهم كأس	تخصيص القوم	01
	اسم ظاهر (البطاح)	أنخنا بالبطاح ركابنا	التنبيه لأهمية المكان	01
اللام	هاء الغائبة	وتم لها البشر	تعجيل المسرة	03
	هاء الغائب	بان له الخسر	تعجيل خبر الخسران	02
	ياء المتكلم	لا التذلي جنب	تخصيص	03
على	نا المتكلمين	فهان علينا كل..	تخصيص	01

الجدول (8)

¹ - السابق، ص 184 .

إذا قمنا بتقصي المواضيع التي حدثت فيها هذه الانزياحات، يكون ذلك مفيدا في دراستنا لأسلوب الأمير، ومنها يمكن أن ندرك اهتماماته النفسية، وقد بين التقصي أن ذلك كان في أربعة مواضع هي حسب الكثافة في النص على هذا الترتيب:

- الأمير، تم تقديمه في خمسة مواضع، باستعمال ياء المتكلم في أربعة منها وواحدة بضمير الغائب.
- الأمير ومعه المريدون حالة خمرتهم، في خمسة مواضع.
- المكان، (البطاح والبيت) في ثلاثة مواضع.
- المدعي والمضطرب في موضعين.

سؤال يفرض نفسه الآن، أين موضع الشيخ من هذه التخصيصات والاهتمامات، وهو محور القصيدة كاملة؟ ولا في موضع واحد. فلماذا؟

ذلك أننا في دراسة مواضع تقديم المفاعيل، وهل لشخص كالأمر، أن يضع شيخه في موقع المفعول؟ طبعا لا. ولكن إذا عدنا للجدول رقم (5)، والذي فيه تقديم الخبر على المبتدأ، لوجدنا للشيخ نصيب الأسد، في ثمانية مواضع من بين عشرة فيما يتعلق بتقديم الخبر جار ومجرور حيث المجرور (هاء الغائب)، إذ المقام يسمح بذلك هناك.

وهنا نتأكد أهمية علاقة الإحصاء بالسياق، كما نقله صلاح فضل على (ألمان) إذ يقول "فالتحليل الإحصائي للأسلوب لا بد أن يدخل في حسابه عاملا جوهريا هو السياق".¹ وحتى إذا لم يدخل في حسابه ذلك لا بد على النتائج، أن تكون لها علاقة بالسياق.

¹ - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 269.

ثالثاً: الاعتراض:

بعد ظاهري الحذف والتقديم في خلخلة محور التركيب، نحاول رصد ظاهرة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، إنها ظاهرة الاعتراض، وقد تحدث عليها البلاغيون تحت مسميات متعددة،¹ من ذلك مصطلح (الالتفات) ، الذي كان يورده الزمخشري، وقد فسره د/ حسن طبل، " ومؤدى ذلك أن الالتفات يحقق فائدتين؛ إحداهما عامة في كل صورة، وهي إمتاع المتلقي وجذب انتباهه بتلك التواءات أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير، والأخرى خاصة تتمثل فيما تشعه تلك الصور في موقعها من السياق الذي ترد فيه من إيجاءات خاصة"².

من خلال ما جاء في قول، د/ حسن طبل، نلاحظ أن للاعتراض مهمتان في نظر الزمخشري، وهما:

- مهمة جمالية شعرية، وهي عامة لكل صورة يحدث فيها الاعتراض.
 - مهمة دلالية، وهي خاصة تتغير من صورة لأخرى حسب السياق الواردة فيه.
- ومن هنا تتحدد مهمتنا في تقصي مواطن الاعتراض في قصيدة الأمير، هي التركيز على المهمة الثانية الدلالية، مادامت المهمة الأولى الجمالية، والمثيرة للمتلقي؛ قائمة في كل صورة، ومن ذلك في قصيدة الأمير نجد:

أ - الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية:

الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية يتمثل في الاعتراض بين عنصريها الأساسيين، وهما المبتدأ والخبر، وقد نجد جملاً أخرى بعد المبتدأ والخبر، فهي من التصرف للشاعر ليس لها

¹ - ينظر عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ص 271.

² - حسن طبل، أسلوب الالتفات في القرآن، ص 26.

قواعد نحوية تُحدّد ترتيبها وهي التي تدعى فضلات الكلام.¹ ويكون الاعتراض بعدة صور منها:

الاعتراض بالجار والمجرور:

ومنه قول الأمير:

- 04- فراشي - فيها - حشوه الهم والضحى فلا التذ لي جنب و لا التذ لي ظهر²
- 25- محمد الفاسي له - من محمد صفي الإله - الحال والشيم الغر³
- 33- لنا - منه - صدر لا تكدره الدلاء ووجه طليق لا يزايله البشـر⁴
- 46- فيحني ذمارا يوم لا ذو حفيظة وكل حماة الحي - من خوفهم - فرّوا⁵
- 51- و ذا مثل للمدعين ومن يكن - على قدم صدق - طيبا له خير⁶
- 81- وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وشمس الضحى - من تحت أقدامهم - عفر⁷

في هذه الأبيات جاءت الاعتراضات، بالجار والمجرور، بين عنصري الجملة الاسمية، سواء كانت مركبة على أصل القاعدة، أو بتقدم المسند على المسند إليه، ولعب هذا الانزياح باستعمال الاعتراض دورا دلاليا، في التخصيص يتباين نوعه حسب السياق.

1 - ينظر عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ص 279.

2 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 183.

3 - نفسه، ص 187.

4 - نفسه، ص 188.

5 - نفسه، ص 192.

6 - نفسه، ص 193.

7 - نفسه، ص 199.

ففي البيت الأول جاء الاعتراض بـ (فيها)، وحتى ندرك قيمة الاعتراض الدلالية علينا أن نقرأ البيت من دونه، ونستحضر سياق المقال، فلو قال: (فراشي حشوه المهم والضنى..) لتبادر إلى ذهن المتلقي أن هذا حال الأمير الدائم، وذلك غاية الخبر، لكن بقول (فيها)، ظهر أن هذا حال طارئ في زمن معين، إن ذلك في ليالي و أيام البعد عن الحبيب. فبرزت بذلك قيمة معاناته للبعد، وشوقه لمحبوبه، سواء كان الشيخ ذاته، أو إلى ما سيوصله إليه الشيخ. وهذا دأب المتصوفة.

كذلك في البيت الثاني، اعترض الأمير بـ (من محمد صفى الإله)، مخصصا بذلك المشرب الذي يستمد منه شيخه، نعم هو له الحال وأفضل الشيم، لكنها ليست من أي أرث كان، إنها من سيد الوجود فهو الممدُّ الأول وهو كما قال الشيخ أحمد التجاني " الرِّحمة الربانية... المائلة لكل متعرض من البحور والأواني"¹، فما من مدد إلا وهو مصدره الأول وما من متلقٍ إلا وهو من فيض بحره.

وقد خصص الأمير في البيت الثالث شيخه بالاعتراض بالجار والمجرور (منه)، فإن كان قد خصص فيما قبل، الممدُّ للشيخ بخير الورى، وصفى الإله، سيدنا محمد (ص)، فهو الآن يخصص ممدّه هو ، إنه الشيخ، وهو السُّلم الذي يجب أن يكون للسالك ورودا وصدورا، فهو يتقرب للذات العلية بشيخه ومنه للجامع أفضل الورى، ومنه لرب العالمين، ويأخذ مدده ورودا عكسيا. وفي ذلك يقول أحمد بن عاشور السمعوني:²

بك توصلنا إلى النَّبي وبكما لربنا العلي

فأنت نجله ومجلى سره ممدنا من نوره و بحره

¹ - محمد الحافظ، أحزاب و أوراد، مصر: مطبعة الزاوية التجانية الكبرى، (ط2)، 1379هـ، ص10.

² - أحمد العياشي سكيرج، كشف الحجاب، بيروت: المكتبة الشعبية، (الطبعة الأخيرة)، 1988م، ص 384.

وتظهر قيمة الاعتراض، في البيت الرابع إذ بقوله معترضا (من خوفهم) قد فسّر سبب الفرار لمن كان في الأصل ذو حفيظة، أي المنقذ والمنجد للقوم، ومن هنا استطاع أن يبين مدى عظم شيخه، الذي إذا فر ذوا الحفيظة الأشداء - من شدة الخوف - يكون هو الحامي والمنقذ.

وفي البيت الخامس، اعتراض بـ (على قدم صدق) وفيه تحديد للشيخ الحقيقي الذي يمكن أن يكون طبيبا، طبيا يداوي ويهذب النفوس، فإن كان على قدم صدق، فهو كذلك، وإلا فلا.

و في البيت (6) عند حديث الأمير عن خمرة المحبين، يأتي باعتراض يبين به مدى علوهم وهم في سكرتهم، بأن خصص موطئ أقدامهم، فجعل تحتها الشمس معفرة، وهي التي في قمة العلو تشع على العالمين.

الاعتراض بالظرف:

ومنه قول الأمير:

35- وما زهرة الدنيا بشيء له يرى وليس لها - يوما بمجلسه - نشر¹

67- ولا هو - بعد المزج - أصفر فاقع ولا هو - قبل المزج - قان ومحمر²

وفي هذين البيتين استعمل الأمير الظرف (بعد وقبل، ويوم)، أما يوما، فقد نفى بها اهتمام شيخه بأمور الدنيا، فهي لم تُذكر يوما في مجالسه، كناية عن زهده فيها وفي متاعها. واستعماله لقبل وبعد، فيما يتعلق بالخمرة، ذلك حتى لا يلتبس الأمر على المتلقي، ويدرك أنها خمر ليست كالخمر التي يعرفها عامة الناس، إنها ذلك المصطلح الصوفي، والذي

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 189.

² - نفسه، ص 196.

كلما ذكروه، ذكروا قرائن توحى باختلافها عن الخمر المعهودة، ومن ذلك مثلاً قول الششتري:¹

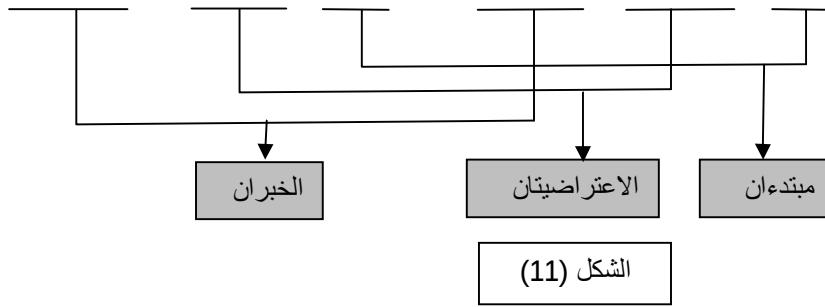
تنبه قد بدت شمس العقار وقد غلب الشعاع على النهار

سلافا قد صفت قدما وراقت أدرها بالصغار وبالكبار

فما عصرت وما جعلت بدن وما سبكت زجاجتها بنار

كما نلاحظ ، التماثل الإيقاعي في البيت الثاني، "إذ قد يكون الاعتراض بالجار والمجرور، بهدف الالتزام بنفس التركيب في شطري البت، أي يلجأ الشاعر إلى هذا الاعتراض في صدر البيت ، ويلتزم به في عجزه، فتبدو المقابلة بين شطري البيت، وتبعث موسيقى تقطيعية، فيها شيء من التوازن... هي موسيقى الترصيع."² وهذا الشكل بينها.

ولا هو - بعد المزج - أصفر فاقع ولا هو - قبل المزج - قان ومحمر



وهذا جدول يبين الاعتراضات السابقة الواردة في الجمل الاسمية:

¹ - حسني كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص 66.

² - عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد، دراسة أسلوبية، ص 280.

الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية			
الموضوع	دلالتها	موقعها	المعتضة
الأمير	تحديد المكان	فراشي... حشوه	فيها
الشيخ	تعظيم أصل المشرب	له ... الحال والشميم	من محمد صفى الاله
الشيخ	تخصيص الذات	لنا ... صدر	منه
الشيخ	تأكيد شدة الوطأة	وكل حماة الحي... فرّوا	من خوفهم
الشيخ		ومن يكن... طبيا	على قدم صدق
الأصحاب في الخمرة	إبراز علو المكانة	شمس الضحى... عفر	من تحت أقدامهم
الشيخ	تحديد المكان	ليس لها... نشر	يوما بمجلسه
الخمرة	تحديد الزمان	لا هو... أصفر	بعد المزج
الخمرة	تحديد الزمان	لا هو... قان ومحر	قبل المزج

الجدول (9)

ب - الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية:

الاعتراض بين (الفعل والفاعل) و(المفعول). " من أشكال الاعتراض في الجملة الفعلية، اعتراض الكلام بين الفعل والفاعل، هذا الاعتراض يكثر بالجاء والمجرور ¹ وقد يكون بجملة النداء من ذلك قول الأمير:

7- أغث - يا مغيث المستغيثين - والهـ أ لم به - من بعد أحبابه - الضـ ²

في هذا البيت نجد الاعتراض في الشطر الأول ، قد جاء بحرف النداء والمنادى المضاف، (يا مغيث المستغيثين)، معترضا بين (أغث) و (والها)، و لهذا النداء دور دلالي فضلا عن

¹ - عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ص 271.

² - الأمير عبد القادر، الديوان ص 183.

دوره الجمالي، حيث أثبت صفة إغاثة المستغيثين لشيخه، والنداء يكون (بالهمزة و أي) لنداء القريب، وما سواهما، لنداء البعيد، فهل الأمير يرى شيخه بعيدا فيناديه بالياء؟ يرى البلاغيون أنه " قد يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر...و يتزل القريب منزلة البعيد، إشارة إلى أن المنادى عظيم الشأن، رفيع المرتبة."¹

وفي الشطر الثاني من نفس البيت نجد اعتراضا آخر بقوله (من بعد أحبابه)، فهو تأكيد لمساس الحاجة للإغاثة. فبدون هذين الاعتراضين ، تكون الجملة (أغث والها ألم به الضر) ولكن الأمير استطاع من خلال التعبير عن حاله إضفاء وصفين أحدهما للمغيث والآخر للمستغيث، الأول تعظيما للمغيث، والثاني شدة حاجة المستغيث، كل هذا في إيقاع صوتي مميز، توسط كلا الشطرين.ومنه:

- 12- إلى أن أنخنا - بالبطاح - ركابنا ————— وخط بها رحلي وتم لها البشر²
- 31- هشوش بشوش يلقي - بالرحب - قاصدا وعن مثل حب المزن تلقاه يفتـر³
- 71- ولو شمت الأعلام - في الدرس - ريجها لما طاش عن صوب الصواب لها فكر⁴
- 100- جزى الله - عنا - شيخنا خير مل جزى به هاديا فالأجر منه هو الأجر⁵

في هذه الأبيات يتضح الاعتراض الجار والمجرور، سواء كان المجرور اسما ظاهرا، أو ضميرا، ففي البيت الأول جاء الاعتراض ب (بالبطاح)، بين أنخنا و ركابنا، وفي هذا إشارة إلى أن موضوع الكلام ليس الإناخة ولا الركاب ، ولكنه المكان المقدس ، إنها

¹ - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص106.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 184.

³ - نفسه، ص 188.

⁴ - نفسه، ص 197.

⁵ - نفسه، ص 202.

البطاح التي بها البيت الحرام، فعادة ما يكون العنصر الأساس في معنى الجملة، هو العنصر الأساس في بنائها النحوي، (المسند والمسند إليه)، غير أن الجملة الاعتراضية جاءت، خارقة للقاعدة شكلا ومعنى، وللمتصوفة دوما الاهتمام بالمكان ورمزيته، فرحلة الأمير، ومشقتها ليست إلا تلك المجاهدات، والرياضات، وما البيت الذي بالبطاح إلا القلب الذي في الصدر، ومن ذلك قول ابن عربي:

يا أيها البيت العتيق تعالى نور لكم بقلوبنا يتلالا

أشكو إليك مفاوزا قد جبتها أرسلت فيها أدمعي أرسالا¹

وما يدل على أن غرض الأمير هذه البطاح ما ذكره في الشطر الثاني بأن البشر قد تم.

ووفي البيت الثاني أفاد الاعتراض (بالرحب)، إظهار صفات الشيخ وهو يستقبل من يقصده فحاله عند الاستقبال يكون (مرحبا)، إذ الملاقاة للقاصدين، قد تكون بوجه عابس، لكنها هنا أفادت الترحيب، ثم بعد الترحيب يكون العطاء الذي شبهه بالمزن، والشيخ لا يعطي أموالا تفتى، بل معارف نورانية دائمة، وهنا يختلف مقصد الصوفي بالعطاء ومقصد غيره من الشعراء، وإن شبه كل منهما العطاء بالمطر، ومن ذلك قول المتنبي مادحا، علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي، يقول:

وإن سحابا جوده مثل جوده سحاب على كل السحاب له فخر².

والبيت الثالث كان الاعتراض فيه بـ (في الدرس) وهو وقت عصر الكروم بعد قطفها مشبها أياها بما يدرس من الحبوب، فأصحاب المعرفة والعلم، لو أنهم حضروا تلك العملية، وشموا ريحها، لما بقي لهم من الصواب شيء، وهم من هم معرفة علما، فكيف بهم

¹ - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 115.

² - أبو الطيب المتنبي، الديوان، بيروت: دار الجليل، (دط)، (دت)، ص 190.

لو شربوا منها، أو لو شتموا ريحها بعد تمامها؟! فهذا الاعتراض أعطى لتعبير الأمير الصورة التي يرى بها قيمة هذه الخمرة، التي ما فتئ يتغنى بها المتصوفة، فهي الهيام والذوبان في الحبيب.

أما الاعتراض بـ (عنا) في البيت الرابع ففيه تخصيص لجماعة المريدين، الذين سألوا الله مجازاة شيخهم، عما نالوا على يديه من الفضل.

الاعتراض بين الفعل والفاعل أو نائبه:

وغلب على هذا الاعتراض الجار والمجرور أيضا ومن ذلك قول الأمير:

11- وما بعدت — عن ذا الحب - تهامة ولم يثنه سهل هناك ولا وعـ¹

61- ويلقي إليه نفسه بفنائـه بصدق تساوى — عنده - السر والجهـ²

82- وقالوا فمن يرجى - من الكون - غيرنا فنحن ملوك الأرض لا البيض والحمـ³

في البيت الأول أفاد الاعتراض تخصيص الأمير لذاته، في نفي بُعد تهامة عنه، وهي موطن الحبيب مكثيا عن نفسه بـ (ذا الحب)، وفي الحقيقة هي بعيدة بدليل قوله قبل هذا البيت، (إلى أن دعني همة الشيخ من مدى بعيد)، لكن المسافة والزمان، يطولان ويقصران بحسب الحال، فالحب لا يشعر بطول المسافة، إذا كان ذلك في سبيل لقاء الحبيب، والقصد ليس المسافة ذاتها بل التعب الذي يسببه هذا الطول، فكأن الأمير بإحداث هذا الاعتراض، أفادنا بشديد حبه، وبطول المسافة، وحبه كان أقوى، فقد هون به السهل والوعر. فالبعد الذي يؤلم هو بعد الحبيب، فكيف لا يهون السفر إليه مهما كان بعيدا، وفي مثل هذا

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 199.

² - نفسه، ص 195.

³ - نفسه، ص 199.

يقول ابن الفارض:

عذب بما شئت، غير البعد عنك تجد أوفى محب، بما يُرضيك، مبتهج¹

كذلك في البيت الثاني، خصص تساوي السر والجهر، عند الفقير المريد الذي يلقي بنفسه بين يدي شيخه، والسر أصلاً يختلف عن الجهر، لكن عند المريد الصادق بين يدي شيخه يتساويان، والضمير يحتمل العودة على الشيخ ويحتمل العودة على المريد، ولكل واحد منهما صورة.

- إن عاد على المريد ففي ذات المريد نفسه إذ يصبح ظاهره الذي يقابل الجهر، هو ذاته باطنه الذي يقابل السر، فلا رياء ولا نفاق ولا تمثيل.

- و إن عاد على الشيخ فمن خلال رؤيته، فهو يرى بنور الله، لقوله تعالى {يا أيها

الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويغفر لكم}²

وقوله: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته، ويجعل لكم نوراً

تمشون به، ويغفر لكم}³

فالذي في موقع الشيخ من القرب والتقوى يتساوى عنده السر والجهر، فيعرف مريده ظاهراً وباطناً.

والاعتراض في البيت الثالث (من الكون)، فيه حصر الرجاء على شاربي خمرة الحب، ليس من بين طائفة معينة، بل على كل من في الكون من الخلق.

1 - عمر بن الفارض، الديوان، ص 99.

2 - الأنفال (29).

3 - الحديد (28).

الاعتراض بين جملتين معطوفتين:

يقول الأمير:¹

99- خذ الدنيا والأخرى - أباغيهما معا - وهات لنا كأسا فهذا لنا وفر

فالأمير لا يتعلق بأخذ الدنيا والأخرى فقط، لأنه يمكن أن يطلب منك أحدهما مع حسرة عنهما، لكن الأمير يسمح بهما، راغبا عنهما، لما هو أفضل، وهو خمرة الحبيب، ولولا هذا الاعتراض، ما ظهرت قيمة الخمرة عند الأمير. وهذا جدول يبين ملخص الاعتراضات السابقة.

الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية			
الموضوع	دالتها	موقعها	المعتضة
الشيخ	أفادت الرجاء	أغث... والهأ	يا مغيث المستغيثين
الأمير	الاسترحام	ألم...الضر	من بعد أحبابه
الأمير و صحبه	تحديد المكان	أنحنا...ركابنا	بالبطاح
الشيخ	إظهار الحال	يلقى...قاصدا	بالرحب
الخمرة	تحديد الزمان	شمت الأعلام...ريجها	في الدرس
الأمير و صحبه	توكيد الفضل	جزى الله...شيخنا	عنا
الأمير	توكيد الحب	وما بعدت...تهامة	عن ذا الحب
المريد (الأمير)	تخصيص المريد بالصفة	تساوى...السر والجهر	عنده
الخمرة	تحديد المكان	فمن يرجى...غيرنا	من الكون
الأمير	التفرغ للمحبيب وحده	بين جملتين	أباغيهما معا

الجدول (10)

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 202.

اعتراضات أخرى: وردت اعتراضات أخرى مختلفة منها ما جاء مفعولا مطلقا، ومنها الاستثناء، والقسم والشرط، ومنها ما فصل بين صفتين، ومن ذلك:

16- فأنت بنبي مذ ألت بربكم وذا الوقت -حقا - ضمه اللوح والسطر¹

وفيه اعتراض بالمفعول المطلق (حقا) ، وفيه تأكيد لحقيقة القول، أن عهد القربى من أزل قدم، من يوم أخرج الله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم.

32- فلا غضب -حاشا - بأن يستغفره ولا حدة كلا ولا عنده ضرر²

وهذا اعتراض بـ (حاشا) وفيه الاستبعاد التام لغضب سيده، فهو مستثنى من أن يستغفره الغضب.

40- وذا- وأبيك -الفخر لا فخر من غدا وقد ملك الدنيا وساعده النصر³

وفي قوله معترضا بـ (و أبيك) قسم يعني به رسول الله، والقسم يكون مؤكدا سواء في الجملة الاسمية، أو الفعلية،⁴ والأمير يؤكد هنا خلافة شيخه، الذي كساه رسول الله أياه.

108- وغيم السّما - مهما سما - هان أمره فليس يرى إلا لمن ساعد القدر⁵

واعترض آخر بالشرط (مهما سما) فغيم السماء يهون أمره ، وهذا الاعتراض يزيد من شدة الهوان، ذلك أن الهوان يحدث في الأمور البسيطة، لكن يحدث الآن، رغم سموه فلا

¹ - السابق، ص 185.

² - نفسه، ص 188.

³ - نفسه، ص 191.

⁴ - ينظر، أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 52.

⁵ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 203.

يفوز بمعرفة حقيقته، إلا من ساعد القدر، مصداقا لقوله تعالى { وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظٍ عظيم }¹

68- معتقة - من قبل كسرى - مصونة وما ضمها دنّ ولا نالها عصر²

ولقد مرّ علينا معنى هذا الاعتراض (من قبل كسرى)، والذي يفيد إثبات التباين بين خمرة المتصوفة، والخمرة المادية، وفي إشارة من قبل كسرى إشارة إلى قدمها، وأكد الشطر الثاني، بُعدها عن الخمرة المادية، بعدم احتوائها في أي دنّ، وكونها لم تُعصر.

من خلال تأمل هذه الاعتراضات في الجمل الاسمية، ومقارنتها بجدول الاعتراضات، في الجملة الفعلية، تبرز، أوجه الاختلاف، في المواضع التي وقعت فيها، وهذا الجدول يبينها.

ملخص مواضع الاعتراضات في القصيدة				
الخمرة	الصحب	الأمير	الشيخ	
02	02	04	02	اعتراضات في الجملة الفعلية
02	01	01	05	اعتراضات في الجملة الاسمية

الجدول (11)

اللافت للانتباه، عند النظر للجدولين، هو تباين عدد المواضع التي كان فيها الاعتراض في سياق الحديث عن الشيخ، و الأمير في الجمل الفعلية، و في الجمل الاسمية.

- في الجمل الفعلية ذكر الشيخ بنسبة قدرها (20 %). بينما ذكر في الجمل الاسمية بنسبة قدرها (55.55 %).

¹ - سورة فصلت، الآية 35.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 196.

وعند ملاحظة المواضع التي ذكر فيها الأمير، نجد أنها تقريبا عكس ذلك. إذ نجد منا يلي :

- في الجمل الفعلية ذكر الأمير بنسبة قدرها (40 %). بينما ذكر في الجمل الاسمية بنسبة قدرها (11.11 %). وهذه النسب المرتفعة للشيخ في الجمل الاسمية توحى بالرغبة في الإخبار والتحدث عنه، وأنه لم يكن في موقع المفعول في الجملة الاسمية لسمو مكانته عند الشاعر.

رابعاً: السياق :

السياق في الواقع مصطلح كثير الاستعمال، في علم اللغة الحديث ، وله عدة مدلولات، لذلك علينا أن نبين السياق الذي نريد رصده، في قصيدة الأمير، إنه " نموذج لغوي ينكسر بعنصر غير متوقع، والتضاد الناجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبي، وقيمة التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين، فلن يكون لع أي تأثير، ما لم يتداع في توال لغوي.¹ وهذا هو مبدأ التضاد اللغوي الذي جاء به (ريفاتير)، وهو ذاته ما تحدث عنه البلاغيون في موضوع (الالتفات)، وهو ما سنصطلحه عليه، و يكون هذا التغير المفاجئ للمتلقى، في عدة أشكال، منها:

أ - الانزياح في استعمال العدد:

يرى د/ حسن طبل أن الالتفات في هذا المجال، يكون في عدة حالات حدّدها فيما يلي:²

¹ - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 225.

² - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 88.

- بين الأفراد والجمع.

- بين الأفراد والتثنية.

- بين التثنية والجمع.

ولما كانت قصيدة الأمير لا تشتمل على التثنية، فسيبقى لدينا البحث (بين الأفراد والجمع).

ومن ذلك في قصيدة الأمير قوله:¹

11- وما بعدت عن ذا الحب تهامة ولم يثنه سهل هناك ولا وعر

12- إلى أن أنخنا بالبطاح ركابنا وحط بها رحلي وتم لها البشر

في هذين البيتين تحولان وهما:

- من الأفراد ————— إلى الجمع.

- من الجمع ————— إلى الأفراد.

فالأمير يتحدث، عن نفسه مكنيا عنها بالحب، الذي لا يثنه سهل ولا وعر، عن السير لخبوبه، في صيغة الأفراد، ثم يتحول بعدها إلى الجمع، فيقول (إلى أن أنخنا...ركابنا). ذلك أن الحديث في الأفراد يتعلق بحال الأمير وحده، في الحب ، ولو أنه أشرك معه غيره وقال(لم يثننا سهل ولا وعر)، لنقصت قيمة التضحية، كونها مع الجماعة، وفيها الأنس، بينما هو في سياق الحديث عن الحب المستعد لركب الأهوال، في سبيل حبه، ولكن بعد انتهاء الرحلة، يمكن الإشارة لمن كان معه ، ومشاركتهم إياه، في الإناحة.

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 184.

ثم يعود الأمير لذكر الأفراد بعد الجمع في قوله (وخط بها رحلي) غير أن السياق، يتطلب (حططنا) ليتناسب الفعل مع سابقه (أنحنأ)، أو أن يقول حطت بها رحالنا، وفي هذا مجاز، إذ ليس الرحل الذي يحطُّ ، بل يُحطُّ، - وهذا سنتعرض إليه في الانزياحات التركيبية - وإنما عدل الأمير عن صيغة الجمع في خط الرحل، أن رحال القوم مفعول بها وخطها أصحابها، أما رحل الأمير فهو الفاعل، وهو الذي يستعجل الإقامة بهذه البطاح، فكيف الحال بصاحب الرحل ذاته، ويدعم هذه الدلالة ما جاء بعدها في قوله: (وتم لها البشر) إذ مثل هذه الدلالات " اقتضى نظامها منا إعادة القراءة، مما يجعلها تنطبع في أذهاننا بشكل أعمق مما حدث لدى الدهشة الأولى".¹ عند رؤيتنا لتحول الأفراد للجمع أو العكس.

ومن ذلك أيضا قول الأمير:²

91- وملنا عن الأوطان والأهل جملة فلا قاصرات الطرف تثني و لا القصر

92- ولا عن أصحاب الذوائب من غدت ملاعبهم مني الترائب والنحر

93- هجرنا لها الأحباب والصحب كلهم فما عاقنا زيد ولا راقنا بكر

في هذه الأبيات ، التي كانت في معرض الحديث عن الخمرة، تغير مجرى سياق العدد مرتين، وكان ذلك على هذا الشكل:

- جمع ← أفراد (ملنا...غدت ملاعبهم مني)

- أفراد ← جمع (غدت ملاعبهم مني...هجرنا)

¹ - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 229.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 200-201.

إن في هذا الخروج عن السياق في استعمال العدد، له دلالة لطيفة، فالأمير في معرض ذكر السكارى بخمرة الحب وهو منهم، وفيها يذكر تضحيتهم فقد هجروا الأوطان معاً، ولم يثنهم ترف الدنيا من الكواعب الحسان، ولا ترف القصور التي هي لكل منهم ممكنة الوجود بالفعل، ولكن عندما ذكر الأمير ملاعبة أصحاب الذوائب، و أحسب أنه يقصد بها الخيل، فذلك أمر يخصه هو بذاته لفروسيته فالتفت عن استعمال الجمع، إلى الإفراد، ثم يرجع للجمع عندما صار الأمر يهم الجميع في قوله هجرنا.. يقول زكريا صيام في شرحه للديوان عن (أصحاب الذوائب): "أراد الفتيات الحسنات"¹ و قلتُ إنما يقصد بها الخيل لعدة اعتبارات منها:

1. أن الأمير يُعَدُّ ما ضحى به من أجل خمرة الحب، وقد ذكر قاصرات الطرف، فما الجدوى من إعادة ذكرهن.

2. أن الصيغة جاءت بالتذكير (أصحاب، ملاعبهم) والأولى لو كن فتيات أن يقول صحيبات و ملاعبهن.

3. الذوائب في المنجد: الناصية وهي شعر في مقدم الرأس². وهذا مناسب للخيل.

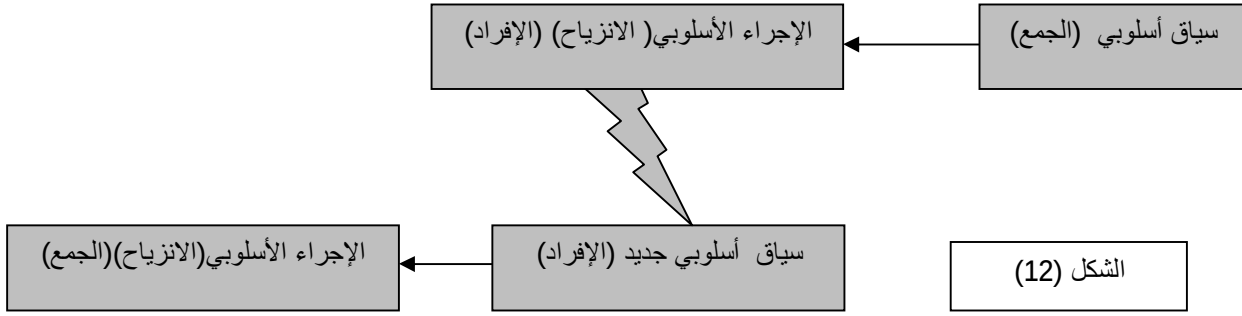
4. من أكثر الأشياء التي كان يحبها الأمير (الخيل)، وقد ألف فيها كتاب، فالسياق مناسب بأن يذكرها مع الأوطان، و الأهل وقاصرات الطرف.

5. ذكر النحر، والترائب، وهي المواضع التي يلاعبها الأمير عند استعماله للخيل.

إذا تأملنا تغير السياق، فيما سبق يظهر أن الأجراء الأسلوبي، صار سياقاً جديداً، وتحول بمضاد آخر، صار هو الإجراء الأسلوبي ذاته، ويمكن أن نوضح هذا بالشكل التالي:

¹ - السابق، (الهامش)، ص 201.

² - المنجد في اللغة والأعلام، جذر (ذ - أ - ب).



وهذا يعني " إمكانية توالي المتعلقات الأسلوبية أي أنه إذا كان النموذج الأول هو (السياق + الإجراء الأسلوبى) فإن هذا الإجراء الأسلوبى يمكن بدوره أن يصبح سياقاً لإجراء آخر يتضاد معه، فيقوم بدور الإجراء المضاد لما قبله والسياق الذي يتضاد معه ما بعده.¹

ومن ذلك أيضا قوله:²

94- و لا ردنا عنها العوادي ولا العدا و لا هالنا قفر ولا راعنا بـــــحر

95- وفيها حلا لي الذل من بعد عزّة فيا حبذا هذا ولو بدءه مـــــرّ

في البيت الأول، الحديث بصيغة الجمع، وتحول إلى صيغة الأفراد في البيت الثاني، والبيتان في سياق الحديث عن خمرة الحب، ففيما سبق لم يثنهم زخرف الدنيا بجماله، والآن لم تمنعهم شدائد الدنيا بجلالها، للوصول إلى هذه الخمرة في حضرة المحبوب، في كل هذا هم جماعة، ذلك أن الحديث عن الظاهر ظاهر للجميع، أما الباطن فلا يعلمه إلا الله، وصاحبه، لذلك عبر الأمير بالأفراد عندما تحدث، عن الشعور باللذة، إذ لا يمكن للمرء التحدث بما يحس به غيره بل بما يحسه هو، وقوله:³

¹ - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 226-227.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 201.

³ - نفسه، ص 202.

99- خذ الدنيا والأخرى أباغيهما معا وهات لنا كأسا فهذا لنا وفــــر

في هذا البيت، تم الانزياح في السياق، بالخروج من الأفراد إلى الجمع، فالأمير يطلب من مستمعه أن يأخذ الدنيا والأخرى، فهو لا يريد هما معا، وهذا تضحية كبيرة، إذ لو كان الأمر بأخذ الدنيا فقط، ربما هان، لكن أن تكون الأخرى أيضا، فهذا ما لا يستطيع المرء أن يتحدث به عن لسان غيره، بل عن نفسه فقط. أما الدعوة للشرب فلا بأس أن تكون للجميع، ولكل واحد منهم شعوره بها. وهذا يدل على ذوبان الأمير في حضرة محبوبه، إذ عبادته ليست للدنيا، ولا لما في الآخرة من جزاء أو عقاب، بل لعين الحب، وهو ما ترجمته رابعة العدوية من قبل لما قالت:¹

أحبك حين حب الهوى وحبّا لأنك أهل لـذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عما سواكا
و أما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا

ب - الانزياح في استعمال الضمائر:

في سياقات النص يتحول الشاعر من حين لآخر بين الضمائر من سياق لآخر حسب متطلبات، التعبير و الالتفات في مجال الضمائر يتحقق في صور المخالفة التعبيرية والتي منها:²

- بين الغيبة والخطاب.
- بين الغيبة والتكلم.
- بين التكلم والخطاب.

¹ - مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص 125.

² - ينظر، حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 103.

- بين تذكير الضمير وتأنيثه.

1. بين الغيبة والخطاب. من ذلك قول الأمير:¹

06- أمولاي طال المهجر وانقطع الصبر أمولاي هذا الليل هل بعده فجر

07- أغث يا مغيث المستغيثين والهـا ألم به من بعد أحبابه الضر

08- أسائل كل الخلق هل من مخبر يحدثني عنكم فينعشني الخبر

في البيت الأول ينادي الأمير، شيخه، وإن كانت الأميرة بديعة الحسني، في عرضها لهذه القصيدة، قالت قبل ذكر هذه الأبيات "هنا يخاطب رب العالمين ويشكو له شوقه لأهله و أنصاره في الجزائر"² و الأمر ليس كذلك لعدة معطيات منها:

- كون الأميرة بديعة، بعيدة عن العمق الصوفي، و لا تريد بأي حال من الأحوال أن يكون الأمير له هذا العمق الصوفي، بدليل حذفها (53 بيتا) من هذه القصيدة، وكلها ذات عمق ولغة لا يدرك بعدها من بُعد على المشرب الصوفي.

- دليل من السياقات اللاحقة، بقوله، أسائل كل الخلق... يحدثني عنكم، وهذا بعيد في حق الله أن يكون من الأمير الذي يعلم علم اليقين قوله تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَاةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ. }³ أن يبحث عن من يحدثه عن ربه

- التعبير عن فرحته باستجابة الشيخ مصرحا به قائلا: (إلى أن دعيتني همة الشيخ...).

فالأمير ينادي في البيت الأول شيخه، ولقد ناداه باستعمال حرف النداء (الهمزة)، واستعمال الهمزة غير استعمال الياء فالنداء هو " طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو)

¹ - الأمير عبد القادر ، الديوان، ص 183.

² - بديعة حسني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق، الجزائر: دار المعرفة،(دط)، (دت)، ص 297.

³ - سورة البقرة، من الآية 186.

أو (أنادي) ، و الأصل أن تكون الهمزة و أي لنداء القريب، وما سواهما لنداء البعيد.¹ من هنا تبين القاعدة أن الأمير في موقع قريب من شيخه، لكن السياق الموالي يدل على غير ذلك، إذ يقول: (أسائل كل الخلق هل من مخبر يحدثني عنكم.) والحدثان في الحاضر، فالنداء للقريب قائم الآن، والمساءلة الآن كذلك، والتضاد ينتج عن هذا التزامن. إذ كيف تكون أمامي، و أناديك نداء القريب، ثم أبحث عمن يخبرني عنك؟!

إن الأمير استعمل الهمزة، لأن القرب عند المتصوفة ليس قرب الأجساد، الفانية لكنه قرب الأرواح، فروح الأمير متعلقة بشيخه، فهي معه، ومن ذلك قول البرعي:²

وما شيء بأعظم من جسم
مفرقة وأرواح تلاقى

وقد ذكر البلاغيون تأويلات لطيفة في مثل هذه السياقات منها قولهم " قد يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر، فيتزل البعيد منزلة القريب، إشارة إلى أنه لشدة استحضاره في الذهن - ذهن المتكلم - صار كالحاضر معه."³

2- بين الغائب والمتكلم: يمكن أن نجد في السياق تحول من صيغة الغائب، إلى صيغة المتكلم، ومن ذلك في قصيدة الأمير:⁴

89- وتسبيهم غزلان رامة إن بدت و أحداقها بيض وقاماتها سمر

90- وفي شمها حقا بذلنا نفوسنا فهان علينا كل شيء له قدر

في البيت الأول كان الكلام في سياق الغائب، في قوله: (وتسبيهم)، وهم السكارى الذين انتشوا بخمرة الحب، وفي البيت الثاني تحول السياق باستعمال ضمير الجمع: (بذلنا

1 - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص 106.

2 - عبد الرحيم البرعي، الديوان، ص 147.

3 - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص 106.

4 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 200.

نفوسنا)، فالسياق الأكبر هو الأول والأصل، والتضاد البنيوي نتج عنه السياق الأصغر، محدثا بذلك انزياحا في المسار الخطي للجمل. فالأمير يتحدث في البيت الأول وما قبله عن ذاتقي هذه الخمرة، وبعد وصفهم ووصف حالهم، أعلمنا في البيت الثاني، بأن كل ما كان من ذكر القوم فهو واحد منهم بعودته لضمير المتكلم، وأكد ذلك بالمفعول المطلق (حقا)، عندما قال: (وفي شمها حقا بذلنا نفوسنا).

3 - من التأنيث إلى التذكير: يرى البلاغيون أن هذه الصورة من الالتفات لا تتحقق " إلا إذا كان مرجع الضميرين - المذكر والمؤنث - واحد، إذ الالتفات... لا يتأتى إلا إذا اتحد المعنى أو الجهة بين الملفت عنه والملتفت إليه.¹

ومن ذلك في قصيدة الأمير هذه الأبيات:²

65- ويشرب كأسا صرفة من مدامة فيا حبذا كأس ويا حبذا خمر

66- فلا غول فيها لا ولا عنها نزفة وليس لها برد وليس لها حر

67- ولا هو بعد المزج أصفر فاقع ولا هو قبل المزج قان ومحر

68- معتقة من قبل كسرى مصونة وما ضمها دن ولا نالها عصر

استعمل الأمير صيغة التأنيث في البيت الثاني، (فيها، عنها، لها) أما في البيت الثالث، أحدث انزياحا بتحويله إلى صيغة التذكير، فقال: (لا هو بعد، ولا هو قبل، وأصفر ومحر)، ثم يعود في البيت الرابع لصيغة التأنيث محدثا انزياحا آخر، فيعبر بـ (معتقة، مصونة، ما ضمها، ما نالها) وذلك كله في الحديث عن الخمرة.

والظاهر أن الأمير يرى للخمر صورتين:

¹ - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 127.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 196.

- صورة معنوية تتعلق بالخمرة من حيث هي شراب له تأثير السكر. فهو يتحدث عنها بصيغة التأنيث.

- وصورة مادية مصورة، يود أن يصف بها لونها، فهو يتأمله من خلال كأس ويصفه، وفي كل ما يذكره يريد أن يميزها عن الخمرة المادية، ويبعدها عنها، حتى عن اسمها خمرة فيتصوره ذلك الشراب، البادي من الكأس فلا هو أصفر قبل المزج ولا أحمر بعده.

4- انزياح من (مركب إضافي) إلى الفعل: يقول الأمير:¹

22- عياذي ملاذي عمدتي ثم عدتي وكهفي إذا أبدى نواجزه الدهر

23- غياثي من أيدي العداة ومنقذي وأكسبني عمرا لعمرى هو العمر

استعمل الأمير الصيغ التالية: (عياذي ، ملاذي، عمدتي، عدتي، كهفي، غياثي، منقذي)، كسياق أكبر، وهي عبارة عن أسماء مضافة إلى ياء المتكلم، ثم تحول عنها في الشطر الأخير، فبدلاً من أن يسير على السياق السابق، أحدث تضاداً بنيوياً، فلم يقل (مكسي) بل قال: (وأكسبني عمرا) مستعملاً بذلك الفعل المتعدي لضمير المتكلم، بدلاً من الاسم المضاف لياء المتكلم.

وفي استعمال الفعل بدل الاسم، "فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانه أن موضوع الاسم، على أن يثبت به المعنى للشيء، من غير أن يقتضي تحده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه، على أنه يقتضي تحدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء"² وفي هذا الانزياح من الأمير وجهان دلاليان:

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 186.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 200.

- الأول: أن الأمير له عمره الذي يحياه من قبل معرفة الشيخ، لكن استعمال الفعل، أكسبني بدل الاسم مكسبي، المفيد للتجدد والحركة، أفاد حياة ثانية، وهي التي نصت عليها الآية، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }¹.

- الثاني: إذا كان مفاد الاسم يدل على الاستمرار والدوام على الحال، فلا يناسب استعماله للعمر المتغير والمتجدد، المسوجب البدء والانتهاء.

5 - الانزياح في العدد والضمائر معا: يقول الأمير:²

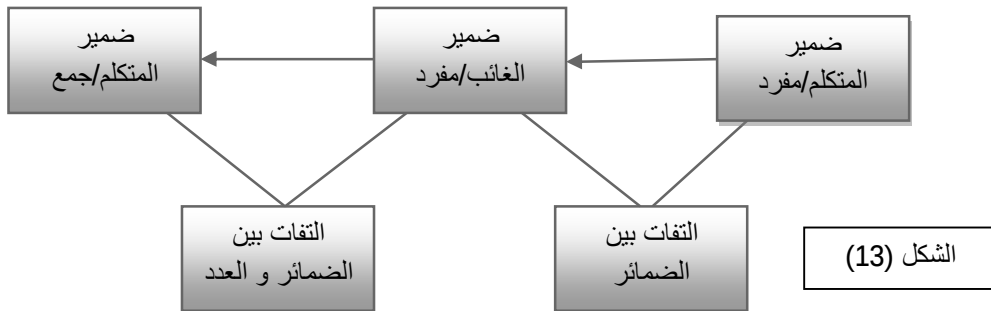
10- فشمرت عن ذيلي الإزار وطار بي جناح اشتياق ليس يخشى له كسر

11- وما بعدت عن ذا المحب تهامة ولم يثنه سهل هناك ولا وعـر

12- إلى أن أنحنا بالبطاح ركابنا وخط بها رحلي وتم لها البشر

استعمل الأمير ثلاثة أساليب في هذه الأبيات جميعا تعود عليه، وهي:

- استعمل في البيت الأول صيغة المتكلم المفرد فقال: (شمرت/وطار بي)
- استعمل في البيت الثاني صيغة الغائب المفرد فقال: (لم يثنه)
- استعمل في البيت الثالث صيغة المتكلم الجمع فقال: (أنحنا ركابنا)



¹ - الأنفال، الآية (24).

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 184.

إن هذا التحول في استعمال الضمائر والعدد، لا يمكن أن يكون من أجل المخالفة فحسب، " ذلك أن المخالفة وحدها غير كافية لتوليد الشاعرية، ولابد من أن تكون من وراء المخالفة قيم فنية وجمالية"¹ بل لابد أن تفضي تلك المخالفة إلى دلالة، لها علاقة بالشاعر وحالته، لأن الشاعر " ينطلق إلى العمل من وحدة عاطفية، وهذه الوحدة تكتسي بما يمكن أن يسمى بالصورة الداخلية، ولكي يظل الشاعر مخلصا لهذه الصورة... لابد له أن يتلاعب بمعاني الألفاظ ويوسع فيها."²

وهذا ما دفع الأمير لهذا الاستعمال، فلا استعداد للرحلة، عمل فردي فهو قد شمر على ذيل الإزار، واستعد، وهنا هزّه الحال، فتحدث مع نفسه التي كأنها أوهمته بأن السفر طويل وشاق، فأخبرها أن من كان في مثل حاله، يهون عليه السفر مهما كانت متاعبه، ثم تحول إلى استعمال ضمير الجمع المتكلم، إلى أن أنحنأ... على الراحلين جماعة.

ت - الانزياح في استعمال الأفعال: يقول الأمير:³

81- و تاهوا فلم يدروا من التيه من هم وشمس الضحى من تحت أقدامهم عفر

82- وقالوا فمن يرجى من الكون غيرنا فنحن ملوك الأرض لا البيض والحر

83- تميد بهم كأس بما قد تولهوا فليس لهم عرف وليس لهم نكر

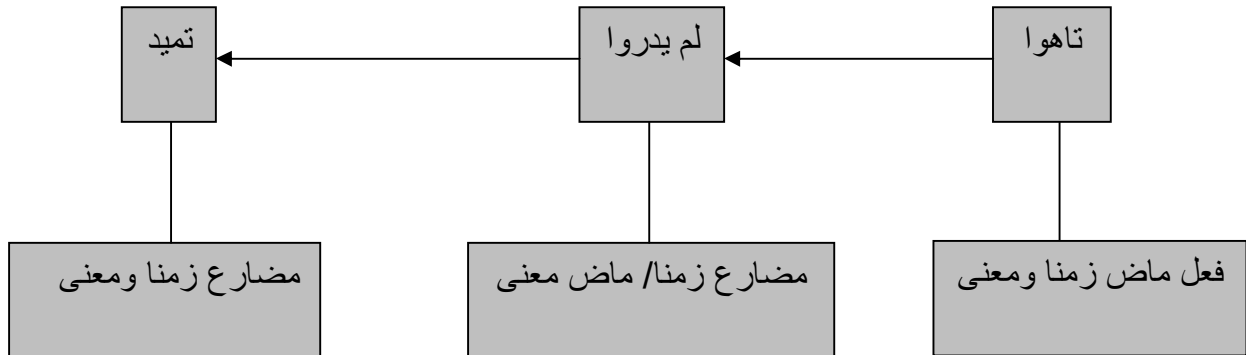
في البيت الأول استعمل الأمير الفعلين، (تاهوا - لم يدروا) ثم (قالوا - يرجى) في البيت الثاني، وفي البت الثالث، استعمل الفعل، (تميد - وتولهاوا). والذي يهمننا من هذه التحولات، ما كان بين الأفعال التالية، (تاهوا، لم يدروا، تميد)، لأن (قالوا) بقيت مع السياق الأكبر الأول، وما بعدها فهو مقول القول، وفي الحقيقة، الفعل (لم يدروا) يفيد معنى

¹ - أحمد محمد ويس، الانزياح، ص 125.

² - أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، الكويت: عالم المعرفة، (دط)، 1978م، ص 112.

³ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 199.

الماضي و إن كان مضارعاً، ذلك أن " لم حرف ينفي المضارع ويقلبه ماضياً"¹، لذلك يعرّبه النحاة، حرف نفي وجزم وقلب، من هنا يبقى التحوّل بين الفعلين، (تأهوا وتميد).



الشكل (14)

وفي هذا " عدول يفسره ما بين هاتين الصيغتين من فارق في أداء المعنى أو الدلالة؛ إذ أن المعنى مع أولاهما لماضوية الزمن فيها، هو أمر مقطوع بحدوثه، أما الثانية فهو أمر آني يتجدد حدوثه بتجدد الزمن، ومن ثم فإن هذه الصيغة الأخيرة تتفرد دون الأولى... بالقدرة على إثارة المعنى واستحضار صورته لدى السامع حتى كأنه يشاهدها."²

فالصيغة (تأهوا) نتيجة لما كان من السكر، وهي تبين استحكام السكر - كما عبر د/ حسن طبل - أمر مقطوع بحدوثه، ولكن الدلالة تفقد معنى دوام التيه، لو كان الفعل الثاني بصيغة الماضوية (مادت بهم)، فهم وإن كانت الخمرة قد أتمت مهمتها في إسكارهم، إلا أن مفعولها باق وقائم، وما تحقق هذا المفهوم إلا بهذا الانزياح في استعمال زمن الفعل.

¹ - ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 114.

² - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 79.

ث - التحول بين المواضيع:

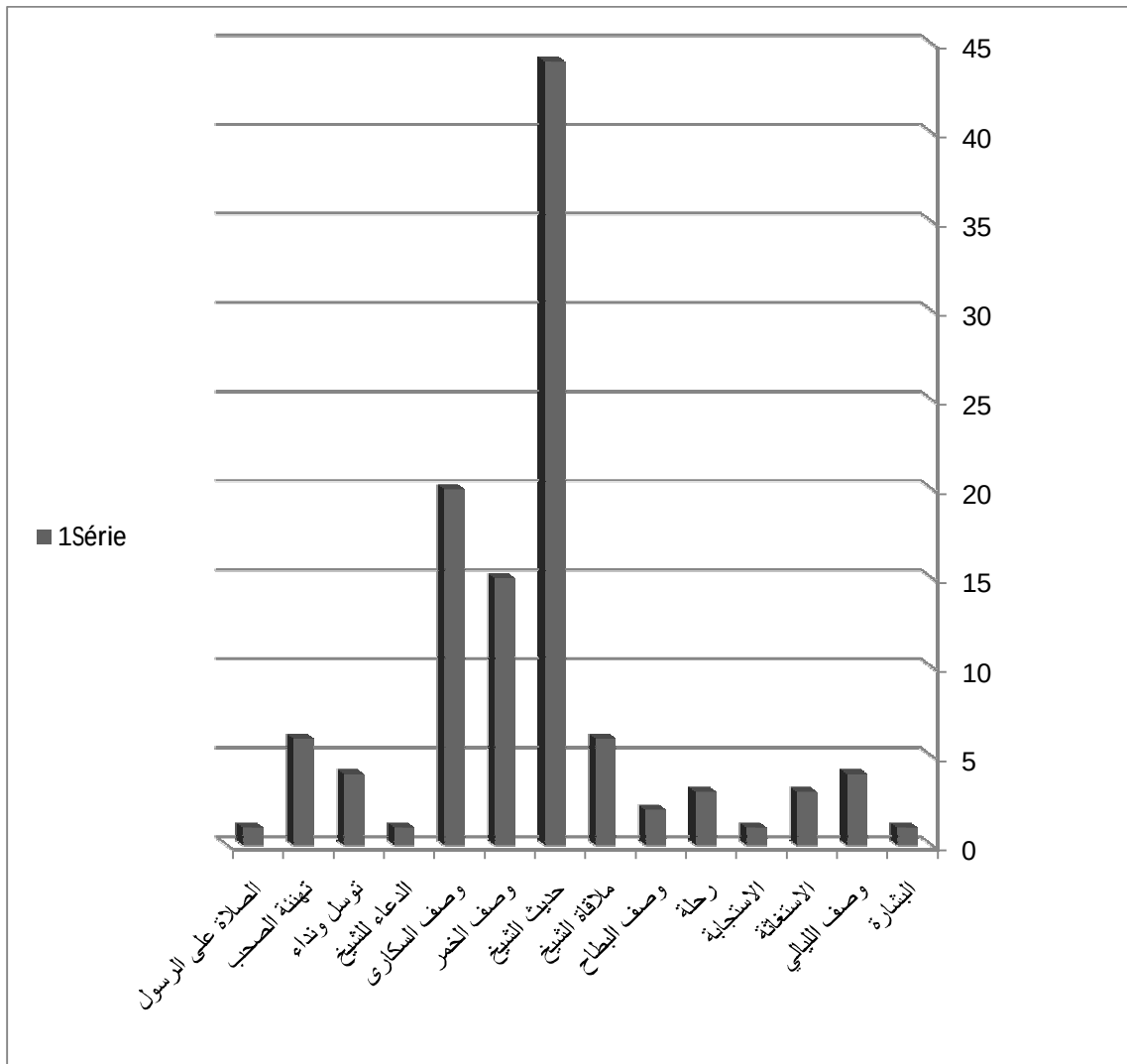
من خلال هذا التقصي نود أن نبحث عن المواضيع التي بني منها نص القصيدة، ثم نتقصى مميزات كل موضوع، والظواهر الأسلوبية المميزة، فيه ذلك أن " النظرة الكلية الشاملة إلى النص من شأنها أن تكشف عن ظواهر غير عادية؛ مثل توزيع بعض العناصر الأسلوبية توزيعاً غير متعادل مما يلفت النظر إليه ... كأن يتكرر أسلوب ما، ويشكل تكراره في النص ملمحاً بارزاً غير عادي." ¹ وهذا جدول يبين مساحة كل موضوع .

الأبيات	الموضوع	عدد الأبيات	النسبة
البيت (1) .	ذكر البشارة	01	0.90 %
البيت (2 - 5) .	وصف معاناة ليالي	04	3.60 %
البيت (6 - 8) .	استغاثة الأمير بالشيخ	03	2.70 %
البيت (9) .	الاستجابة	01	0.90 %
البيت (10 - 12) .	الرحلة	03	2.70 %
البيت (13 - 14) .	وصف البطاح	02	1.80 %
البيت (15 - 20) .	ملاقاة الشيخ وتلقي	06	5.40 %
البيت (21 - 64) .	وصف خصال الشيخ	44	39.63 %
البيت (65 - 79) .	وصف الخمرة	15	13.51 %
البيت (80 - 99) .	الحديث عن السكارى	20	18.01 %
البيت (100) .	الدعاء للشيخ	01	0.90 %
البيت (101 - 104) .	توسل ونداء قبل الختام	04	3.60 %
البيت (105 - 110) .	تهنئة الصبح بما نالوا	06	5.40 %
البيت (111) .	الختم بالصلاة على	01	0.90 %

الجدول (12)

¹ - أحمد محمد ويس، الانزياح، ص 127.

يمكن أن نجري عملية إحصائية بحتة، تساعدنا على كشف، بعض الظواهر الأسلوبية، ذلك أن الإحصاء " أداة كاشفة ومعينة ووسيلة منهجية واعدة... في سبيل عقلنة التدوق، وعلمية التناول، والتسوية المنطقي للأحكام، والتفسير المنضبط للظواهر الأدبية".¹ وهذا المخطط يبين لنا مدى تباين طول وقصر المواضيع في القصيدة، ويتيح لنا تحديد مواقع اهتمام وانشغال الأمير.



الشكل (15)

¹ - سعد مصلوح، في النص الأدبي، (...). عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (ط1)، 1993م، ص 9.

يظهر من خلال ما سبق، أن الموضوع الذي سيطر على القصيدة، هو الأطول فيها، وهو ما تعلق بالحديث عن الشيخ، ولقد أخذ تسلسل البناء في القصيدة، مسارا قصصيا مرتبطا، شابه بعض الخلخلة أحدثت فيه ما يحدث عادة في البناء السردى، من أوضاع حددها (جانيت جيرار) منها:

العودة إلى الوراثة*: بعد ذكر مجيء السعد في الحاضر، عاد الأمير و كسر مسار الزمن إلى الوراثة ذاكرة أيام الهجر والصد.

كذلك عودة إلى الوراثة البعيد في عالم المتصوفة، عندما ذكر الشيخ الأمير، بالعهد القديم، لما قال: (مذ ألت بربكم). وعلى لسان الشيخ: (وجدك قد أعطاك من قدم لنا). والأمير، بدأ القصيدة بما كان ينبغي أن تنتهي به، وهو بلوغ المأمل، وإن كان قد عاد لذكر ذلك في ختامها، وهذه البداية، خروج عن المتوقع، يستعمل كوسيلة في السرد، حيث يبدأ الراوي القصة من نهايتها.

من غير هذه الخلخلة الزمنية كانت الأحداث كلها مرتبة، حسب حال الأمير وما يقتضيه الترتيب الزمني المعتاد.

فالبداية الحقيقية، هي وصف أيام المعاناة الأبيات (2 - 5)، والمعاناة، أوجبت الاستغاثة فكانت مباشرة في الأبيات (6-8) ، والاستغاثة توجب الاستجابة أو عدمها، فجاءت الاستجابة في البيت التاسع مفردا، إيذانا بالسرعة وعدم الإطالة، وهذا هو المبتغى، فما كان على الأمير إلا أن يبدأ الرحلة، مباشرة بعد الإجابة، ولم يطل فيها حيث احتلت الأبيات (10- 12) فقط، وصل بعدها إلى أرض الحبيب، فأخذت منه بيتين، (13 - 14)، ثم وصف اللقاء مع الشيخ ومدح خصاله، في خمسين بيت (من البيت

* - ينظر البيت (1 و2) والبيت (17 و18) الملحق، ص 201.

15 إلى البيت 64)، ثم أخذه الحال في الخمرة واصفا إياها وواصفا أصحابها، في خمسة وثلاثين بيتا (من البيت 65 إلى البيت 99)، ويقر الأمير بفضل شيخه، فيدعو له في بيت وهو تمام المائة. ويتم القصيدة بالإقرار بفضل الشيخ في أربعة أبيات، ويعلن البشرى التي عمت كل الصاحب، ليختم قصيدته بالدعوة للصلاة على الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم.

من خلال دراسة القصيدة حسب تركيبها الخطية، تقصيا لمواقع الانزياحات على خلفية نحوية، تبين أن هذه الانزياحات تشكلت من خلخلة المحور التركيبي على أربع مستويات وهي :

1. الحذف.

2. التقديم والتأخير.

3. الاعتراض.

4. السياق.

و أثناء البحث، ومن خلال العمليات الإحصائية ظهر لنا ما يلي:

التفاوت البارز فيما يتعلق بموضوع الحديث عن الشيخ، في الجمل الاسمية (حذف المسند تارة والمسند إليه تارة أخرى) فلاحظنا:

نسبة الحذف في المسند في مواضيع الحديث عن الشيخ مقدرة بـ (33.33 %)، وذكره في مواضيع الحذف في المسند إليه مقدرة بـ (86.66 %)*. ويعود ذلك أن الأمير، يريد تزويدنا بأكبر عدد من الصور عن شيخه، وذلك سيكون بالإخبار عنه، أما المبتدأ فهو موجود في أذهاننا والحاجة تدعو إلى نقل أكبر عدد من الأخبار.

* ينظر ملخص الجدول (3) من هذا البحث.

التفاوت البارز فيما يتعلق في التقديم والتأخير في الجمل الاسمية، في موضوع الحديث عن الشيخ. عندما تأملنا للجدول (5) نلاحظ أن عدد مواقع التقديم في الجار والمجرور عشرين موضعا ، عاد على الشيخ منها ستة عشر موضعا، تخصيصا له بأحكام كلها تعظيما له بما في ذلك أربعة مواضع تخص الأرض التي يقيم بها. بنسبة مقدرة بـ (80%)، ومن هنا يمكن أن يتجلى لنا أن مواقع التقديم في أغليبتها مرتبطة باهتمام الأمير بشيخه، فهي إما تعود على الشيخ، (أي الضمائر)، أو على المكان الكائن فيه، أو خطابا منه، وهذا مؤشر لتعلق الأمير المطلق بشيخه.

أمّا فيما يتعلق بالتقديم في الجمل الفعلية كانت النتائج عكس السابقة حيث غابت مواضع ذكر الشيخ تماما؛ فكانت كما يلي:

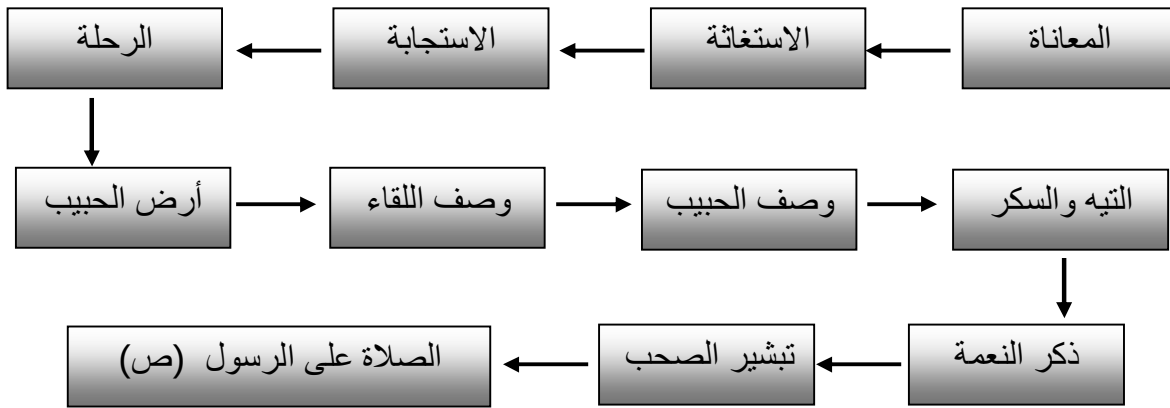
- الأمير ، تم تقديمه في خمسة مواضع .
- الأمير ومعه المريدون حالة خمرتهم، في خمسة مواضع.
- المكان، (البطاح والبيت) في ثلاثة مواضع.
- المدعي والمضطر في موضعين.

فلا نجد موضعا واحدا يخص شيخ الأمير؛ أي بنسبة (00 %)، ذلك أننا في دراسة مواضع تقديم المفاعيل، وهل لشخص كالأمير، أن يضع شيخه في موقع المفعول ؟ طبعاً لا. وهنا تتأكد أهمية علاقة الإحصاء بالسياق، كما نقله صلاح فضل على ألمان إذ يقول: " فالتحليل الإحصائي للأسلوب لا بد أن يدخل في حسابه عاملاً جوهرياً هو السياق."¹ وحتى إذا لم يدخل في حسابه ذلك لا بد على النتائج، أن تكون لها علاقة بالسياق.

¹ - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 269.

كذلك يظهر أن القصيدة شكلت في عمومها، مراحل متسقة في مساحة كل موضوع حيث لم تخالف في ذلك؛ النمط المتوقع إذ أخذ صميم الموضوع وهو الشيخ نصيب الأسد في خمسين بيت، بما فيها ذكر لقاء الأمير معه وهي مقدرة بنسبة (45.04 %) من مجمل القصيدة، وكذلك موضوع الحمرة و السكارى، وهو أبرز مواضع المتصوفة، أخذ 35 بيتا أي بنسبة (31.53 %) من مجمل القصيدة، أما رحلة الأمير المشوق للقاء منقذه وشيخه، فما كان لها أن تأخذ زمنا طويلا ولا مساحة كبيرة من القصيدة، إذ جاءت في ثلاثة أبيات، أي بنسبة (2.7 %)، وهي نسبة ضعيفة مناسبة للموقف.

ومن حيث ترتيب الأحداث كانت كالتالي:



الشكل (16)

فالقصيدـة كما يبين الشّكل، متسقة في ترتيب المواضيع، على نسق سردي منظم، باستثناء البيت الأول الذي كان يفترض أن يكون آخر بيت، وبذلك يكون هو الخرق الوحيد في التّرتيب، وربما هذا ما دعا الأمير لتكريره في النهاية أيضا.

الفصل الثاني

الانزياحات الاستيعابية في راية الأمير

مدرخل.

1. الاستعارة وتغير المدلولات.

2. انزياح الدوال في مواضيع القصيدة.

3. الانزياحات في الأساليب.

4. المحقول الدلالية.

5. التناص.

مدخل: بعدما قدمنا دراسة الانزياحات الواردة في قصيدة الأمير، في مستواها الخطي التسلسلي في محور التأليف، والتي كانت في عدّة مواضع أهمها، الحذف بأنواعه، والتقديم والتأخير، نشرع الآن في تقفي الانزياحات ودلالاتها الأسلوبية، والصّوفية وذلك في محور آخر أكثر غنا من المحور الأول، إنّه محور الاختيار، أو كما يسمى أحيانا بالاستبدال، وقولنا إن هذا المحور أكثر غنا ذلك أن النظام التأليفي يخضع للنظام النحوي، و " النظام النحوي لأية لغة يجعل عدد البدائل التي ينبغي أن يختار منها محدودا بشكل واضح... بيد أن هناك مجالا يبدو أن إمكانيات الاختيار فيه لا حدّ لها، وهو مجال التعبيرات المجازية والتصويرية من تشبيه واستعارة وغيرها.¹ وهذا بطبيعة الحال خاضع لمبدأ الاختيار.

مثال: عندما ترى أخاك (أحمد) المكّنّي بـ (حميد) يجري وراء أختك (خديجة) المكّنّة بـ (ديجة) وأردت أن تعبر عن هذا المشهد، يمكنك أن تعبر باختيارات مختلفة تُنتج تراكيب مختلفة ذات دلالة واحدة، من خلال الأعمدة (أ- ب- ج) في الجدول الموالي.

محور الاستبدال ³	أ	ب	ج
	أخي	يلاحق	أختي
	أحمد	يلحق	خديجة
	حميد	يجري وراء	ديجة
محور التركيب			
الجدول (13)			

حيث يمكنك أن تكون 27 جملة تحمل نفس الفكرة، باستعمال الاستبدال من خلال الحقول الدلالية، مع أننا لم نستعمل في الجدول السابق صورا بيانية أو صفات عديدة

¹ - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 118-119.

للمسميات، إذ لو فعلنا ربما تكاد احتمالات الإبداع لا تنقضي، " معنى ذلك أن الشحنة الإخبارية يمكن سكبها في صياغة ألسنية، متعدّدة، وهذا المبدأ من شأنه أن ينفي، وحدانية العلاقة بين البنية الخارجية للظاهرة اللغوية، وأبنيتها القاعدية الحاملة للأسس الدلالية.¹ أما على مستوى التركيب النحوي في كلّ هذه النماذج السبعة والعشرين، لا نجد إلا ثلاثة نماذج وهي:

ü مبتدأ + (خبر جملة فعلية): فعل+فاعل + (مفعول به - مضاف)+مضاف إليه.

ü مبتدأ + (خبر جملة فعلية): فعل+فاعل + (مفعول به).

ü مبتدأ + (خبر جملة فعلية): فعل+فاعل + (مفعول فيه - مضاف)+مضاف إليه.

يحسن بنا التنبيه ونحن في بداية دراسة الانزياحات، على مستوى محور الاستبدال، أن نشير إلى أن الفصل بين المحورين الاستبدالي والتركيبى، يكاد يكون غير ممكن في الواقع، ذلك أن العمليتين ، تحدثان في الذهن في زمن يكاد يكون واحدا، وهذا ما قصده صلاح فضل عندما قال: "إن الفصل القاطع بين الانحرافات السياقية والاستبدالية لا يمكن الإصرار عليه في التحليل الأسلوبى، فالانحراف الاستبدالي في وضع المفرد مكان الجمع مثلا لابد أن يترتب عليه انحراف تركيبى يتصل بضرورة التوافق في العدد بين أطراف الجملة."² ولكن هذا لا ينفي وجود العمليتين بالفعل، وعملنا ليس الفصل بينهما، إنما دراسة ما له علاقة بكل واحد منهما على حده.

¹ - السابق، ص 55.

² - صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 212.

وستتبع في دراستنا لقصيدة الأمير، من خلال هذا المحور محاولة إخضاع عملية الاختيار إلى عدّة مستويات بدءاً بـ (الدالّ) ومنه إلى المدلول الأول ثم المدلول الثاني والمدلول الثالث، إن وُجد حيث نقصد بالمدلول الثالث البعد الصّوفي للكلمة، أو الفكرة الصّوفية، وهذا ما يُدرس عادة في الاستعارة إذ تمثل بصورة عامة عملية الاستبدال، وهي ليست الاستعارة التي تحمل ذلك المعنى التقليدي في بلاغتنا، لذلك سيكون مدلول الاستعارة أوّل ما سنبيّنه في دراسة محور الاستبدال .

أولاً: الاستعارة وتغيّر المدلولات:

إن البعد الذي تطمح إليه دراستنا في دراسة الاستعارة، ليس بعدها البلاغي التقليدي، إذ سنتقيّد في هذا المنحى، بظاهرة الانزياح في الاختيار، في تباين دلالات الوحدات بين ما وضعت له من جهة وما استعمله الشاعر من جهة أخرى، وهذا ما سلكه غيرنا في دراساتهم للنصوص أسلوبياً، منهم حسن ناظم الذي يقول: " لن نتقيد - هنا - بالتحديدات البلاغية للاستعارة و أصنافها، ومن ثم، لن نحاول إجهاد أنفسنا بتتبع الاستعارات وتسمية أصنافها، وتبيين الحدود بينها وبين أنواع المجازات الأخرى التي حرصت الدراسات البلاغية - على وفق رؤيتها التصنيفية المقتنّة - على ضبطها، بل سننظر إلى الاستعارة بوصفها نقلاً للمعنى بأوسع معاني هذا النقل... سنأخذ الاستعارة - هنا - بمعنى واسع، وربما ندرج ضمنها ما هو غير مصنف بلاغياً ضمن مقولة الاستعارة."¹ وذلك ما كان من (سعد مصلوح) أيضاً، لما تكلم عن الاستعارة فقال: " هي اختيار معجمي تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي اقترانا دلالياً ينطوي على تعارض - أو عدم انسجام - منطقي. ويتولد عنه بالضرورة مفارقة دلالية، تثير لدى

¹ - حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص 219.

المتلقي شعورا بالدهشة والطرافة، فيما تحدثه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي المتوقع.¹

وكون بحثنا في نوع من الخطاب الصوفي، فإن مفاجأة المتلقي ستكون مُضاعفة، ذلك أن المتصوّف لا يكتفي بالبعد المجازي الأول للكلمة؛ لكنه يوظفها لبعد آخر يمكن أن نسميه (مجاز المجاز)، بل لا يكتفي بإعطاء الكلمة فقط هذا البعد، إذ يتعدى ذلك إلى الحرف (معنى، وصورة)، وكلمة (إعطاء) هنا هو لفظ على سبيل المجاز، لأن المتصوف العارف موقن من أن هذه الحروف، والكلمات مخلوقات لها مهام و أدوار، من قبل خالقها، فهي عوالم و أمم.

فكلّ هذه الحروف والكلمات رموز و ألغاز، " وهذه الرّموز والألغاز...أصدق دليل على المعنى المضمّر في الفؤاد حيث تعجز اللّغة العادية عن التعبير عنه، كما أنّها ستر على المعنى العميق الذي يريد المبدع نقله إلى متلق مخصوص. يقول ابن عربي:

ألا إن الرّموز دليل صدق على المعنى المغيّب في الفؤاد

وإن العالمين له رموز و ألغاز ليدعى بالعباد

ولولا اللّغز كان القول كفرا و أدّى العالمين إلى العناد

فاللّغة الشعرية، لقيامها على هذه الرّموز، أقدر على التعبير عن عمق التجربة الوجودية الصّوفية.²

¹ - سعد مصلوح، في النص الأدبي، ص 187.

² - رضوان الصادق الوهابي، الخطاب الشعري الصّوفي والتأويل، الرباط: زاوية للفن والثقافة، (ط1)، 2007م، ص 195.

تُعدّ التغيرات غير المتوقعة من المتلقي التي يرسلها صاحب النص، هي ممكن الانزياحات، "ذلك أن مواضع اللغات في مبدأ النشأة، أن يكون لكلّ دالّ مدلول واحد، ولكلّ مدلول دالّ واحد، غير أن جدلية الاستعمال تُرضخ عناصر اللغة إلى تفاعل عضوي. بموجبه تتزاح الألفاظ تبعا لسياقاتها في الاستعمال عن معانيها الوضعية."¹ وهذا الانزياح لا يكتفي به الصّوفي إذ يجد نفسه مضطرا لخروج آخر، وكأنا نتحدث عن انزياح الانزياح، إذ "يتخذ مفهوم اللغة، في الخطاب الصّوفي أبعادا جديدة لا نجدها في كتب البلاغة، و لا في كتب النقد ممّا انتهى إلينا من علماء ونقاد السلف."² وفي دراسة قامت بها د/ سعاد الحكيم في لغة المتصوّفة على لغة ابن عربي بالخصوص، تقول: "يحوّل ابن عربي كلّ اسم لذاتٍ جاعلا منه اسما لأخصّ صفات هذه الذات، فالليل مثلا بعد أن كان دالاّ على الوقت المعلوم أصبح دالاّ على صفته، وهي: الغيب و الإسرار."³ وكذلك مع بقية الأسماء، ولا يخص هذا الأسماء فقط بل الأفعال كذلك، وقد أشرنا إلى هذا في الفصل التمهيدي، وما كان يقصده ابن عربي - كمثال - بقوله (الطارق مفارق).

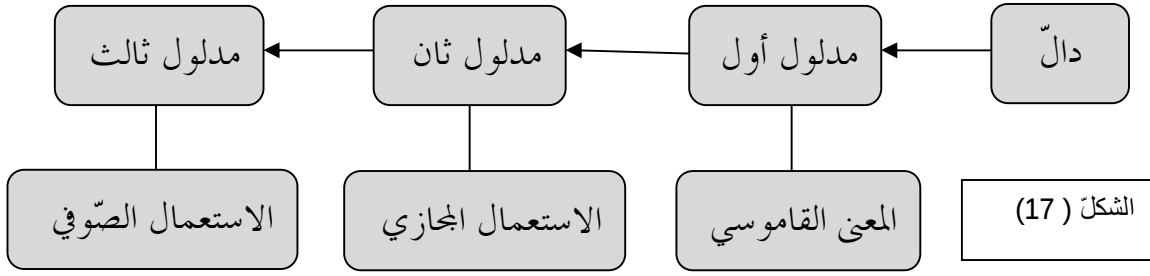
وبتعبير آخر، فإن رؤية المتصوّفة للكلمات منافية ومضادّة تماما لما ذهب إليه علماء اللغة في العصر الحديث، وعلى رأسهم (دوسيسير)، عندما اعتبروا العلاقة بين الدالّ والمدلول علاقة اعتبارية فكلّ اسم، دلالة مقصودة بل ولكلّ حرف أو رقم دلالة تعدّ - عند المتصوّفة - (دلالة ذات مهمّة) فكلّ شيء إشارة وما من شيء أبدعه الله إلّا لِمَهْمّةٍ وسرّ.

وهذه الترسّيمة تبين الانتقال من الدالّ الأول، إلى بقية المدلولات، والقصد من كلّ واحد منها في تحليلنا للقصيدة.

1 - عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 54.

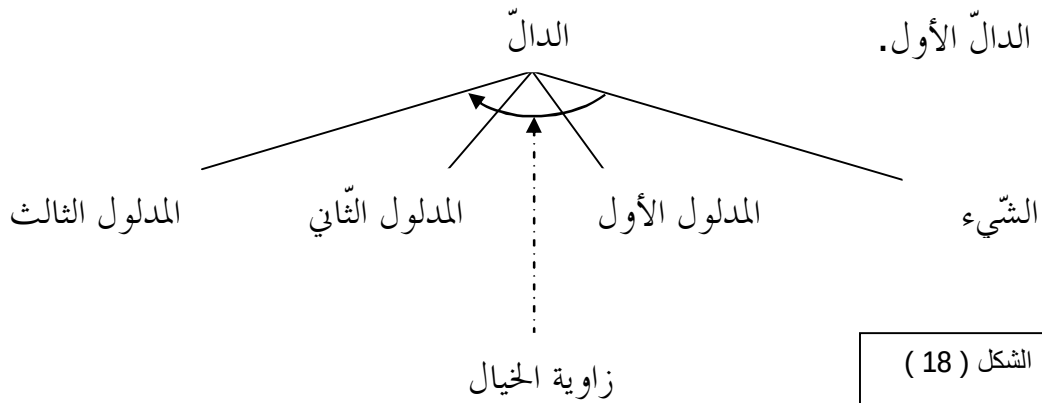
2 - رضوان الصادق الوهابي، الخطاب الشعري الصّوفي والتأويل، ص 165.

3 - سعاد الحكيم، ابن عربي ومولد لغة جديدة، بيروت: دندرة للطباعة والنشر، 1991م، (ط1)، ص 74.



إن هذه الترسّيمة ليست بالضرورة أن تنقلنا من الدالّ إلى المدلول الثالث (الصّوفي)، على هذا النحو من التدرّج، فقد لا نجد المدلول الثّاني، ويكون الانتقال مباشرة إلى المدلول الصّوفي، و ليس بالضرورة أن ينتهي بنا كلّ دالّ إلى مدلول ثالث، فقد لا يكون هناك بعدا صوفيا، إن هذا التغير بين المدلولات، هو من صنيع الاستعارة، وكلّما كانت المسافة الرابطة بين الدالّ ومدلوله، أبعد كلّما كانت زاوية الخيال أكبر، ذلك " أن العامل في تأثير الاستعارة، هو المسافة بين المشبه والمشبّه به، أو كما يقول، سايس (sayce) زاوية الخيال"¹ هذه المسافة هي قيمة الإثارة، وهو ما نقله يوسف أبو العدوس، عن بريتون (andre breton)، يقول: " عندما نقارن بين شيئين بعيدين عن بعضهما في الصفات...ثم مع بعضهما بطريقة مفاجئة، ومدهشة، فإن هذه هي المهمة المنشودة التي يحاول الشاعر أن يثيرها "².

ولعلّ هذه الترسّيمة تبين لنا (زاوية الخيال) التي تزداد اتساعا كلّما بعدت المدلولات، عن الدالّ الأول.



¹ - يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأردن: الأهلية للنشر و التوزيع، (ط1)، 1997م،

ص 11.

² - نفسه، ص 11.

ومن المهم الإشارة أنه مهما بُعد الدالّ عن مدلوله الأول، لَيَنْتُجَ عنه مدلول آخر، لابدّ من وجود خيط يربطه بالمعنى الأول، وكلّما طال هذا الخيط ووهى، كلّما كان الانزياح أبعد، وهو المعبر عنه بزواية الخيال، كما أسلفنا الذّكر، والعلاقة الرّابطة بين المدلول الثّاني أو الثّالث مع المدلول الأول قائمة دائماً، وهو ما أشار إليه الأستاذ، محمد المصطفى عزّام بمصطلح (علاقة التّضمين) بنوعيه الكمي والدّلالي:

فمن ناحية الكمّ، كلّ المصطلحات، تبقى جزءاً من قاموس اللّغة المنتسبة لها، وهي بذلك من ناحية الكمّ أقلّ عدداً من المفردات اللّغوية، إذ ستبقى مؤدّية استعمالها الأول في عموم اللّغة، ولها دورها الاصطلاحي في مجال علمها المحدّد، يعني ذلك أن المصطلح ليس لفظاً جديداً بل هو لفظٌ حمّل معنى جديداً، أمّا من ناحية الدّلالة في علاقة تضمّن اللّغة للمصطلح، يبقى المدلول الاصطلاحي جزءاً من المدلول الكلّي للوحدة المعجمية.¹

والدالّ قد يكون مفرداً وقد يكون مركباً، والمفرد هو ما سمح بانزياح الاستعمال للفظ، أما المركب فهو " اللفظ المركب المستعمل قصداً و بالذات في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلي." ² فنحن الآن أمام (دالّ لفظ مفرد أو مسند)، و (دالّ مركب) أي ما تحمله العبارة من معنى، مثال ذلك (الكناية)، ولسنا نرمي بذلك إلى مفهوم المعنى و اللفظ بقضيتهما الجدلية في البحث البلاغي.

ولكي ندرك ما يُحيل إليه المدلول يستوجب على الذّهن استحضار عنصر مهم من عناصر التواصل أنّه (المرجع)، فتصور المرجع الذي هو الشّيء الحسّي الذي تشير إليه اللفظة أمر ضروري لفهم الخطاب، " هذا التّركيز على المرجع ربط هذا الأخير بموجبات العالم الحسّي أو المعاش حملاً على الاعتبار أن الإرجاع وظيفة منوطة فقط بالعبارة الاسمية أو

¹ - ينظر، محمد المصطفى عزّام، المصطلح الصّوفي، الرّباط: نداكوم للصحافة والطّباعة، (ط1)، 2000م، ص

128-129.

² - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 265.

ما ينوب عنها في الجملة "1 على أن هناك عبارات لا يمكن الإحالة على مراجعها، لأنها ليست حسية كالأفعال و الأمور المعنوية، وهذه تدرك من خلال التجربة اللغوية للفرد.

ومن خلال ما تقدم، يمكن أن نؤسس منطلق تحليلنا على عدة مبادئ وهي :

ü كل كلمة في مواضع الكلام تعتبر دالاً، ولها مدلول واحد وهو (المعنى القاموسي).

ü الاستعمال يفرض استعمالاً مغايراً لما وضع له اللفظ في معناه الوضعي، وهو الاستعمال المجازي.

ü المتصوِّفة قد يستعملون اللفظ، ومجازها في استعمال ثالث، وهو (البعد الصوفي).

ü الانزياحات حسب الأفراد والتركيب قسمان:

- الأول: انزياح مدلولات الدالّ لفظة. وسنلخصه في جداول، على أن كل فراغ في خانة المدلول الثاني، يزيد في اتساع زاوية الخيال.

- الثاني: انزياح مدلولات الدالّ المركب وسنشير إلى تحول مدلولاته في مواضعها.

وعلى هذا الأساس، قسّمنا دراستنا لهذه القصيدة، حسب مواضيعها، السّالفة الذكر في الفصل السابق، (البشارة، المعاناة، الاستغاثة، الخمرة... الخ)، وهذا للتمكن من القيام بعملية مسح مصنّفة من جهة ومرتبّة حسب سير القصيدة من جهة أخرى.

¹ - مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالاته، دمشق: مطابع وزارة الثقافة، (ط1)، 1998م، ص 15.

ثانياً: انزياحات الدّوال في مواضع القصيدة:

• انزياح الدالّ في البشارة: يقول الأمير في مطلع القصيدة :

1- أمسعود! جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النّحس ليس لها ذكر¹

ابتدأ الأمير القصيدة بهذا البيت، وفي هذه البداية انزياح في اختيار الفكرة ففي قوله: (جاء السعد، وولت جيوش النّحس)، معنى يجعل المتلقي ينتظر الحديث عن هذا السّعد، ولن يذكر أخبار جيوش النّحس التي ولّت، غير أن الواقع جاء بعد ذلك بالحديث عن أيام النّحس هذه وليالي الصّدود، وهذا ما يعرفه (جيرار جينات) بالعودة إلى الوراء في السرد. فالقصيدة ابتدأت بما ينبغي أن تنتهي به حسب الترتيب الزمني، فكان البيت الأول مقدّمة مبشرة، وملخصاً للفكرة المركزية التي سيطرت على كيان الشاعر، وهي (حدوث الفتح)، يقول كينتليانو "إنني لا أتفق في الرأي مع من يرون أنه بنفس الترتيب والنظام الذي تحدث به الأشياء لا بد وأن تروى، ولكنها ينبغي أن تروى بأفضل الطرق المواتية"²، وهذا الترتيب هو الذي رآه الأمير مواتياً فاحتل تقديم البشارة في واقع القصيدة كما احتل هذا الحال التقديم في باطنه.

في قوله (جاء السعد)، أفاد هذا الإسناد دلالة، أن السعد قادم من تلقاء ذاته ولم يؤتى به، فقدمه لرغبة منه، ومن المسلم به أن قدوم ما يحمل الخير إليك وهو يريد ذلك خير من يؤتى به أو أنّه لا يأتي حتى تستدعيه، ويسمى هذا في البلاغة بالجواز العقلي.

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 182.

² - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: عالم المعرفة، (دط)، 1990م، ص 256.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع البشارة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
السعد	اليمن ضد الشقاء	/	الفتح
جيوش	جماعة الجند	/	الليالي/والأحداث/والأيام
النّحس	ضد السعد	/	الصّد والبعد

الجدول (14)

الملاحظ أن هناك ثلاثة ألفاظ، حملت معنى صوفي دون المرور بالمدلول الثّاني.

• انزياح الدّوال في وصف الليالي. يقول الأمير:

- 1- ليالي صدود وانقطاع وجفوة وهجران سادات فلا ذكر المهجر
- 2- فأَيّامها أضحت قَتاما ودجنة ليالي لا نجم يضِيء ولا بدر
- 3- فراشي فيها حشوه المِهم والضّنى فلا التذلي جنب ولا التذلي ظهر¹
- 4- ليالي أنادي والفؤاد متيم ونار الجوى تشوي لما قد حوى الصّدر²

في قول الأمير (ليالي صدود)، إضافة الليالي إلى الصدود، والأصل أن الليالي قد وقع فيها الصدود بفعل فاعل، أما السّادات " هنا علماء الصّوفية، وجاءت بالمعنى ذاته في قوله:

ماذا على ساداتنا أهل الوفاء لو أرسلوا طيف الزّيارة في خفا³

في البيت الثّاني، استعمل الأمير، مصطلح (اليوم) * مضيفا إياه إلى الليالي من البيت الأول، وأختار لهذا المركب الإضافي خبرا يصفه فيه، أحدث هذا الخبر انزياحا لان الحقل

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 182.

² - نفسه، ص 183.

³ - نفسه، ص 237.

* - جاء في (المنجد في اللّغة والأعلام) أن (اليوم ج أيام وجج أيّوم: الوقت من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس.)

الدلالي في الذّهن، لا يتوفر على وصف القتامة لليوم الذي يعرف بالضوء والنور لا بالسواد الذي منحه إياه الأمير، وهنا يشحن الشاعر رسالته بواقع يعيشه مغاير للواقع الذي يظهر للعامة.

وهذا الاستعمال ما يسمى بالدلالة الحافة وهي ما يشير إليه (جورج مونين) "هي كلّ ما في استعمال كلمة ما، ممّا لا تشمله تجربة جميع مستعملي تلك الكلمة في تلك اللّغة".¹ فالدلالة الحقيقية هي ما أحدثه فينا من أثر بهذا الخروج حسب تجربته الخاصة، وما يزيد تأكيد هذا الواقع أن الليل أيضا الذي من عادته أن يرسل بدره نورا، أو نجمه إشعاعا يهتدى به، لم يكن ليل الأمير مثله فلا نجم ولا بدر.

ويتميز هذا الانزياح بالبعد الصّوفي، إذ ما سبق ذكره من خروج عن أصل الواقع، يتراح ثانية ليحمل معنى صوفيا، فقتامة اليوم، وغياب ضوء البدر والنجم، إنما هي ظلام بعدم تحقق النور الإلهي له بعد، وما من نجم أو بدر من مشائخ تقوده وتنبهه.

في البيت الثالث، لم يختار الشاعر حشو الفراش مما يكون عادة حشوا له كالصّوف أو ما يقوم مقامها، بل اختار حقا داليا آخر، يشمل مفردات الألم والحزن (المهم والضحى). فلدينا دالّ، ومدلول أول، ثم مدلول ثان.² ومدلول ثالث يحمل بعدا صوفيا، ونوضح ذلك في هذا الجدول.

¹ - رايح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، ص 240، (نقلا عن مفاتيح الألسنية، ص 124).

² - ينظر، رايح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، ص 242.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع وصف الليالي			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثاني	المدلول الثالث
قنّاما	مظلمة	شدة الأزمة	حالة عدم الوصال
نجم / بدر	أجرام سماوية	أجسام تساعد بضوئها	الشيخ أو المربي
فراش	وسيلة للنوم عليه.	الحال بالليل	الانقطاع للرياضة
حشو	ما يحشى به الفراش	الظرف المؤثر ليلاً	حال المقام الصّوفي

الجدول (15)

حمّل الأمير الدالّ (الفراش) مدلولاً ثالثاً فهو الفراش الذي كان يسهر عليه منقطعاً للذكر بغية الوصول للمحبوب، إشارة إلى قوله تعالى: { الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض }¹. ومادام الوصل لم يحدث بعد فهو ما زال فراش همّ وضنيّ ، ولا لذّة فيه وكيف يمكن أن تكون لذّة والحبيب غير مواصل.

والعلامة السيميائية ليست قائمة على الدالّ الأصلي ومدلوله الأول بل على دالّ ومدلول جديدين، وهي الدلالة الخافة.² وهي هنا ما يعانيه الأمير من ليالي الصّدّ وهجران السادات، هذا ما منع تمتع الجنب والظهر، إذ الأصل أن يكون وسيلة لإعطائهما الراحة أثناء النوم. وفي نسبة التلذّد للظهر والجنب مجاز ، نتجت عنه استعارة تشخيصية، باقتران فعل خاص بالإنسان مع اسم جامد (الجنب والظهر).

ومن شدة الشوق الذي يعانيه الأمير إلى وصل شيخه، أسند إلى هذا الشوق النار ، التي أخذت في إحراق ما حواه صدره كناية عن القلب، وهو بيت المحبوب، فإذا كانت

¹ - سورة آل عمران، من الآية 191.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 243.

النار تأكل كل شيء فأولى بها أن تحرق هذا البيت المخصّص للمحسوب إن لم يسكن به،
وقد عبّر عن هذا عمر الخيام في قوله:

أولى بهذا القلب أن يخفق و في ضرام الحب أن يحرق

ما أضيع اليوم الذي مرّ بي من غير أن أهوى و أن أعشق¹

• انزياح الدّوال في موضوع الاستغاثة: يقول الأمير:

6- أمولاي طال الهجر وانقطع الصبر أمولاي هذا الليل هل بعده فجر؟

7- أغث يا مغيث المستغيثين والهـا ألم به من بعد أحبابه الضّر

8- أسائل كلّ الخلق هل من مخبر يحدثني عنكم؛ فينعشني الخبر²

في نداء الأمير " دلالة في تصوير حالة التمزق والحيرة التي كان ينطلق منها الأمير قبل التقائه بأستاذه"³ ويؤكد ذلك الأفعال التي استعملها، مجازيا (طال الهجر / انقطع الصبر / ألم الضّر)، ونسبة هذه الأفعال إلى غير فاعليها الحقيقيين خرق للمعيار، وهو ما يسمى بالمجاز العقلي، كذلك في قوله (أسائل كلّ الخلق)، مجاز آخر إذ لا يمكن في الواقع أن يسأل كلّ الخلق بل بعضهم، وفي هذا دلالة على شدّة الشوق وهو مناسب لحاله، للتعبير عن شدّة حاجته لهذه الاستغاثة.

1 - أحمد رامي، رباعيات الخيام، القاهرة: دار الشروق، (ط 1)، 2000م، ص 71.

2 - الأمير عبد القادر ، الديوان، ص 183.

3 - نفسه، ص 183.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الاستغاثة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
الليل	جزء من اليوم يقابل النهار	شدة الأزمة	حال عدم الوصال
الفجر	انصداع الظلمة عن نور الصباح	انفراج الأزمة	الفتح الربّاني
الضر	الشدة والضيق	الوحدة	حال عدم الوصال

الجدول (16)

• انزياح الدّوال في موضوع الاستجابة:

بعد ما نادى الأمير، شيخه مستغيثا، جاءته الدّعوة من عنده دليلا على الاستجابة

إليه، فقال:

9- إلى أن دعيتني همّة الشيخ من مدى بعيد، ألا فادن فعندي لك الذّخر¹

بعد الاستغاثة يأتي " الفرج من حيث لا يحتسب، فلم يمكث إلا قليلا حتى أتاه البشير يحمل إليه الخبر السّعيد، متمثلا في دعوة شيخه له بالحضور إلى مكة المكرمة، فأية بشرى هذه، وأية فرحة تملكك الأمير وهو يتلقى هذا النّبأ السعيد. "² والواقع أن الهمة لا تدعو بل الشّيوخ.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الاستجابة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
دعيتني همّة	نادتني	/	قبول الإذن بالتربية

الجدول (17)

¹ - السابق، ص 183.

² - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص 157.

• انزياح الدّوال في موضوع الرّحلة:

يقول الأمير:

10- فشمرت عن ذيلي الإزار وطار بي جناح اشتياق ، ليس يخشى له كسر

11- وما بعدت عن ذا الحب قمامة ولم يننه سهل هناك ولا وعـر

12- إلى أن أنخنا بالبطاح ركابنا وحطّ* بها رحلي وتم لها البشر¹

فقول الأمير (شمرت عن ذيل الإزار)، كناية عن التّأهب للسفر، واستعمل الاستعارة،(جناح اشتياق) للطيران به، وفي الواقع لن نجد في الحقل الدّلالي لوسائل التنقل أيّا كانت هذه الوسيلة (جناح اشتياق)، فاستعمالها انزياح عن التّمط الأصل، و به استطاع الشّاعر أن ينقل للمتلقّي، شدّة الشّوق لملاقاة الحبيب. "ولا بد أن تتم الرحلة مهما اشتدت الصعاب وتراكت العقبات، إنّه الأمل الذي عاش الأمير يعدّ له الأيام والليالي فليحققه وليكن ما يكن، صحيح أن الدّرب شاق والسفر طويل ومضني لكن الغاية والهدف أسمى وأجل من أن تقف أمامها النوائب والمعوقات، فكلّ شيء يرخص في سبيل اللقاء والوصول." ² وليعبر الأمير عن كلّ هذا قال: (ولم يننه سهل... ولا وعـر). وفي ذلك استعارة تشخيصية ، في نسبة الفعل المخصص للإنسان إلى الجماد، وفي البيت الثالث كذلك نسبة فعل الحط إلى الرّحال، وفي ذلك دلالة شدة الشّوق للإقامة، فإذا كان الرّحل يسارع في الحط بهذه الأرض فكيف بصاحبه؟

* وردت في الديوان (حطّت) وفي التحفة، (حطّ) وهو اللفظ الذي اخترناه.

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 184.

2 - نفسه، ص 157 - 158.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الرّحلة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
ثمرت الإزار	رفعت الثوب	كناية عن الاستعداد للرحيل	كناية عن الانقطاع للعبادّة
جناح	ما يطير به الطائر	دليل الإسراع	/
سهل / وعر	صفتان للمكان	يسير الأمور وصعبها	متاع الدنيا ومشاقها

الجدول (18)

موضوع الرّحلة، من المواضيع التي يشترك فيها، الصّوفي وغيره لهذا نلاحظ أن أغلب الدّوال المتراحة، حملت مدلولاً ثانياً، وثالثاً.

• انزياح الدّوال في ملاقاته الشيخ:

يقول الأمير:

16- وقال فاني منذ أعداد حجّة لمنتظر لقياك يا أيّها البدر

17- فأنت بنبي مذ "ألت بربكم " وذا الوقت حقاً ضمّه اللّوح والسّطر

19- فقّبلت من أقدامه وبساطه وقال لك البشريّ بذا قضي الأمر¹

20- وألقى على صفري بإكسير سرّه فقليل له هذا هو الذهب التّبر²

فقول الأمير: (يا أيّها البدر - فقّبلت من أقدامه - صفري، بإكسير سرّه) تُعدّ

اختيارات متراحة.

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 185.

² - نفسه، ص 186.

يقول محقق ديوان الأمير زكريا صيام: " تقبيل القدمين و البساط بدعة تخرج التقدير إلى التقديس و لا أظن العالم يرضى لنفسه أن يكون من تلميذه بتلك المترلة فهو أدرى من غيره بأن التواضع من أبرز صفات العلماء.¹ فالحقق بهذا بيدع الأمير وينفي العلم عن شيخه، وتبقى تلك إشكالية عدم التمييز بين الخطاب الصوفي وغيره من الخطابات، فقول الأمير: (فقبلت من أقدامه)، من المعلوم أن شيخ الأمير كبقية الخلق، له قدمان وليس أقدام، وقد سبق أن أشار الأمير بأن شيخه هو من جاءه ليلقاه، فليس ثمة بساط أيضا فالحديث عن الأقدام والتقبيل والبساط من المجاز الذي يفيد الإجلال والتقدير، و التفاتة بسيطة للواقع تحقق هذه التأويلات، فمن يشكك في ورع ومشیخة الأمير وتقواه، التي شهد له بها الشرق والغرب؟ ومن يشكك في تواضع شيخه الذي خرج بنفسه لملاقاة هذا المريد؟

انزياح الدّوال المفردة في موضوع ملاقة الشّیخ			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
البدر	جرم سماوي منير	الأمير	كونه فرع من الرسول (ص)
أكسير	مادة تقلب النحاس ذهباً	/	سرّ مدد الشّیخ
اللوح	كلّ صفيحة خشب/عظماً...	/	هو الكتاب المبين و النّفس الكلّیة
صفري	نحاسي	/	ما تعلق بالنّفس من دنس

الجدول (19)

إن تحميل الأمير لهذه الدّوال مدلولات ثالثة، هو ما سمح له بنقل رسالته بشعرية المتصوّفة ، وهذا التعبير هو ما سمّاه كوهن (عدم الملاءمة)، يقول كوهن عن عبارة (أبولينيّز) - الذكريات أبواق الصيد - : " عدم ملاءمة إسنادية فان الأدوات الموسيقية وحدها تستطيع أن تمدّنا بمسند إليه تكون (أبواق الصيد) مسندا ملائماً له

¹ - السّابق، ص 185.

وليست هذه حالة الذكريات.¹ ويعلل ذلك بان هذا انتهاك للقانون أو مجاوزة. وهو مالمسناه من إسناد النحاس لحال الأمير والإكسير للشيخ ، وهذا التمثيل مستمد من علم الكيمياء القديم الذي كان يحوّل النحاس بمادة (الأكسير) مع عمليات أخرى إلى ذهب، فكأن حال الأمير الذي كحال النحاس يتحوّل بعد توجّه الشيخ إليه إليه إلى حال جديد أسمى و أرقى كمعدن الذهب.

• انزياح الدّوال في وصف الشيخ:

يقول الأمير:

21- و أعني به شيخ الأنام وشيخ من له عمّة في عذبة وله الصّدر

22- عياذي ملاذي عمدتي ثم عدّتي وكهفي إذا أبدى نواجهه الدهر

24- ومحبي رفاقي بعد أن كنت رمّة و أكسبني عمرا لعمرى هو العمر²

إن البيت (24) بمدلوله الأول يوحي أن الشيخ، يحيي العظام، ويمكنه أن يعطي للمرء عمرا آخر، وفي هذا خرق لقضية إيمانية، توجب الاعتقاد بأن الله وحده الذي يحيي ويميت، لكن السياق الصّوفي مستوحى من قوله تعالى : { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }³، ذلك أن هناك نوع آخر من الموت ونوع آخر من الحياة، يقول في ذلك الزّمخشري: " (لما يحييكم) من علوم الديانات والشّرائع، لان العلم حياة، كما أن الجهل موت، ولبعضهم:

¹ - جون كوهن ، النظرية الشعرية، ص 136.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 186.

³ - سورة الانفال، الآية 24.

لا تعجبَنَّ الجَهِول حَلَّتَه فذاك ميت وثوبه كفن"¹

والواقع كما يراه إبراهيم أنيس أن الشاعر " كالطائر الطليق يخلق في سماء من خيال، وينشد الحرية فلا يسمح لقيود اللّغة أن تلزمه حدّا معينا لا يتعداه "² إذا كان هذا حال الشاعر العادي فحال المتصوف أكثر تحليقا وبعدا في الخيال.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع وصف الشّيخ			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
له عمة ذي	عمامة ذات عذبة مسدلة	رمز السيادة	علامة الولاية
كهفي	بيت منقور في الجبل	ملاذ معنوي	الشّيخ
نواجهه	أضراس تنبت بعد البلوغ	متاعب الحياة	
محيي رفاقي	البعث بعد الموت	/	الموقف من الغفلة
كنت رمة	كنت عظاما بالية	/	حالة الأمير قبل الفتح

الجدول (20)

• انزياح الدّوال في شمائل الشيخ:

يقول الأمير:

26- بفرض وتعصيب غدا إرثه له هو البدر بين الأولياء وهم الزّهر

27- شمائله تغنيك إن رمت شـاهدا هي الروض لكن شقّ أكمامه القطر³

30- صفوح يغض الطرف عن كلّ زلّة لهيئته ذلّ الغضنفر والنّمر

31- هشوش بهشوش يلقي بالرحب قاصدا وعن مثل حب المزن تلقاه يفتر

¹ - الزمخشري، الكشف، (تح) محمد مرسى عامر، (ج2)، القاهرة: دار المصحف، (ط2)، 1977م، ص 162.

² - إبراهيم أنيس، أسرار اللّغة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، (ط6)، 1978، ص 339، 340.

³ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 187.

33- لنا منه صدر ما تكدره الدلا ووجه طليق لا يزايله البشـر

34- ذليل لأهل الفقر لا عن مهـانة عزيز ولا تيه لديه ولا كبر¹

35- وما زهرة الدنيا بشيء له يرى وليس لها - يوما بمجلسه - نشر²

37- كساه رسول الله ثوب خلافة له الحكم والتصريف والنهي و الأمر³

41- وهذا كمال كلّ عن وصف كنهه فمن يدعي هذا فهذا هو السر⁴

47- و نادى ضعيف الحي من ذا يغيثني أما من غيور ؟ خاني الصبر والدهر⁵

51- وذا مثل للمدعين ومن يكن على قدم صدق طيبا له خير

52- فلا شيخ إلا من يخلص هالكا غريقا ينادي قد أحاط بي المـكر

54- تصفح أحوال الرجال مجرّبا وفي كلّ مصر بل وقطر له أمر⁶

البيت الأول من هذه الطائفة، يتحدث عن الإرث، وهو من خلال مدلوله الأول ما يتركه الميت لورثته، غير أن البعد الصوفي يرى للإرث مدلولاً مخالفاً مقتبسا من قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} ⁷، وفي معنى الآية ما ذكره ذكره الصابوني: "أي يرثني ويرث أجداده في العلم والتبوة" ⁸، "كون الأولياء قد اختصوا

1 - السابق، ص 188.

2 - نفسه، ص 189.

3 - نفسه، ص 190.

4 - نفسه، ص 191.

5 - نفسه، ص 192.

6 - نفسه، ص 193.

7 - سورة مريم، الآية، 6.

8 - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (ج2)، بيروت: دار الفكر، (دط)، 2001م، ص 194.

اختصوا ببعض إشارات التَّوبة، وحظوا ببعض الكرامات التي هي من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في الحديث ((العلماء ورثة الأنبياء))، لأن لكل ولي بعض المشارب من بين الأنبياء¹ وقد بين الأمير المشرب الذي استقى منه شيخه لما قال : كساه رسول الله ثوب خلافة.

ومن جميل الانزياح في هذه الأبيات ما جاء في قوله عن شيخه (ذليل) التي يبدو من مدلولها الأول صفة ذم، لكن من خلال الانزياح التركيبي (ذليل لأهل الفقر) حملت صفة المدح حيث استقى الشاعر هذا المفهوم من رصيده القرآني من قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } ذلك فضلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، واللهُ واسعٌ عليمٌ. {²

قول الأمير: (نادى ضعيف الحي...خاني الصبر)، هذا الضعيف الذي يريده الأمير ليس قليل القوة أو الحيلة من أهل الحي، إذ المدلول الثاني مدلول صوفي، يقصد به المرید الضَّعيف في مجاهدته، والذي لم يتمكن من الوصول، فهو يستغيث بشيخه لينقذه، ودليل ضعفه عدم قدرته على الصَّبر، لأن المرید القوي واجب عليه الصَّبر حتى قال بعضهم في مقام الصَّبر:

صَابَرَ الصَّبْرَ فَاسْتَغَاثَ بِهِ الصَّبْرُ — رُفْنَادَى الصَّبُّورُ يَا صَبْرُ صَبْرًا³

وفي قول الأمير (طبيا)، عن الشيخ الحقيقي، ليس ما يحمله المدلول الأول من معنى الطَّب المادِّي، بل هو مقصد صوفي متراح ويبينه الأمير في الموقف (19) يقول: " الشيخ طبيب يعرف الخلط الفاسد والركن الغالب، فيأمر المرید بما يُصلح الفاسد، ويعدل الغالب،

1 - يوسف زيدان، الطريق الصَّوفي، ص 134.

2 - سورة المائدة، الآية 54.

3 - أبو بكر الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 110.

ويقول له: استعمل الدّواء الفلاني، وأترك الغذاء الفلاني.¹ ثم يبين الأمير في نفس الموقف والسيّاق أن الشيخ ليس إلا سببا لما قسمه الله لعبيده، كبقية الأسباب، فيقول: " لا أن الشيخ يعطي من لم تسبق له قسمة في الأزل، أو يقدّم ما تأخر، أو يؤخر ما تقدّم، فان هذا الشيء لم يجعله الله - تعالى - لأحب خلقه وأفضل رسله، وأكرمهم لديه، فقال له: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ }² { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ }³ { أَفَأَنْتَ تَنْقُذُ مَنْ فِي النَّارِ }⁴ { وَمَا أَنْتَ بِهَادِي أَنْتَ بِهَادِي الْعَمِيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ }⁵ إلى أمثال هذا.⁶

وفي قول الأمير: (فهذا هو السرّ) يشير إلى المفهوم الصّوفي لكلمة السرّ، كما عرفه القشّاني إذ يقول: " السرّ: ما يخصّ كلّ شيء من الحقّ عند التّوجه الإيجادي إليه، المشار إليه بقوله تعالى: { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. } سورة النحل، الآية 40 "⁷ وهو ما قصده في البيت (37) في قوله: (له الحكم والتصريف والنهي والأمر).

وهذا الجدول يلخص، استعارات مدلول الدالّ الأول، إلى مدلولات ثواني وثالث.

1 - الأمير عبد القادر، المواقف، ص 135.

2 - سورة القصص الآية 56.

3 - سورة آل عمران الآية 128.

4 - سورة الزّمر الآية 19.

5 - سورة التّمل الآية 81.

6 - الأمير عبد القادر، المواقف، ص 135.

7 - نفسه، ص 100.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع شمائل الشّيخ			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
البدر	جرم سماوي	الشيخ	الممد
الزهر	جمع (الزهرة) كوكب	/	بقية الأولياء
هي الروض	أرض خضراء بالنبات	/	مكان الجمع مقام نشأة الاعتدال ¹
يغض الطرف	كفّ بصره	يعفو	/
حب المزن	البرد	مسكنّ الألم	عطاء الشيخ
زهرة	نور النبات	متعة	/
ثوب	لباس	/	إرث الورد
طبييا	شخص يعالج المرضى	/	شيخ عارف
السر	ما يكتمه الإنسان في نفسه	/	التوجه الإيجادي من الحق ²
غريقا	الهالك في الماء	/	الغافل عن الطريق
تصفّح	نظر صفحة صفحة الكتاب	اختبر	امتحان في التربية

الجدول (21)

• انزياح الدّوال في موضوع الأرض المقدّسة: يقول الأمير:

55- فانعم بمصر ربّتي الشيخ يافعا وأكرم بقطر طار منه له ذكر

57- بها كعبتان كعبة طاف حـولها حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر

58- وكعبة حجاج الجناب الذي سما و جلّ فلا ركن لديه ولا حجر

¹ - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الكتاب التذكاري، محي الدين بن عربي، مصر: المكتبة العربية، (دط) 1969م، ص 81.

² - ينظر، كمال الدين عبد الرزاق القشّاني، اصطلاحات الصّوفية، (تح)، محمد كمال إبراهيم جعفر، مصر: الهيئة المصرية للكتاب، (دط)، 1981م، ص 100.

59- وشتان ما بين الحجيحين عندنا فهذا له ملك وهذا له أجر¹

61- ويلقي إليه نفسه بفنائـه بصدق تساوى — عنده - السر والجهـر

62- فيلقى مناخ الجود والفضل واسعا ويلقى فراتا طاب ثـلا فما القطر

64- ويلقى جنانا فوق فردوسها العلى وما لجنان الخلد إن عـقت نشـر²

بعد الحديث عن صفات الشيخ، يمدح الأمير، البلد الذي تربى فيه شيخه، والبلد الذي انتشر منه ذكره، وقصده التربية الروحية، والذكر الذي طار وانتشر إنما هي ذكره عند العارفين بمراتب الولاية التي نالها شيخه.

وقد أخذنا الأمير معه في انزياح ممتع عند حديثه عن كعبتين، مما جعلنا نهم بالقصد الذي ابتغاه، فنحن نعرف كعبة واحدة، وقد بين زكريا صيام عند شرحه للبيت في الديوان الكعبة الثانية فقال: " شبه أستاذه بكعبة يحج إليها مريدوه، فيغترفون من بحر علمه ويبددون ركام الجهل عن عقولهم، شأنهم في ذلك شأن حجيـج بيت الله، يكسبون الأجر والثواب".³

وفي هذا القول استعمل زكريا صيام (ويبددون ركام الجهل عن عقولهم) فهم في الواقع لم يحيثوا لتبديد الجهل عن العقول لأن مجرد قصدهم لهذا الجانب يدل على معرفتهم للحقيقة، إنما جاؤوا لتهديب النفوس والرقى بالروح إلى أسمى الدرجات الممكنة لهم .

وقد ساوى الأمير بين متضادين في مدلولهما الأول، في قوله: (تساوى عنده السر والجهـر) والسر أصلا يختلف عن الجهر ، لكن عند المريد الصادق بين يدي شيخه

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 194.

2 - نفسه، ص 195.

3 - نفسه، ص 194.

يتساويان، وبهذا المعنى أحدث الشاعر هذا الانزياح، والضّمير في عنده يحتمل العودة على الشيخ ويحتمل العودة على المريد، ولكلّ واحد منهما صورة.

- إن عاد على المريد ففي ذات المريد نفسه إذ يصبح ظاهره الذي يقابل الجهر، هو ذاته باطنه الذي يقابل السرّ، فلا رياء ولا نفاق ولا تمثيل.

- و إن عاد على الشيخ فمن خلال رؤيته ، فهو يرى بنور الله، لقوله تعالى {يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِرْقَانًا، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ¹ فالذي في موقع الشّيخ من القرب والتّقوى يتساوى عنده السرّ والجهر، فيعرف مريده ظاهرا وباطنا.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الأرض المقدّسة				
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثاني	المدلول الثالث	
طار... ذكر	التنقل في الفضاء	انتشر صيته	عُرف بالولاية	
كعبتان	الكعبة ¹	مجسم هندسي	بيت الله	/
	الكعبة ²	مجسم هندسي	/	كعبة روحية
فراتا	الماء العذب	حسن العطاء	المدد الرباني	
جنانا	حدائق ذات شجر	خيلا كثيرا	لذة الصحبة	

الجدول (22)

نلاحظ أن أغلب الدّوال حملت بعدا دلاليّا ثانيا وثالثا، لأن موضوع الحديث عن الأرض المقدّسة، ليس خاصّا بالموضوع الصّوفي.

¹ - سورة الأنفال، الآية 29.

• انزياح الدّوال في موضوع الخمرة:

يقول الأمير:

- 65- ويشرب كأسا صرفة من مدامة فيا حبذا كأس ويا حبذا خمّر
- 66- فلا غول فيها ولا عنها نزفة وليس لها برد وليس لها حرّ
- 67- ولا هو - بعد المزج - أصفر فاقع ولا هو - قبل المزج - قان ومحمر
- 68- معتقة من قبل كسرى مصونة وما ضمّها دنّ ولا نالها عصر¹
- 69- ولا شائها زقّ ولا سار سائر بأجمالها كلّ ولا نالها تُجر
- 70- فلو نظر الأملاك ختم إنائها تخلو عن الأملاك طوعا ولا قهـر
- 71- ولو شمت الأعلام في الدرس ريجها لما طاش عن صوب الصواب لها فكر
- 74- فلا عالم إلا خبير بشربها ولا جاهل إلا جهول بها غر²
- 76- ولا خسر في الدّنيا ولا هو خاسر سوى واله والكف من كأسها صفر³
- موضوع الخمرة والسّكر من أكثر مواضيع المتصوّفة التي يقع فيها الانزياح، إذ من المعروف في الحقل الدلالي ، أن الخمرة ذلك الشراب الذي حرّمه الشّارع، لكن المتصوّفة يذهبون بها مذهبا آخر، فهذا الأمير يقول:
- 97- وقد انعم الوهاب فضلا بشربها فله حمد دائم وله الشـكر⁴

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 196.

² - نفسه، ص 197.

³ - نفسه، ص 198.

⁴ - نفسه ، ص 202.

فقد أصبح المحرّم لهذا الشراب، صاحب الفضل في شربها وهو بذلك أهل للحمد والشكر، وهذا من أكبر الخروقات، بالنظر إلى المدلول الأول للخمرة.

لذلك نجد المتصوّفة في أغلب مواضع ذكر السكر أو الخمرة، يعمدون إلى التّفي، والإشارة إلى نوع خمرتهم وبعدها عن الخمر العادية، من ذلك قول ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فخمر ولا كرم، وآدم لي أب وكرم ولا خمر، ولي أمها أم¹

فالتّفي أول ميزة أسلوبيّة نلاحظها في حديث الأمير عن هذه الخمرة، فقد نفى عنها عدّة أوصاف مستعملاً بمجموعة من الأدوات نبينها فيما يلي:

- استعمال أداة التّفي (لا):

ورد استعمال التّفي في ذكر الخمرة ثماني مرّات في العبارات التّالية: (لا غول فيه، لا عنها نزفة، لا هو بعد المزج، لا هو قبل المزج، لا نالها عصر، لا شاتها زق، لا سار بأجمالها، لا نالها تجر).

- استعمال الحصر بـ (لا...إلا):

جاء ذلك في موضعين: (لا عالم إلا خبير، لا جاهل إلا جهول).

- استعمال التّفي بـ (ليس):

استعمل الأمير التّفي بـ (ليس) مرّتين فقال: (ليس لها برد، ليس لها حرّ).

¹ - ابن الفارض، الديوان ص 183/179.

- استعمال النَّفي بـ (ما) :

كذلك النَّفي بما ذكر مرتين في قوله: (ما ضمها دنّ، ما طاش... لها فكر).

فهذه إذا (14) استعمالا للنَّفي، في مجموع ستة أبيات، فالصّوفي مضطرّ لاستعمال هذا المصطلح، وفي نفس الوقت مدفوع لتمييزها عن الخمر الماديّة ذلك "أنّه وجد في الخمر ومتعلقاتها ما يعينه على توصيف حالته، والتّعبير عن دلالاته الصّوفية، وهكذا قطع دلالات الخمر و ألفاظها عن أصولها الأولى ووضعها في سياق تجربته الصّوفية، مما جعلها تحمل دلالات جديدة، لا تدل على الخمرة الأرضية، ولا تنصرف إلى السّكر الحقيقي أو الواقعي، وإنما تفيض بوجد الصّوفي، وتشير إلى ما أصابه من اختلاط الوعي، وغياب العقل".¹ وهذا ما يُحدِث مدلولات جديدة، هي مكنم الانزياحات.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الخمرة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثّالث
يشرب كأسا	إناء	يشرب ما بالكأس	خمرة الحب
خمر	كلّ مسكر مخامر العقل	/	مسبّبة حالة السّكر
عالم	المتّصف بالعلم	/	العارف بالله
جاهل	حمق وجفا وغلظ فهو	/	الغافل عن الله

الجدول (23)

الملاحظ من خلال الجدول غلبة انتقال المدلول الأول إلى بعد صوفي مباشر، أي إلى مدلول ثالث، دون المرور بالمدلول الثّاني، كون الموضوع صوفي بحت.

¹ - أماني سليمان داود، الأسلوبية والصّوفية، ص172.

• انزياح الدّوال في موضوع السّكاري:

بعد حديث الأمير عن الخمرة، جاء حديثه عن المختمرين وحالهم، وما كان من كثافة استعمال النّفي في الخمرة هو ذاته في المختمرين وقد حصرنا ذلك فيما يلي:

- النّفي باستعمال (لا):

ورد النّفي في موضوع السّكاري بـ (لا)، ثماني مرّات وذلك في العبارات التالية: (لا البيض والحر، لا يدرون، لا قاصرات الطرف، لا القصر، لا عن أصيحاب..، لا راقنا، لا ردنا، لا هالنا، لا راعنا).

- استعمال النّفي بـ (ليس):

استعمل الأمير النّفي بـ (ليس) في خمسة مواضع وهي: (ليس لهم عرف، ليس لهم نكر، ليس لهم ذكر، ليس لهم فكر، ليس بهم سحر).

- استعمال النّفي بـ (ما): كان ذلك في موضع واحد وهو: (ما عاقنا).

يقول الأمير في موضوع السّكاري:

81- وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم و شمس الضّحى من تحت أقدامهم عفر

82- وقالوا فمن يرجى من الكون غيرنا فنحن ملوك الأرض لا البيض و الحر

83- تميد بهم كأس بما قد تولّوا فليس لهم عرف و ليس لهم نكر

85- فيطرهم برق تآلق بالحمى ويرقصهم رعد بسّلع له أزر

86- و يسكرهم طيب النسيم إذا سرى تظن بهم سحرا و ليس بهم سحر

- 87- وتبكيهم ورق الحمائم في الدّجى إذا ما بكت من ليس يدري لها وكر¹
- 89- وتسبيهم غزلان رامة إنّ بـدت و أحداقها بيض وقاماتها سمر²
- 95- وفيها حلا لي الذل من بعد عزّة فيا حبذا هذا و لو بدءه مـر³
- 96- وذلك من فيضل الإله ومـنه علي فما للفضل عدّ ولا حصر
- 97- و قد انعم الوهاب فضلا بشـربها فله حمد دائم و له الشكر
- 98- فقل للملوك الأرض، انتم و شانكم فقسمتكم ضئزى، وقسمتنا كثر⁴

في حديث الأمير عن المختمرين بخمرة الحب، نجده قد جعل الشّمس التي عندما نحيلها إلى مرجعها في مخيلتنا الذهنية، نجدها في أعلى و أبعد الأماكن؛ جعلها تحت أقدام سكارى الحب، و إن جرت العادة بالتمثيل لما تحت الأقدام بالهوان أو السيطرة المطلقة عليه، ففي تعبير الأمير ليس تلك هي الرسالة التي يريد إبلاغها، إنما يريد أن يُبقي الشّمس في علوها وشموخها؛ ويرفع فوقها هؤلاء السّكارى، وهذا حال جميع المتصوّفة عند سكرهم، من ذلك قول النابلسي الذي جعل الفوز لمن شرب الشراب الصافي:

فاز الذي شرب الشراب الصّافي حتّى انمحي عن سائر الأوصاف

فנית رسوم وجوده وبدا له وجه الحبيب فكان نعم الكافي⁵

¹ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 199.

² - نفسه، ص 200.

³ - نفسه، ص 201.

⁴ - نفسه، ص 202.

⁵ - عبد الغني النابلسي، الديوان، ص 627.

ويؤكد ذلك في البيت (82)، بأن الأمير وأصحابه ملوك الأرض، وليس الملك للبيض والحرمر ممن يظهر لهم الملك المادي من بقية الأجناس، ذلك أن الملك الذي يقصده الأمير إنما الملك في عالم الولاية ويمكن أن نستجلي عالم الولاية في إجابة الشيخ ابن عربي على السؤال الأول للحكيم الترمذي (كم عدد منازل الأولياء؟).¹

في ذكر الأمير (للبرق والرعد) اللذان يطربان من تاهوا في سكرهم بحضرة الحبيب، إشارة للحال الموسوي وقد عبّر عنه ابن عربي بقوله:

"لمعت لنا بالأبرقين بـرُوق قصفت لها بين الضلوع رُعود

و همت سحائبها بكلّ خميلة و بكلّ مِيّاد عليك تميّد

وهي عبارة عن مناجاة إلهية... تراءى له عن النار التي هي كالبرق، ثم نوجي فأعقبه الكلام فكنتى عليه بالرّعد.²

جاء في (اصطلاحات الصّوفية): " البرق: أول ما يبدو للعبد من اللاّتح النّوري فيدعوه إلى الدّخول في حضرة القرب من الرّب للسّير في الله."³

أما في الكتاب التّذكاري، فقد ذكره (زكي نجيب محمود) حسب تعريف الشّيخ ابن عربي فيقول: " مشهد الذّات الإلهية يذهب بالأبصار ولا يكاد يتحقّق فالبرق لا يريك إلّا اللّمعان حجابا عليه، فنحن لا نرى البرق وإنما نرى سناه."⁴

1 - ينظر، ابن عربي، الفتوحات المكية، (ضبطه وصحّحه، أحمد شمس الدّين)، بيروت: دار الكتب العلمية، (2ط)، 2006م، ص 61.

2 - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 37.

3 - كمال الدين عبد الرزاق القشّاني، اصطلاحات الصّوفية، ص 36.

4 - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الكتاب التّذكاري، ص 78.

وبعد ذكر البرق يعود الأمير في البيت (86) ، ويمتتنا بانزياحين في قوله: (ويسكرهم طيب النسيم إذا سرى) وهما:

- إخراج طيب النسيم من مدلوله الأول إلى مدلول صوفي مباشر، (النفحة الربانية).

- جعل طيب النسيم الذي من خلال مدلوله الأول ينبغي أن ينعش، جعله يسكر.

وما جاء في البيت (87) من ذكر الورق والحمام والدجى والوكر، كلّ استعمال صوفي صرف، ففي ذكر الورق والحمام إشارة إلى الأرواح البرزخية التي تناجي أرواح السّكاري، التي عبّر عنها بقوله (ليس لها وكر) لقوله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ، قل الرّوحُ من أمرِ ربّي وما أُوتِيتُمْ من العلمِ إلّا قليلاً. }¹، فمن عادة المتصوّفة الرمز إلى الرّوح بالورقاء بل وغيرهم من أصحاب التّزعات الفلسفية الصّوفية، من ذلك قول ابن سينا:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّع²

و يواصل الأمير في البيت (95) انزياحاته باستعمال خرق بديع للمألوف، بتلذّذه بالذلّ، الذي يأباه كلّ مخلوق، لاسيما إذا كان شخص كالأمير، عاش معزّزا مكرّما، في أوقات الضيق والسّعة، ومن عادة الإنسان إذا تحول من حال العزّ إلى حال الذل أن يتأسف ويتأسى، لكن الأمير يجد في ذلك المتعة والحلاوة؛ إنّه الانزياح الصّوفي فمدلول الذلّ، والعزّ أخذًا مدلولًا مغايرًا.

كلّ ما يحدث الآن هو مرحلة السّكر، لأنّ " مقامات التجلّي أربع(ة): ذوق، شراب، ريّ، سكر"³ ومن المعلوم أن الخمر محرّمة من قبل المولى عزّ وجلّ بمدلولها الأول، لكنها

1 - سورة الإسراء، الآية 85.

2 - محمد سويسى، أدب العلماء، تونس: الدار العربية للكتاب، (ط2)، 1985، ص180.

3 - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الكتاب التذكارى، محي الدين بن عربي، ص 82.

تتحول بمدلولها الصوفي نعمةً، نعمةً استوجبت الشكر على المنّ بها، فقد " وصل الأمير وشرب، وعرف من الأسرار ما يعجز الملوك عن معرفته، لأن ما يملكه الملوك من متع الحياة المادية، لا يعدّ شيئاً بالنظر إلى ما أصبح الأمير يملكه من الأسرار العلوية، ... إنّها نعمة معرفة الحبيب.¹ وذلك ما دعاه لحمد الله و شكره على منحه هذه الخمرة.

انزياح الدّوال المفردة في موضوع السّكاري			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
تاهوا	ظّلوا الطريق	/	فارقوا الحس وعاشوا الحال
البيض	ألوان	أجناس البشر	/
ورق الحمام	الحمام	/	الأرواح البرزخية ²
الدّجى	ظلمة اللّيل	/	الغيب ³
برق	نور يلمع في السّماء على أثر انفجار كهربائي في السّحاب	/	أول ما يبدو للعبد من اللائح التّوري
رعد	صوت السّحاب	/	مناجاة إلهية ⁴
غزلان	جمع غزال	/	العلوم الشّوارد التي لا تنضب ⁵

الجدول (24)

نلاحظ في الجدول غياب المدلول الثّاني في أغلب الدّوال، وهذا ما يزيد في الإيغال

في البعد الصّوفي، وهو ما أشرنا إليه آنفاً باتّساع زاوية الخيال.

¹ - فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، ص 232.

² - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الكتاب التذكري، محي الدين بن عربي، ص 87.

³ - نفسه، ص 80.

⁴ - نفسه، ص 81.

⁵ - نفسه، ص 87.

• انزياح الدّوال في موضوع التّداء والتّوسل:

يقول الأمير:

101- أمولاي إني عبد نعمائك التي بما صار لي كثر و فارقني الفقر

102- وصرت مليكا بعد ما كنت سوقة وساعدني سعد فحسبنا در¹

103- أمولاي أي عبد باباك واقف لفيضك محتاج لجودك مضطر

104- فمر أمر مولى للعبيد فإنني أنا العبد ذاك العبد، لا الخادم الحر²

باب التّوسّل واللّجوء إلى الوسيلة، من الأمور التي جرّت كثيرا من التّقد اللاّذع على المتصوّفة وعلى غيرهم، سواء كانت الوسيلة سيّد المرسلين؛ سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، أو غيره من الصّالحين من عباد الله.

فقد لاحظنا أن المتطرّقين لهذه القصيدة، إذا وصلوا إلى هذه الأبيات، إمّا أن يتخطّوها إلى ما بعدها، أو ينتقدوها نقدا لاذعا* لأن الأمير توجه إلى شيخه متوسّلا، مستعملا اسم العبد لنفسه، والسؤال ما معنى العبد؟

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 202.

2 - نفسه، ص 203.

* مثال ذلك الدكتور زكريا صيام، الذي قال في تحقيق وشرح الديوان معلقا على قول الأمير، (أمولاي إني عبد بابك) " والعبودية لا تكون من المخلوق إلّا لخالقه سبحانه...فما بال الأمير يكرّر مادة (عبد) ثلاث مرّات في البيت تأكيدا على عبوديته نحو أستاذه؟" أما حفيدة الأمير بديعة، فقد حذفت هذه الأبيات وغيرها من القصيدة غير مبالية بالأمانة العلمية تبعا لزوة ذاتية، وذلك في ما عدّته (ملحق 3) باسم ديوان الأمير، في كتابها (الأمير عبد القادر، حقائق ووثائق)، ولعل صاحب كتاب (الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه) الأستاذ عبد الرزاق بن السبع، كان أحسن منهما، لما تخطى هذه الأبيات أثناء تعليقه على القصيدة إذ انتقل من البيت 99 إلى البيت 105. أمّا في تحقيق الديوان للدكتور العربي دحو، فلم يعلق على ما جاء في الأبيات إلّا فيما خالف بعض النسخ في الكتابة.

كثير من الكلمات حملت مدلولات غير التي وضعت لها، وأصبحت ذات استعمال خاص لكن لا يمنع ذلك استعمالها بالمعنى الذي استعملت به أولاً، ومن ذلك: الرب، فمعناه القاموسي: السيد/ المالك، لكن الاستعمال خصصه بالنسبة إلى الربوبية.

ومن ذلك الولي والمولى: يقول تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُوتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }¹

ولفظ (عبد) من معانيها، عبّد: عبّد الطريق=دّله ومهّده².

والتدلل إذا كان للمؤمنين فهو ليس صفة مسموح بها فحسب، بل هي مدح وفخر لمن تدلّل لهم، يقول تعالى واصفا الذين يحبّهم ويحبّونه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ }، ذلك فضلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ³ وكأن هذه الآية تتحدث عن الأمير، الذي هو الآن في حالة ذلّ أمام رجل مؤمن صالح، وقد كان عزيزا وشديدا على الكافرين المستعمرين للبلاد، فحقّق شرط العزة لأهلها، وشرط الذلّة لأهلها كذلك، وشرط الجهاد.

كما أننا نجد المولى عزّ وجلّ قد استعمل (العبد)، بمعنى يقابل به الحرّ، في موضع تفضيل له، وذلك في قوله: { وَكَعْبُدْ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ }⁴ جاء في صفوة

1 - سورة المائدة، الآية 55.

2 - المنجد في اللغة والأعلام، مادة (عبد).

3 - سورة المائدة، الآية 54.

4 - سورة البقرة، من الآية 221.

التفسير تفسيراً لهذه الآية: " أي ولأن تزوجوهنّ من عبد مؤمن خير لكم من أن تزوجوهن من حرّ مشرك مهما أعجبكم في الحسب والنسب والجمال"¹

• انزياح الدّوال في موضوع تهنئة الصّحب:

يقول الأمير:

- 105- هنيئاً لنا يا معشر الصّحب إننا لنا حصن أمن ليس يطرقه ذعر
106- فنحن بضوء الشمس والغير في دجى و أعينهم عمي و آذانهم وقر
108- و غيم السّما مهما سما هان أمره فليس يرى إلا لمن ساعد القدر²

انزياح الدّوال المفردة في موضوع تهنئة الصّحب			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
حصن	كلّ مكان محمي منيع	/	قد تكون أوراد المتصوّفة*
الشمس	جرم سماوي	/	الهداية
دجى	الظلام	/	الضلال
عمي	ج عمياء لا تبصر	/	عماء البصيرة
وقر	ثقل الأذن وذهاب سمعها	/	إعراض عن سماع الحقّ

الجدول (25)

"يهنئ الشّاعر نفسه والصّوفية، في ختام قصيدته بهذا الفوز العظيم، والتّجارة الرّابحة، فقد غنموا بعد فقر، وأمّنوا بعد خوف فهم لا يحزنون، نورهم يسعى بين أيديهم

¹ - محمد علي الصّابوني، صفوة التّفسير، (ج1)، ص 127.

* - يقول تعالى: {الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب} سورة الرعد، الآية (28).

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 203.

ومن خلفهم...أما غيرهم فحدث عنهم ولا حرج، تراهم في ظلمات يعمهون، صم، بكم، عمي" ¹

من خلال ما مرّ من رصد الدّوال وتنقل دلالاتها، من مدلول أول إلى ثان وثالث، لاحظنا عند إجراء عملية إحصائية ممّا تمّ تقييده في الجداول ما يلي:

ملخص انزياح الدّوال المفردة في مواضيع القصيدة				
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثاني	المدلول الثالث	
55	20	20	20	55
	30	00	30	
	05	05	00	
المجموع	55	25	50	

الجدول (26)

- عدد الدّوال المفردة التي استعملت فيما لم توضع له (55) دالاً.
- من بين هذه الدّوال (20) دالاً، تحول إلى مدلول ثالث أي معنى صوفي، بعدما تحول إلى مدلول ثان.
- ومنها (30) دالاً تحول إلى مدلول صوفي مباشرة دون المرور بمدلول ثان.
- ومنا (05) دوال ، لم تتحوّل إلى مدلول ثالث.

ثالثاً: الانزياحات في الأساليب:

لقد قسّم البلاغيون الكلام عامة إلى نوعين من الأسلوب، (الخبري والإنشائي)، وكون الخبري، يدرس " كيف تتنوع أساليب الخبر بحسب أحوال

¹ - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص 167.

المخاطبين ومقام الخطاب¹ فهو لا يعنينا في عملية انزياح التراكيب، لهذا فما يهمنا في دراستنا هذه إنما هو الأسلوب الإنشائي، في قسمه الطلبي. " وهذا النوع من الإنشاء هو ما عني به البلاغيون وذلك لما له من أثر في الكلام وما يُضيفه عليه كلّ نوع من أنواعه من فوائد (أمّا غير الطلبي) ... أكثر أنواعه في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء². وقد تقصّى البلاغيون أهم أنواع الإنشاء الطلبي، وهي الأنواع التي سنتبّعها في رائية الأمير، وتم حصرها في خمسة أقسام:

أ- التّداء:

" وهو دعوة المخاطب إلى الإقبال بحرف ينوب عن فعل بمعنى: أدعو، أو أقبل... وهو على نوعين: موضوع لتداء القريب (الهمزة و أي) وموضوع لتداء البعيد وهو باقي الحروف.³ وفي قصيدة الأمير وجدنا التّداء بالهمزة، و بالياء، في هذه الأبيات:

- 1- أمسعود! جاء السعد، والخير، والبشر وولت جيوش النحس، ليس لها ذكر⁴
- 6- أمولاي طال الهجر و انقطع الصبر أمولاي هذا الليل هل بعده فجر
- 7- أغث يا مغيث المستغيثين والهـا ألم به من بعد أحبابه الضـر⁵
- 16- وقال إني منذ أعداد حجّة لمنتظر لقيـاك يا أيها البـدر⁶

¹ - توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، القاهرة: مطبعة العمرانية للأوفست، (د ط)، 1991م، ص 195.

² - نفسه، ص 196.

³ - نفسه، ص 213.

⁴ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 182.

⁵ - نفسه، ص 183.

⁶ - نفسه، ص 185.

42- أبو حسن لو قد رآه أحبه وقال له أنت الخليفة يا بجر¹

101- أمولاي إني عبد نعمائك التي بها صار لي كثر وفارقي الفقـر²

103- أمولاي أي عبد بياك واقف لفيضك محتاج لجودك مضطر

105- هنيئا لنا يا معشر الصحب إننا لنا حصن أمن ليس يطرقه ذعر³

111- عليه صلاة الله ما قال قائل أمسعود جاء السعد والخير واليسر⁴

أولا (الهمزة): استعمل الأمير النداء بالهمزة، ست مرّات لمناديين هما: (مسعود/ مولاي)، حيث تُودي مسعود مرّتين، والأربعة الأخرى نودي بها مولاي.

من مسعود هذا ؟ تشير كلّ تعليقات المحقّقين لهذه القصيدة، سواء في الدّواوين، أو في كتاب المواقف، أن المقصود بها الأمير مخاطبا نفسه فرحا ببشرى الفتح* غير أن التحقيق الأخير لكتاب المواقف، أشار فيه المحقق؛ الأستاذ عبد الباقي إلى بعد آخر في المنادى (مسعود) فيقول: " يشير إلى اسم والد شيخه محمد بن مسعود الفاسي وينادي بها نفسه ويفرح بالسعادة التي نالها من أستاذه الصّوفي. "5

إن الخرق الذي وقع في هذا النداء، كون المنادى هو المنادي نفسه وهذا الأسلوب هو ما شحن هذه الرسالة بانزياح له بعده الدّلالي حيث مكّنا من تصور حالة الأمير لحظة

1 - السابق، ص 191.

2 - نفسه، ص 202.

3 - نفسه، ص 203.

4 - نفسه، ص 204.

* - ينظر، ديوان الأمير، تحقيق زكريا صيام، ص 182، و ديوان الأمير تحقيق العربي دحو، ص 138.

5 - الأمير عبد القادر، المواقف، (ج 2)، ص 601.

الفتح، فكأنما قد قفز فرحا مخاطبا نفسه، أمسعود جاء السَّعد، وهو ما نراه في واقع الحياة أحيانا بمخاطبة الشخص نفسه جهرا، في حالات الإثارة.

نداء الأمير لشيخه (أمولاي)، كان مرتين قبل الرحلة مستغيثا، ومرتين في حضرته، والظاهرة الأسلوبية التي تهمنا هي: النداءان الأولان إذ حدث فيهما خروج النداء عما حُدّد له، ذلك أن النداء باستعمال الهمزة يكون للقريب و الأمير ينادي شيخه من مكان بعيد ذلك أن " هذه الأدوات غالبا ما تستخدم في غير ما وُضعت له، أي أنّها تخرج عن المعنى الذي وُضعت له لتعبّر عن عكسه، و لا يكون ذلك إلا لنكتة بلاغية اقتضت ذلك، ويجب البحث عنها."¹ والنكتة البلاغية في استعمال الأمير أداة النداء الهمزة للقريب هي محل الانزياح، ولهذا الاستعمال دلالة؛ فشيخ الأمير وإن كان بعيد الموطن غير أن منزلته في قلب الشاعر قريبة جدًا، وقد أُستعمل هذا الأسلوب من ذلك قول بشر ابن عوانة :

أفاطم لو شهدت بطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا²

فقد استخدم الهمزة مناديا فاطمة التي بينه وبينها مسيرة أيام ليشعرنا من خلال هذا الاستعمال أنّها قريبة وكيف لا وهي تعيش في وجدانه.³ هذا ما كان من محب محبوب في الهوى فكيف بحب المرید لشيخه.

ثانيا (الياء):

سبق و أن ذكرنا أن النداء باستعمال (الياء) يكون للبعيد، غير أننا في البيت (16) نجد الشيخ ينادي الأمير باستعمال (الياء) وهو في حضرته، ذلك أن، النداء خرج عن الغرض الأصلي المناط به، إذ يراد به هنا التحبّب والتودّد كقول الشريف الرضي:

¹ - توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، ص 214.

² - نفسه، ص 214.

³ - ينظر، توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، ص 214.

يا ظبية البان ترعى في حمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك¹

وهذا هو المقام الذي كان يرى فيه الشيخ الأمير، إنه متودّد له ومحّب، ما يدعّم هذه الرؤية البيت الذي يسبق هذا البيت إذ يقول الأمير:

أتاني مربّي العارفين بنفسه —————
ولا عجب فالشأن أضحي له أمر²

فهذا القدوم من الشيخ، دليل على المحبة، ومناداته بـ (البدر) تأكيد لذلك، وقد علّل الأستاذ (عبد الرزاق بن السبع) تعبير الأمير هذا بقدوم الشيخ إليه اعتزازاً ومساواة مع شيخه فقال: " إن اعتزاز الأمير بنفسه دفعه إلى أن يساوي نفسه بشيخه ولم لا ؟ أليس الأمير سليل الشرف النبوي، والعالم المجاهد التقى الورع فحق له أن يفخر بذلك... فالشيخ هو الذي قدم لزيارة عبد القادر نفسه.³ بينما السياق يناهز هذه الرؤية، ذلك أن الأمير بعد الاستغاثة بشيخه، وجد منه القبول ودعاه إليه بقوله: (إلى أن دعني همة الشيخ)، و بعد الدعوة مباشرة شمر الأمير عن ذيل إزاره وسافر غير مبالٍ بمتاعب السفر وهجر الأحبة، أما قدوم الشيخ للأمير فهو من واجبات صاحب الدعوة وحسن الخلق، ، وليس للترحال إليه فذلك من واجب المريد، وقد فعله الأمير.

ب - الأمر:

" الأمر طلب حصول شيء على طريق الاستعلاء، أو كما يقال من الأعلى للأدنى.⁴ غير أننا قد نجد هذا الاستعمال لهذا الأسلوب يتّراح عمّا وُضع له من ذلك في قصيدة الأمير هذه الأبيات.

¹ - ينظر المرجع السابق، ص 215-217.

² - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 184.

³ - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، ص 179.

⁴ - توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، ص 209.

7- أغث يا مغيث المستغيثين والهـ أـلم به من بعد أحبابه الضـر¹

38- وقيل له إن شئت قل قدمي علا على كل ذي فضل أحاط به العصر²

99- خد الدنيا والأخرى أباغيهما معا وهات لنا كأسا فهذا لنا وفـر³

104- فمر أمر مولى للعبيد فإنني أنا العبد ذاك العبد لا الخادم الحر⁴

في قول الأمير (أغث) فعل أمر خرج عن معنى الأمر متحولاً إلى معنى الدعاء، كونه موجه من الأمير إلى شيخه، ومن قبيل هذا من الكتاب الحكيم { ربنا هب لنا من أنزاجنا وذرياتنا قرّة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً }⁵، كذلك الشأن نفسه في قوله: (فمر أمر مولى للعبيد).

كما اجتمع في البيت الثاني من هذه الطائفة، صيغتان متنافرتان في قوله (إن شئت) ثم (قل)، فالصيغة الأولى تدل على أن الاختيار للمخاطب، والثانية تجعله مأموراً، فمن له المشيئة لا ينبغي أن يكون مأموراً، ذلك أن الفعل (قل) لا يحمل معنى الأمر بل قد خرج عنه إلى معنى التخيير، كقول الشاعر*:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود⁶

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 183.

2 - نفسه، ص 190.

3 - نفسه، ص 202.

4 - نفسه، ص 203.

5 - سورة الفرقان الآية 74.

* البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة مطلعها: (كم قتيل كما قُتلْتُ شهيد لبياض الطلى وورد الحدود).

6 - توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، ص 211.

و في قول الأمير (خذ الدنيا و الأخرى)، أمر تعجيزي إذ الأمر ينبغي أن يكون ما يمكن فعله من المأمور، ولكن " لا نستطيع أن نحصر الصيغ التي يخرج إليها الأمر والتي يحددها السياق، ويهدي إليها الطبع السليم." ¹ فالأمير يشعرنا بهذا الأمر باللامبالاة، فالدنيا والأخرى ليستا مطلبيه، بل كأس المحبة، وهذا ما كان من رابعة، في حبها.

ج- الاستفهام:

" وهو في اللغة لطلب الفهم والألفاظ الموضوعية له: الهمزة، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، أنى، متى، أيان." ²

يقول الأمير:

6- أمولاي طال المجر وانقطع الصبر أمولاي هذا الليل هل بعده فجر ³

17- فأنت بنبي مذ "أست بربكم" وذا الوقت حقا ضمّه اللوح والسّطر ⁴

28- تضوع طيبا كلّ زهر بنشـره فما المسك ما الكافور ما الند ما العطر

29- وما حاتم قل لي وما حلم أحنف و ما زهد إبراهيم أدهم ما الصبر ⁵

الصبر ⁵

41- وهذا كمال كلّ عن وصف كنهه فمن يدعي هذا فهـذا هو السر ⁶

82- وقالوا فمن يرجى من الكون غيرنا فنحن ملوك الأرض لا البيض والحمـر ¹

¹ - السابق، ص 211.

² - ينظر المرجع نفسه، ص 200.

³ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 183.

⁴ - نفسه، ص 185.

⁵ - السابق، ص 187.

⁶ - نفسه، ص 191.

لقد استفهم الأمير في قصيدته بعدة أدوات، وقد اخترنا الأبيات التي خرج فيها الاستفهام عن الوظيفة المحددة له ففي البيت الأول من هذه الطائفة استفهم بـ (هل)، وقصده من ذلك الاستبطاء لا الاستفهام² فمن المعروف أن بعد الليل سوف يأتي الفجر، لكن الشاعر استبطأ هذا الفجر، فاستعمل الاستفهام للتعبير عن هذا التباطؤ.

كما نلاحظ أن الأمير استعمل في بيتين ثماني مرات الاستفهام بـ (ما)، في مثل قوله: ما المسك ما الكافور ما الند ما العطر؟ وفي كل ذلك معنى استبعاد مشابهة هذه الأشياء رغم سموها لشمائل شيخه التي هي أجل و أعظم، فهو يدرك ذلك تماماً، و لا يستفهم عنه بل يستبعده باستعمال هذه الصيغة الاستفهامية المتراحة.

وقد استفهم الأمير بـ (من)، في سياق لا يفيد الاستفهام، بل يفيد الإنكار³ وذلك في قوله: من يدعي هذا؟ وقوله: فمن يرجى من الكون غيرنا؟

د - التمني: " وهو طلب حصول شيء مرغوب بشرط المحبة، واللفظ الموضوع له (ليت)...وقد يُتمنى بـ (لو)."⁴

42- أبو حسن لو قد رآه أحبه و قال له أنت الخليفة يا بحر⁵

70- فلو نظر الأملاك ختم إنائها تخلوا عن الأملاك طوعا و لا قهرا⁶

إن هذا التمني من قبل الأمير، من الأمنيات غير الممكنة، ذلك أن أبا الحسن ويقصد به الإمام علي كرم الله وجهه، وقد يقصد به الشيخ الجليل صاحب الطريقة الشاذلية (أبا

1 - نفسه، ص 199.

2 - السابق، ص 204.

3 - نفسه، ص 205.

4 - الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، ص 99.

5 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 191.

6 - نفسه، ص 197.

الحسن الشاذلي)* وهي طريقة الشيخ محمد الفاسي، شيخ الأمير، و أيا كان المقصود منهما، لا يمكن أن يراه لكن الأمير، استعمل صيغة الأمنية التي ينبغي أن تكون قابلة للتحقق، كذلك في قوله: لو نظر الأملاك، والنظر هنا بمعنى الاهتمام بها، وهذا لا يكون من الأملاك و " النكتة في التمني — (لو) ما يشعر به من عزّة المتمنى، بحيث يعرض في صورة ما لا يوجد، فإن (لو) في أصل وضعها امتناع لامتناع".¹

هـ - النهي:

" وهو طلب الكف عن شيء على سبيل الاستعلاء، فهو يقابل الأمر، وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع مع (لا) الناهية".²

53- ولا تسألن عن ذي المشائخ غير من له خبرة فاقت وما هو مغتر³

لم يرد في قصيدة الأمير من النهي إلا ما جاء في هذا البيت، وهو في الواقع لم يخرج عما وُضع له، فلم يترح، ولكننا ذكرناه كظاهرة أسلوبية تبين ضعف كثافة هذا النوع من الأسلوب في القصيدة، كون النهي يكون في الأصل من الأعلى لمن هو أقل منه رتبة، والقصيدة أغلب صيغ المخاطب فيها كانت للشيخ، فإن كان سيوجد فهي فسيوجه للشيخ وهذا ما لا يمكن أن يصدر من الأمير لشيخه الذي جعل موضعه معه، موضع العبد مع السيد.

* - سمعت هذا التوجيه من الأستاذ عبد الباقي مفتاح، محقق كتاب المواقف، للأمير. في حوار معه يوم (2009/07/20).

¹ - توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، ص 198.

² - نفسه، ص 212.

³ - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 193.

رابعاً: الحقول الدلالية:

إن الحقول الدلالية، هي الركن الأساس الذي يعمل عليه محور الاستبدال، ذلك أن المرسل سوف يستعمل أثناء كلامه ما لديه من رصيد مفرداته، هذا الرصيد المختزن، هو عبارة عن مجموعة من الحقول الدلالية، وهي التي عرفها سوسير (بالعلاقات الجمعية)، (les rapports associatifs) فيقول عنها: "إن مكان هذه الجمعيات (المجموعات) هو العقل؛ إنها تشكل جزءاً من ثروته الذاتية، وهي التي تشكل لغة الفرد الخاصة به."¹

هذه اللغة التي في الأصل مجموعة من التجارب الذاتية، فعند استعمالها من قبل صاحبها ستحمل في طياتها تلك التجربة، "فالنص ثمرة صاحبه، والأديب صورة لثقافته، والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ."²

لذلك سنجد في قصيدة الأمير، تلك التجربة التي عاشها، والرصيد اللغوي الذي خلّفته، هذا الرصيد الذي لن تكون له قيمة ما لم يُستعمل، على حدّ قول أحمد معتوق، "الكلمة المخترنة في الذاكرة كالكلمة المخترنة في القاموس، والكلمة اللغوية في القاموس هي كما يقول (جسبرسن) كالعملة في البنك لها قوة التعامل ولكنها لا تمثل تعاملًا بالفعل، أما الكلمة الواقعية - أي في الكلام - فهي عملة جارية سيارة، لها نشاطها وقيمتها الواقعية."³

و إذا نظرنا لحياة الأمير، فسنجده قد عاش عدّة تجارب تركت أثراً في أدبه، بالإضافة إلى ذلك علاقة الإنسان بكيانه كجسم له عدّة أعضاء، وهي من أقرب الماديات إليه،

¹ - Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale. Bejaïa Talantikit. 2002, p 148.

² - عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، تونس: دار الجنوب، 1994م، ص 79. (نقلاً عن يوسف وغيلسي، مناهج النقد الأدبي، ص 15).

³ - أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، ص 237.

لذلك نجدها أيضا حاضرة في أغلب الأعمال الأدبية، ومما سبق يمكن أن نستشف أهم محددات الحقول الدلالية، في قصيدة الأمير وهي كالتالي:

- أثر تجربة الفروسية وحربه للمستعمر الفرنسي.

- أثر حياة البداوة.

- أعضاء الجسم.

- أثر ثقافته عامة والدينية خاصة.

وقد تركت كل تجربة، رصيда من الألفاظ، وجدناه حاضرا، في رائيته، بل ولعب هذا الرصيد دورا مهما في خلق الانزياحات، وسندرس العناصر الثلاثة الأولى في مجال الحقول الدلالية، أما العنصر الرابع فسندرسه في موضوع التناص ونبيّن ذلك في موضعه.

1 - أثر حقل ألفاظ الفروسية:

كثيرا ما نقرأ عن فروسية الأمير، فيقولون كان فارسا، لكن عندما كتب تشرشل ، لم يقل كان فارسا بل كيف كان فارسا قال: " كان لا يدانيه أحد فروسية، ولم يكن عبد القادر فارسا مهيبا فحسب بل إن تفوقه المدهش في كل متطلبات الفروسية، التي توجب العين القوية واليد الثابتة والرجولة الحقة ... فقد كان يلمس كتف فرسه ب صدره و يضع احدي يديه على ظهر الفرس ثم يقفز إلى الجانب الآخر، أو أنّه كان يدفع الفرس إلى أكبر سرعة ممكنة، ثم يترع قدميه عن المهاز، ويقف على السرج ويطلق النار على هدفه بدقة عجيبة، و بلمسته الماهرة يثني الفرس العربي المدرب ركبتيه، أو يمشي مسافات على رجليه الخلفيتين، بينما تضرب قائمته الأماميتان في الهواء أو يلوح ويقفز بهما كالغزال." ¹ إن هذه

¹ - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص 40.

الحياة التي ملأت كيان الأمير، وكانت صورة مجسّدة أثناء مقاومته للعدو، مدّة خمس عشرة سنة، ما كان لها أن تبقى رصيда خاملا في الدهن فقط، بل هي جزء من فكر هذا الرّجل وها نحن نجده يوظفها بمهارة ، وهذا ما استخرجناه من أثر حقل الفروسية من مفردات في هذه الرائية الصّوفية:

جيوش، الصيد، ذخيرة، العداة، التّصر، الميدان، الخسر، النّقع، جردبل، الجواد، فارس، الحرب، الجو مغبر، يحمي ذمارا، حماة الحي، يغيثني، سيف، ذو الفقار، كرار، تحت أقدام، تسبيهم، بذلنا نفوسنا، هالنا، راعنا، الذل، حصن أمن.

نماذج من استعمال حقل الفروسية	
الاستعمال	اللفظ
استعارة في وصف شدة ليالي البعد	جيوش
استعارة في ذكر مهمة الشيخ الحقيقي	يحمي ذمارا
استعارة للانقطاع في رياضة الذّكر	بذلنا نفوسنا
استعارة لحالات الابتلاء والامتحان	الحرب
استعارة في وصف مغريات الحياة	العداة

الجدول (27)

لقد استعمل الأمير هذه المفردات، مستعيرا إياها من حقلها المخصص للفروسية والحرب، إلى مدلولات مغايرة، كقوله (جيوش نحس)، قاصدا بها ليالي البعد عن شيخه، أو قوله (حصن أمن)، قاصدا بها شيخه.

بل قد يصور مشهدا حربيا أو فروسيا كاملا ليبلغ بها بعدا صوفيا كقوله:

44 - وعند تجلي النّقع يظهر من علا على ظهر جردبل و من تحته حمر

45- وما كلّ من يعلو الجواد بفارس إذا ثار نفع الحرب و الجو مغرر

46- فيحامي دمارا يوم لا ذو حفيظة وكلّ حماة الحي من خوفهم فرّوا

47- و نادى ضعيف الحي من ذا يغيشني أما من غيور خاني الصبر والدهر¹

48- وما كلّ سيف ذو الفقار، بحده و لا كلّ كرّار عليّا إذا كـرّوا

إننا لو قرأنا هذه الأبيات خارج السياق الذي وردت فيه، ما شككنا أن المراد بهذه المعاني واقع حربي، غير أن السياق يبين أن المقصود مقارنة شيخ الأمير بغيره ممن، قد يُظنّ إنهم مشائخ. وما يؤيد ما ذهبنا إليه، ما جاء بعد هذه الأبيات قول الأمير:

فلا شيخ إلا من يُخلّص هالكا غريقا ينادي، قد أحاط بي المكر²

2- أثر حقل ألفاظ طبيعة البداوة:

حياة الأمير مع الطبيعة (من خلال ما ظهر من فن الوصف في شعره) يمكن أن تقسم إلى قسمين، بدوي وحضري، " يمثل أولهما المرحلة الأولى من حياته عندما كان في الجزائر، ويمثل ثانيهما المرحلة الثانية من حياة الأمير عندما تنقل في مدن المشرق العربي." ³ هذا المظهر البدوي سيترك أثرا في كامل آثاره الأدبية أبلغ من المظهر الحضري، كونه كان في مرحلة الصبا والشباب هذه المرحلة التي عايش فيها الطبيعة في الجد عند الحروب، كما عايشها في المتعة عند ممارسة الصيد، يقو تشرشل: " فإنه... قد مارس رياضة الصيد برغبة شديدة، وكان صيده المفضل هو الخنزير البري... فقد كان يمتطي جواده فرديا، ولا يأخذ معه سوى اثنين أو ثلاثة من الخدم، ثم يدخل أعماق الغابة." ⁴ وتحدثت عنه حفيدته مبرزة أثر الطبيعة

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 192.

2 - نفسه، ص 193.

3 - فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، ص 253.

4 - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص 41-42.

في شعره قائلة: " فكان لهذه الطبيعة... التي ولد الأمير بين أحضانها، والتي تفتحت براعم طفولته فيها، أكبر الأثر في نضوج عبقريته الشعرية." ¹ وهذا ما لمسناه من توظيف الأمير لحقل ألفاظ الطبيعة، في استعارات بديعة في قصيدته الصّوفية .

فقد استعمل الأمير مجموعة من حيوانات البادية، ومن مظاهر الطبيعة، ومن أجرام سماوية، وبعض الوسائل التي يستعملها البدوي، إذ حَمَلَ هذه الدّوال مدلولات ساهمت في إيصال أفكاره الصّوفية، فهو عندما أراد أن يبين أن الشيخ الحقيقي، ليس كمن يدّعي المشيخة، اتخذ لذلك صورة جديدة، مستعملا رصيده اللغوي، الذي يثير انتباه المتلقي، كما يبدو ذلك واضحا في الأبيات السابقة (43- 48)، ولقد حصرنا أثر حقل ألفاظ الطبيعة في أربع مجالات وهي:

أ- حيوانات البادية:

جاء ذكر مجموعة من حيوانات البادية في هذه القصيدة ، سخرها الأمير لتؤدي بُعْدا آخر، بُعْدا يخدم المرمى الصّوفي، وهي:

جردبل، حمر، الجواد، طير، الصقر، الحمام، أجمال، غزلان، النمر، الغصنفر.

ب- مظاهر الطبيعة. الطبيعة من أكثر الأشياء التي يرتبط الإنسان بها، فهي محيطة به في الحلّ والتّرحال، في البدو والحضر، فلا غرو أن تكون مصدر وحي للشّاعر، فأثر الطبيعة على الأمير ظاهر، خاصة ما يتعلّق بالبداءة منها، ومن أشهر قصائده تلك التي مطلعها:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر وعاذلا لحبّ البدو والقفر

لا تدمنّ بيوتا خفّ محلّها وتمدحنّ بيوت الطّين والحجر

¹ - بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق و وثائق، ص 48.

لو كنت تعلم ما في البداوة تعذرني لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر¹

وقد لعب هذا التعلّق بالطبيعة عامة وطبيعة البادية خاصة، دوره في بناء الانزياحات في (الرّائية)، حيث نجده وظّف حقل ألفاظ الطّبيعة من ذلك أحصينا ما يلي:

سهل، وعمر، رحل، ركاب، كهف، قفر، بحر، الروض، القطر، الزّهر، حب المزن، فراتا، جنانا، برق، رعد، النسيم، الدجى، وكر، الصخر، حصباؤنا، غيم السماء.

ت - أجرام وأزمنة فلكية:

يستعمل الشعراء العرب، خاصّة أصحاب البادية، أسماء الأجرام الفلكية، والأمير عادة ما يستعملها في شعره فيقول مثلاً:

والله ودّهم، وأعطاهم حمى سرّا علاه، للسمّاك* سماء²

ويقول:

وكيف (جكركة) بعدنا وقصورها تراها الثريّا**، إذا توسطت القوسا³

وها هو الأمير يطوّع، هذه المعارف الفلكية في قصيدته، خادماً بما بعدا صوفيّا، فيذكر فيها:

نجم، بدر، الزّهر، الشّمس، التّسر، الليل، الفجر، أيّام.

1 - السابق، ص 172.

* - أحد نجمين مشهورين وهما (السمّاك الرّامح) في كوكبة الرّاعي، والثّاني (السمّاك الأعزل) وهو التّجم المضيء في برج العذراء.

2 الأمير عبد القادر، الديوان، ص 96.

** - الثريّا من أجمل التّجمعات النجمية المفتوحة، (amas ouvert)، في برج الثّور، منها سبعة جدّ بارزة، وتسمى في الأسطورة اليونانية (الأخوات السبع) يُدعى (les pléiades). والقوس أحد البروج .

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 220.

ث - وسائل بدوية. ومن الوسائل المستعملة في البادية وظَّف الأمير منها ما يلي:

رحل، ركاب، عمة في عذبة، بساط، الدلاء، سيف، دن، زق.

نماذج من استعمال حقل الطبيعة و البداوة	
الاستعمال	اللفظ
استعارة في وصف الشيخ	كهف
استعارة في وصف الشيخ	بدر
استعارة في وصف بقية الأولياء	الزهر
استعارة في موضوع مدد الشيخ	الدلاء
استعارة في مشيخة شيخ الأمير	عمة في عذبة

الجدول (28)

3- أثر حقل أعضاء الجسم:

" يشكلّ هذا الحقل معجما واسعا من الألفاظ الدالة على أعضاء الإنسان أو متعلقاته... وتتنوع دلالاتها وفق السياق الذي ترد فيه"¹ وقد استعمل الأمير مجموعة من ألفاظ هذا الحقل، مشكّلة انزياحا كون استعمالها لم يؤد مدلول وظيفتها العضوية، فاستعمال الأمير لـ (الكف) في قوله: والكف من كأسها صفر. لم يكن لأداء وظيفة عضوية؛ بل كان مدلوله عدم امتلاك هذا المحروم متعة خمرة المحبين التي في الأصل لا توضع في كأس ولا تحملها كف، وكذلك مع بقية الأعضاء كالجنب، والظهر، والقلب، ولقد أحصينا من ألفاظ هذا الحقل في القصيدة ومتعلقاته ما يلي:

¹ - أماني سليمان داود، الأسلوبية والصّوفية، ص 182.

جنب، ظهر، الفؤاد، الصدر، أقدام، نواجذ، وجه، الكف، عقول، الأكباد، أحداق،
قائمة، نفوس، الترائب، النحر، أعين.

- من متعلقات هذه الأعضاء نجد:

يغض الطرف، يشرب، نظر، شمّ، تبكي، حلا، مرّ، عمي، وقر.

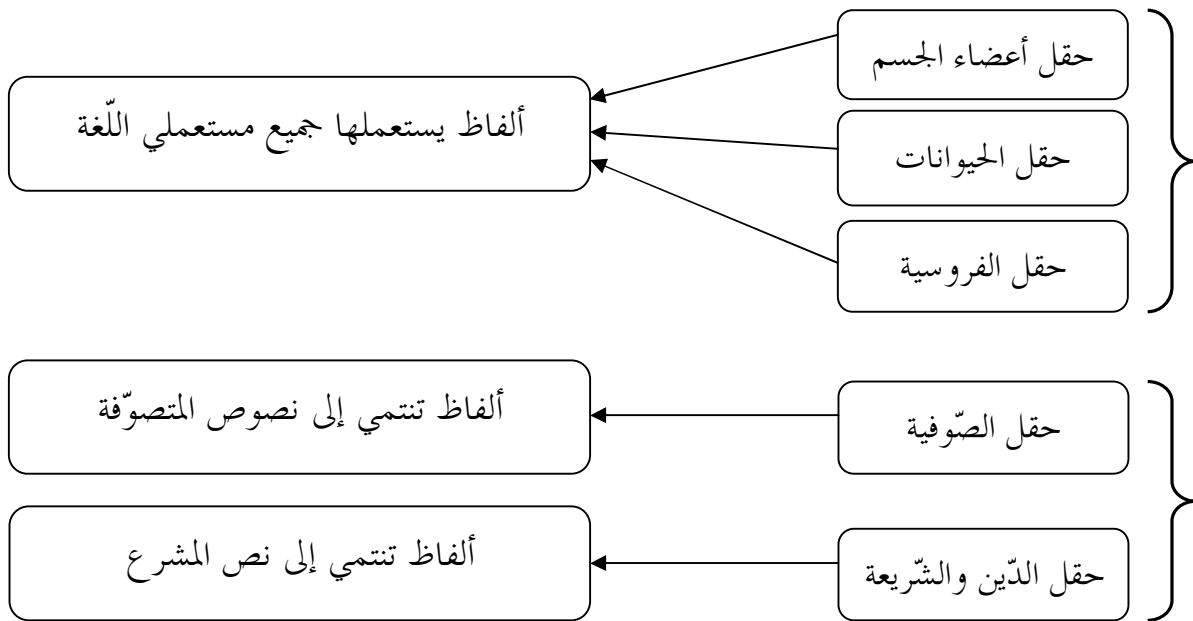
نماذج من استعمال حقل أعضاء الجسم ومتعلقاتها	
اللفظ	الاستعمال
جنب/ظهر	استعارة في موضع عدم تحقق الوصل
الترائب/ النحر	استعارة في موضوع ترك المتع
يغض الطرف	استعارة في موضوع صفات الشيخ
حلا	استعارة في موضوع متعة الخمرة
عمي	استعارة في وصف المحرومين

الجدول (29)

4- أثر حقل المصطلحات الدينية و التّناس:

لعلّ سائلا يستفهم فيقول: لِمَ لَمْ يُدرس ما تقدم من حقول على مستوى التّناس أيضا؟ ولِمَ تميّز هذا الحقل بهذه الدّراسة؟

نقول؛ ذلك أن الحقول الدّلالية يمكنها أن تلتقي مع التّناس، إذا كان الحقل الدّلالي حقلا أيديولوجيا، ألفاظه المكونة له تنتمي إلى نصوص أخرى صاحبها أو أصحابها محدّدون، فالتّناس يوجب تحديد النصّ المنتج، والنّص المستهلك، و ليست هذه ميزة كلّ الحقول الدّلالية، وهذا الشّكل يساعد في فهم ما ذكرناه.



الشكل (19)

فالحقول الثلاثة الأولى، ألفاظها مستعملة من قبل جميع مستعملي اللغة، أي لا يمكن إيجاد نص محدّد مقابل لها، بينما حقل التصوف، أو حقل الدّين، سنجد نصّاً يقابله قائما بذاته وصاحبه محدّد، فيمكن إيجاد تقاطع مفردات مستعمل الحقل مع مفردات وأفكار صاحب النصّ أو الفكرة ولعلّه من المفيد إعطاء فكرة عن مفهوم مصطلح التّناس.

خامسا: التّناس:

يذكر الأستاذ نور الدين السّد أن التّناس قد " ظهر على يد الباحثة (جوليا كريستيفا) (julia kristiévа) في عدّة أبحاث لها بين 1966-1967... تقول كريستيفا: (إن كلّ نصّ هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكلّ نصّ تشرّب وتحويل لنصوص أخرى)."¹

¹ - نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 96.

إن مكنم الانزراح فف التناص؁ لا فكمف فف المرسل ولا الرّسالة فف حدّ ذاتها؁ بل فف المتلقف؁ " فالمتلقف المتمرّس ففرك الثابف والمتغير فف الخطاب الفففء؁ ومن خلال عملفة التناص ففم التّواصل مع نصوص سابقفة؁ وعبرها فكون حضورها؁ وكأن النص الأدبف فنففف عبر كثافة التناص على أفق لا متناه؁ ومن هنا فكون الغرابة و الألفة فف النص الأدبف؁ وففففف هذه المعادلة فف وقت واحد.¹ إن فلك الغرابة هف ففففانا فف فبفف الانزراح؁ على أن الألفة هف النمط والغرابة هف ففوف علىه؁ ومن التناص فف رائفة الأمفر ما فلفف:

أ- من القرآن الكرفف:

كان القرآن ولا فزال المنجم الغف بالألفاظ والأسالف؁ الفف فستلهم منها ففظفه وقارئوه ألفاظهم وأسالفهم؁ هذا فضلا عن فضل التّفء به؁ والعلوم الفف ففففها أهله منه؁ والقارئ العارف بالقرآن و ما فعلق بالعلوم الفابعة له؁ ففبفن ففسر أثر مصطلحاته فف ففاباف قرّائه.

والأمفر أء هؤلء الففن فأثروا بالثقافة الففففة منذ صغره؁ فقول عنه فشرشل: " أمّا الملكاف العقلفة للولد فقد كانت فءل على نبوغ ففر عاءف؁ فقد كان فقرأ و ففكب عئءما كان فف الفامسة من عمره؁ وقد أصبح (طالباف) عئءما كان فف الفّاففة عشر أف أنّه فف هذه السن كان ففمكّنا من القرآن والففءف." ² وفاء فف فذكراف الأمفر أنّه " أءف الفّففسفر والففءف والفقه والنّحو وأصول الفّفن والفقه عن والفه." ³ فلافء أن فظهر فف لغة الأمفر أثر هذه الثقافة؁ بالفإضافة إلى ما فرفسه من فكب القوم أثناء فترة سجنه؁ كلّ فلك أءفء فجالا أكبر من أن فسمى ففقا فلالفا؁ ففسمء منه الأمفر مفرفاؤه؁ بل و أفكاره؁ إنّه ما

¹ - السابق؁ ص 104.

² - شارل هنرف فشرشل؁ ففاة الأمفر عبء القاءر؁ ص 39.

³ - الأمفر عبء القاءر؁ فذكراف الأمفر عبء القاءر؁ (فف فمء الصّغير بنّاف و آفرون)؁ الفزائر: شركة فاف الأمة؁ (ط2)؁ 1998م؁ ص 48.

يدرس اليوم في الأسلوبية باسم (التناص)، وهذا يمكننا من دراسة مجموعة من الحقول في
حضن هذا العنصر المهم تحت مضلة الأسلوبية.

يقول الأمير على لسان شيخه، مذكراً إياه بالعهد القديم:

17- فأنت بنِّي مذ ألت بربكم وذا الوقت حقاً ضمّه اللوح والسطر¹

هذا العهد الذي استقاه الصوفية من قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
هَذَا غَافِلِينَ }²

وفي ذكر الأمير أوصاف شيخه يقول:

34- ذليل لأهل الفقر لا عن مهانة عزيز ولا تيه لديه ولا كبر³

وهو الوصف الذي أطلقه المولى عمّن يحبّه ويحبّونه فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ }⁴

و عندما أراد الأمير وصف متاع الدنيا قال:

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 185.

2 - سورة الأعراف ، الآية (172).

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 188.

4 - سورة المائدة، الآية 54.

35- وما زهرة الدنيا بشيء له يرى وليس لها - يوما بمجلسه - نشر¹

وهذا الوصف استمدّه من قوله تعالى: { وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَنْزَاجًا مِنْهُمْ
نَزْهَةً الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ، وَمَنْزِقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى. }²

وفي وصف خصال الشيخ يقول الأمير:

36- حريص على هدي الخلائق جاهد رحيم بهم برّ خبير له القدر³

وهي أوصاف مدح بها المولى خير المرسلين قال: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. }⁴

وفي ذكر فضل الله قال الأمير:

39- فذلك فضل الله يؤتيه من يشا وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر⁵

وهو عين قوله تعالى: { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ }⁶

وفي تركيب (قدم صدق) كان للأمير من القرآن المرجع فقال :⁷

51- وذا مثل للمدّعين ومن يكن على قدم صدق طبيبا له خبر

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 189.

2 - سورة طه، الآية 131.

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 189.

4 - سورة التوبة، الآية 128.

5 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 190.

6 - سورة المائدة، من الآية 54.

7 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 193.

وفي تعريف القشاني لـ (قدم صدق) قال: " هي السابقة الجميلة والموهبة الجزيلة،
التي حكم بها الحق تعالى لعباده الصالحين المخلصين، في قوله: { وبشر الذين آمنوا أن لهم
قدم صدق عند ربهم. } سورة يونس، من الآية 2، والصدق هو الخيار من كل شيء.¹

وفي الحديث عن الخمرة استخدم وصف المولى فقال الأمير:

66- فلا غول فيها ولا عنها نرفة وليس لها برد وليس لها حر²

وقد قال تعالى: { لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون. }³

ومن حديث الأمير عن أوصاف النساء اللواتي تركهن في سبيل الوصول إلى بغيته قال
مستمدًا ذلك الوصف من كتاب الله:

91- وملنا عن الأوطان والأهل جملة فلا قاصرات الطرف تثنى ولا القصر⁴

وهو ما وصف الله به الحور، قال تعالى: { وعندهم قاصرات الطرف أترابٌ. }⁵

ويقول أيضا: { فيهن قاصرات الطرف لم يطمثن إنس قبلهم ولا جانٌ. }⁶

ومن الاستعمالات النادرة للألفاظ لفظة (ضيزى) التي استعملها الأمير من خلال
تأثره بالقرآن فقال:

1 - كمال الدين عبد الرزاق القشاني، اصطلاحات الصوفية، ص 144.

2 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 196.

3 - سورة الصافات، الآية 47.

4 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 200.

5 - سورة ص، الآية 52.

6 - سورة الرحمن، الآية 56.

98- فقل للملوك الأرض، أنتم و شأنكم فقسمتكم ضئى، وقسمتنا كثر¹

وهي في قوله تعالى: { تلك إذا قسمة ضئى. }²

وعندما أراد الأمير وصف حالة الفتح التي هو عليها مع صحبه، مقارنا إياها بحالة الغافلين، لم يجد أحسن من المعنى الذي مثل به المولى الهداية والضلال، يقول الأمير:

106- فنحن بضوء الشمس والغير في دجى و أعينهم عمى و آذانهم وقر³

يقول تعالى: { الله وليُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلماتِ إلى النورِ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوتُ يُخرجونهم من النورِ إلى الظلماتِ أولئك أصحابُ النارِ هم فيها خالدون. }⁴

وقوله تعالى:

{ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجنِّ والإنسِ، لهم قلوبٌ لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، أولئك كالنعامِ بل هم أضلُّ، أولئك هم الغافلون. }⁵

ب- من الشعر الصوفي: كنّا قد ذكرنا في بداية الفصل التمهيدي، حياة الأمير الصوفية و مدى تأثره، منذ صباه بالبعد الصوفي، و قد رافقه ذلك طيلة حياته، فكان من الطّبيعي أن يظهر- من خلال مطالعته لكتب وأشعار القوم- أثر ذلك في شعره، ومن ذلك قوله:

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 202.

2 - سورة النجم، الآية 22.

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 203.

4 - سورة البقرة، الآية 257.

5 - سورة الأعراف، الآية، 179.

68- معتقة من قبل كسرى مصونة وما ضمّها دنّ ولا نالها عصر¹

يقول الششتري:

فما عصرت وما جعلت بدنّ وما سبكت زجاجتها بنار²

ويقول الأمير:

70- فلو نظر الأملاك ختم إنائها تخلو عن الأملاك طوعا ولا قهر³

يقول عمر بن الفارض:

ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم⁴

ومن ناحية موسيقى التّظم نجد الأمير يبدأ كلّ شطر من البيت الموالي ممّا بدأ به الشيخ عبد القادر الجيلالي ، فيقول الأمير:

74- فلا عالم إلا خبير بشرها ولا جاهل إلا جهول بها غر⁵

إذ يقول الشيخ عبد القادر الجيلالي:

فلا عالم إلا بعلمي عالم ولا سالك إلا بفرضي وسنّي⁶

وفي وصف المحروم من خمرة الحبّ يستفيد الأمير من شعر ابن الفارض، يقول الأمير:

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 196.

2 - أحلى قصائد الصّوفية، مجدي كامل، ص 66.

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 197.

4 - عمر بن الفارض، الديوان، ص 180.

5 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 197.

6 - أحلى قصائد الصّوفية، مجدي كامل، ص 26.

75- ولا غبن في الدنيا ولا من رزية سوى رجل عن نيلها حظه نزر¹

و يقول ابن الفارض:

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم²

وفي الحديث عن مناجاة الأرواح يقول الأمير:

87- وتبكيهم ورق الحمام في الدجى إذا ما بكت من ليس يدري لها وكر³

وغير بعيد عن هذا المعنى قول ابن عربي:

ألا يا حمامات الأراكة والبان ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني

ترفقن لا تظهرن بالتّوح والباكا خفي صبابتي ومكنون أحزاني

أطارحها عند الأصيل وبالضحى بحنة مشـتاق وأنة هيمان

تناوحت الأرواح في غيضة الغضا فمالت بأفنان عليّ بأفـنـاني⁴

وفي نهاية حديثنا عن التّناس، لا يمكن أن نغفل عن موضع مهمّ في هذه القصيدة، موضع استطاع الأمير فيه أن يحول دوالا، وُضعت أساسا لتؤدي مدلولاتها الأصلية، استعملها بطريقة (التّضمنين)، فأدّت معنى ذا بعدٍ جديد، وذلك من خلال تضمينه لقصيدته، بيتين من قصيدة لأبي نواس فيقول:

78- وقال اسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 198.

2 - عمر بن الفارض، الديوان، ص 185.

3 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 199.

4 - ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص 40-41.

79- وصرّح بمن تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر¹

يقول أبو نوّاس في مطلع قصيدته:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر²

فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر³

و إذا تأملنا ما حدث من تغيير نجد:

استبدل الأمير (أَلَا فـ) بـ (وقال)، ليتناسب الكلام مع سابقه، لأن أبا نوّاس

كان بيته مطلعاً لقصيدته، و الأمير ينقل كلام القائل، بينما أبو نوّاس هو المتكلم.

تكمّن متعة المتلقّي - المطّلع على قصيدة أبي نوّاس - في تفاجئه باستحضار الأمير

لهذين البيتين، الذي استطاع بسعة خياله أن يجمع بين متناقضات، تحت سلطة قواعد

العروض من جهة والمعنى من جهة أخرى، وذلك فيما يلي:

- تمكّن الأمير من انتشال معنى ماديّة خمرة أبي نوّاس، إلى بعد صوفي سام، بخمرة الحبّ.

- نجاح الأمير في هذا التّناس، محافظاً على عدّة قيود منها:

1. المحافظة على تسلسل المعنى، بحيث من يجهل قصيدة أبي نوّاس لا يجد انقطاعاً

أو تنافراً في المعاني.

2. النّجاح في اختيار البحر الذي بنى عليه قصيدته (الطّويل).

3. النّجاح في اختيار رويّ هذا البحر وهو حرف (الرّاء).

4. النّجاح في التوفيق فيما سبق مع اختيار حركة الرّوي التي اختارها، (الضّمة).

1 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص 198.

2 - أبو نوّاس، الديوان، ص 383.

3 - نفسه، ص 184.

كذلك يوجد تضمين ثان، استعمله الأمير من نفس قصيدة أبي نواس، وذلك في قوله:

86- ويسكرهم طيب التّسيم إذا سرى تظنّ بهم سحرا وليس بهم سحر¹

إذ يقول أبو نواس:

فجاءت به كالغصن يهتّر ردفه تخال به سحرا وليس به سحر²

إذ نلاحظ الشّطر الثّاني، يحمل نفس اللفظ ، حتى ما اختلف لفظه، بقي معناه وذلك بين اللفظين (تخال وتظنّ).

نخلص من خلال دراسة مواقع الانزياحات في محور الاستبدال، أن هناك عدة ظواهر أسلوبية يمكن أن نوجزها فيما يلي:

- حملت كلّ مواضيع القصيدة مجموعة من الدّوال، أخذت مدلولات متراحة، عمّا وُضعت له.

- بعض المواضيع، التي اشترك فيها البعد الشعري الصّوفي مع البعد الشعري العادي (غير الصّوفي) مثل موضوع (الرحلة، وصف الليالي)، فنجد انزياحات الدّوال تحمل البعدين، الصّوفي وغيره، إذ نلاحظ عدد المدلولات الثواني مساوية أو مقاربة للمدلولات الثّالث.

- إذا كان الموضوع صوفيا بحثا، كموضوع (الخمرة، السّكارى، مخاطبة الأمير لأصحابه المتصوّفة في موضوع التّهنئة) نجد أن المدلولات تتحوّل إلى مدلول ثالث مباشرة، دون أن تحمل معنى في المدلول الثّاني.

1 - الأمير عبد القادر، الدّيان، ص 199.

2 - أبو نواس، الدّيان، ص 386.

- من الميزات الأسلوبية البارزة، كثافة نوع من الوحدات اللغوية، في مواضيع محدّدة من أجل أداء بعد دلالي، يفرض نفسه على الشاعر، يفرضه هو بدوره على القصيدة، وذلك في استعمال مجموعة من صيغ النفي (ما - ليس - لا - لم)، في موضوع الخمرة والسّكاري، حيث تكرّرت هذه الصّيغ أكثر من 25 مرّة في الموضوعين، وبلغت كثافتها أن وصلت إلى 14 صيغة نفي في ستة أبيات.

كما لاحظنا، في إحصاء الانزياحات الواردة في الأساليب الإنشائية، ندرة استعمال النّهي، حيث لم يستعمل في كامل القصيدة إلّا مرّة واحدة، وذلك في البيت (53)، وهذا أيضا ما فرضه نموذج بناء القصيدة، إذ لا يمكن أن يكون النّهي إلّا للمخاطب بالكف عن فعل شيء ما، والمخاطب في أغلب القصيدة هو الشّيخ، وهو ليس موضع النّهي بل قد يكون هو النّاهي، كما خاطب أيضا صحبه في موضوع التّهنئة، غير أن المقام ليس مقام نهي، لكنّه لما خاطب القارئ مباشرة استعمل معه النّهي، خوفا عليه من أن يقع في الزلل وذلك في البيت المشار إليه آنفا في الحديث عن النّهي.

الخاتمة

إن تصوّرنا الأول عند كتابة الخاتمة، أنّها ستكون المحطّة الأخيرة من البحث، بيد أن الحقيقة غير ذلك لأن البحث ليس هو تلك الفصول المدوّنة على هذه الصّفحات فحسب، ذلك أنّ فراغات عديدة، تتخلّل ما يُكتب، قد لا يشعر بها القارئ، لكنّها في ذهن الباحث تبقى حاضرة، مشكّلة تساؤلات، تنتظر إجابات شافية، لذلك يختم كثير من الباحثين بحوثهم بتساؤلات، فكأن في الخاتمة سرّ الرّبط بين ما تمّ البحث فيه وما ينبغي أن يواصل البحث عنه.

وذلك كلّ نتيجة وحصيلة جهود البحث، هذا ما شعرت به بعد ما وضعت نقطة الانتهاء، من تلك الفصول وبدء كتابة هذه الخاتمة، التي هي فرصتي لجمال حصيلة ما كتبت من جهة، والكشف عن تلك الفراغات التي بقيت بين العبارات، من جهة أخرى.

و مجموع التّساؤلات و أهمّ التّائج التي أثارت اهتمامي أجمّلها في عدّة عناصر، ثمّ أفصّلها وهي حول:

- شخصية الأمير.
- نوعية الانزياح الصّوفي.
- خصائص الانزياح في محوري التركيب والاستبدال.
- أثر المنهج الإحصائي في مباحث الانزياح.
- تداخل التّناسع مع الانزياح.

أولاً: ما يتعلّق بأوّل عنصر تطرّقنا إليه في بحثنا؛ (شخصية الأمير عبد القادر)، لقد أثار هذا البحث سؤالاً مهمّاً في ذهني، وهو هل ينبغي للفرد العادي، والمواطن البسيط، أن يكون باحثاً منقّباً حتّى يتعرّف على أعظم الرّجال في بلده، وأمّته؟

الكثير من الكتب، والعديد من البحوث، كُتبت حول هذا الرّجل، كما ذكر صاحب كتاب (عبد القادر، برزخ البرازخ) (abdelkader, isthme des isthmes)،

الكاتب الفرنسي (bruno étienne)، وكان من المفترض أن تتواجد في مكتبات المعاهد الأدبية، لكن على سبيل المثال لا يوجد ولا عنوان واحد للأمير في مكتبة المركز الجامعي بالوادي، وفي مكتبة معهد الأدب لجامعة ورقلة، ليس هناك إلا اثنان منها، أمّا ديوانه كأنما هو من الكتب المحرّمة على القارئ في المكتبات، وكم يا ترى هي النصوص المدرسية المبرجة لبعث العزة بالوطن، - كما يُزعم - تحدّثت عن هذا العملاق خاصة في دوره الصوفي، أو فيما لعبه من أجل السلام في دمشق؟!!

لا أرمي بهذا التعليق للإشارة إلى إشكالية المراجع المتعلقة بالأمير، بل إلى ندرتها في المؤسسات الرسمية التي تتوفر على العديد من الدواوين والتراجم لشعراء كثيرين من أقطار أخرى، إذ من الأولى الاهتمام بتراثنا على الصعيد الرسمي، بغض النظر على دور بعض الجمعيات النشطة في هذا المجال.

ثانياً: ما يتعلق بالانزياح الصوفي، إذا استطعنا أن نسلم اليوم بأن العلة في عدم فهم البعض للخطاب الصوفي إنّما هو نتيجة لحرق المتصوّفة مجموعة من قواعد اللغة باستعمال مفردات وعبارات لغير ما وُضعت له في الاستعمال العادي كون هؤلاء عاشوا حالا وتجربة مغايرة لما يعيشه غيرهم ، فإنّنا سنسلم نتيجة لذلك أن عدم هذا الفهم، ناتج عن سببين، وهما (التجربة - والانزياح)، ولفهم الخطاب الصوفي، يجب التّعرّف على الانزياح الصوفي، أمّا لتذوّق هذا الخطاب والاستمتاع به فإنّه يوجب معاشة تلك التجربة، وذلك ما لا يمكن أن يتأتّى للكثيرين، بل فهم اللغة وحدها - لغة الخطاب الصوفي - قد قصر عليه الكثيرون، حتّى تجرّأ بعضهم بمهاجمة الأمير أثناء تحقيقاتهم، لقصيدته (الرائيّة) بجعله وشيخه من الجاهلين، كـ (د/ زكريا صيام)، أو مثّلهم بالعجائز الجاهلات، كما فعل ذلك محقّقا الديوان (نزهة الخاطر)، الأستاذان، (محمد الصالح رمضان، ومحمد الأخضر السّاحي)، وقد يجروّ ذوو القربى على ما هو أمر، كما فعلت بديعة الحسني، حفيدة الأمير على بتر ما لم تستطع فهمه، من هذه القصيدة فيما

عدّته ديوان الأمير، أو في محاولتها نفي إثبات كتابه (المواقف) له، وسبب ذلك فيما خلصت إليه من البحث هو عدم إدراك المدلول الثالث، أي الانزياح الصّوفي، وحمله على أساس المعنى القاموسي للمفردات، أو المدلول الثاني في أحسن الظروف.

ثالثاً: من الإشكالات التي طُرحت في دراسات الانزياح كـيفيّة تحديد الخلفية، التي تعدّ القاعدة النّمطية، والتي بها تقاس درجات الانزياح، من يحدّد هذه القاعدة؟ وما هي؟ من خلال تقسيمنا للبحث إلى محوري (الاستبدال والتّركيب) تبين إلينا أن القاعدة النّمطية، تختلف حسب المحور المدروس:

- في محور التّركيب، القاعدة النّمطية الغالبة هي (قواعد نحو اللّغة)، كما ظهر ذلك في التّقديم والتّأخير والحذف، و إنّما قلت الغالبة لأن بعضاً من متعلّقات هذا المحور تعلّقت بالسياق كما كان ذلك في مبحثي الاعتراض، والالتفات.

- أمّا في محور الاستبدال، فالقاعدة النّمطية متعلّقة، بمبدأ مواضعة اللّغة؛ أي أن الانزياح يكون في مخالفة استعمال اللفظ في غير ما وضع له، وهو متعلّق، بالاستعارة بأوسع معانيها، تحت مظلة علم (البلاغة)، بذلك يدخل الانزياح في العلمين الأساسيين لدراسة اللّغة وهما: (التّحو والبلاغة).

رابعاً: من خلال تطبيق المنهج الإحصائي على النّتائج التي سجّلناها في الانزياح تمكّننا من رصد مجموعة من الظّواهر الأسلوبية النّفسية، التي يعيشها الشّاعر فيبثّها في شعره نوجزها فيما يلي:

- لاحظنا في مبحث الحذف في الجمل الاسمية، أنّ الانزياحات ، أخذت كثافة ذات نوعية لافتة، ففي الجدول (2) في حذف المسند إليه (المبتدأ)، كان في خمسة عشر موضعاً، منها ثلاثة عشر، متعلقة بأخبار عن الشّيوخ، كان هو (أي الشيخ) المبتدأ المحذوف، لحضوره الدّائم في ذهن الأمير، وجعله بذلك حاضراً في ذهن المتلقّي.

- وبالمقابل في حذف المسند (الخبر)، لم تظهر هذه الكثافة، بل كانت على العكس، ففي الجدول (3)، سبع ظواهر لحذف المسند منها اثنتان فقط متعلّقة بالشيخ، وذلك لأنّ الحاجة ماسّة للإخبار عنه، لا لحذف أخباره.

- في دراسة تقديم المفعول، كانت الظواهر المسجّلة في خمسة عشر موضعا وهي:

- الأمير، تم تقديمه في خمسة مواضع .
- الأمير ومعه المريدون حالة خمرتهم، في خمسة مواضع.
- المكان، (البطاح والبيت) في ثلاثة مواضع.
- المدّعي والمضطر في موضعين.

فالملاحظ أن الشيخ الذي هو محور القصيدة، لم يُذكر ولا مرّة واحدة، ذلك أنّه لا يمكن للأمير أن يضع شيخه المبجل، في موقع المفعول به.

خامسا: سمحت لنا دراسة الانزياحات حسب الحقول الدلالية، من إيجاد علاقة بين بعض الحقول والتّناس، الذي يُعدّ من أهمّ المباحث في الدّراسات اللّغوية الحديثة، وكان ذلك في حقلين، حقل المصطلحات الدّينيّة، و حقل أفكار التّصوّف، وذلك مع القرآن الكريم والشّعر الصّوفي على التّوالي فهنا استطعنا إدماج هذا المبحث الأساس (التّناس)، في دراستنا للانزياحات.

أخيرا يمكن أن نلاحظ أن التّحليل الأسلوبي للتّصوص بالاعتماد على ظاهرة الانزياح، يسمح لنا بتفسير مكنى الشعرية، لا تذوقها فحسب، و أنّ الخطاب الصّوفي يوسع زاوية الخيال، بتخطّيه المدلول الثاني ، إلى مدلول ثالث، وأحسب أن هذا هو المميّز الأساس لهذا الخطاب عن غيره من الخطابات، لأن المدلول الثالث ناتج عن حال المتصوف أثناء تجربته الصوفية، وهو الحجاب الرّئيس الذي وقف حائلا بين الكثيرين وفهم الخطاب الصوفي، فمن

لم يعيش التجربة الصوفية لا يمكنه أن يتذوقها، ومن من لم يتمكن من تصويره لها ليس له أن يفهمها، أمّا من حملها على محمل بقية النصوص فسيسيء فهمها حتماً.

هذا والفضل لله بدءاً وختاماً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملخص البحث باللغة الانجليزية

This research focuses on the study of the deviation phenomenon in the « Sufi » poetry. As a case of study, we have chosen a long mystical poem of Emir Abd-Elkader. The research examines the deviation phenomenon from two axes : syntagmatic and paradigmatic . In accordance with the outline our study expands as follow:

An introductory chapter that includes a biography of the Emir, a linguistic and terminological definition of the deviation as well as the characteristics which distinguish the Sufi from the other types of deviation. This chapter is followed by two practical chapter.

The first chapter, the Syntagmatic Deviation in the Emir's Poem. look into the deviation positions of the most important components of this axis, such as the deletion, the advance as well as the opposition and the context.

The second chapter, the paradigmatic deviations in the Emir poem, examines the deviation positions, such as the metaphor and the alterations of the signified, the styles and the semantic fields, then the intertextuality . we have remarked that the core of the differences among the Sufi and the other types of deviation lie in this axis, that is, in the alteration axis. The signifier changes form a first to a second, and then to a third signified, in that the latter represents the sufi deviation. Our research is concluded with a summary that includes the most important results we have reached.

ملحق: 1 قصيدة الأمير المدونة (الرائية) أستاذي الصوفي

من ديوان الأمير (تحقيق زكريا صيام)

1. أمسعود! جاء السعد، والخير، واليسر
 2. ليالي صدودٍ، و انقطاع وجفوة
 3. فأيامها أضحت قتاما ودجنة
 4. فراشي - فيها - حشوه المم والضنى
 5. ليالي أنادي والفؤاد متيــــــــــــــــم
 6. أمولاي طال الهجر وانقطع الصبر
 7. أغث يا مغيث المستغيثين والهــــــــــــــــا
 8. أسائل كل الخلق هل من محبــــــــــــــــر
 9. إلى أن دعيتي همة الشيخ من مــــــــــــــــدى
 10. فشمرت عن ذيلي الإطار وطار بي
 11. وما بعدت - عن ذا الحب - تــــــــــــــــامة
 12. إلى أن أنحنا بالبطاح ركابــــــــــــــــنا
 13. بطاح بها البيت المعظم قــــــــــــــــلة
 14. بطاح بها الصيد الحلال محرم
 15. أتاني مربى العارفين بنفســــــــــــــــه
 16. وقال فيني منذ أعداد حجــــــــــــــــة
 17. فأنت بنبي مذ " ألســــــــــــــــت بربكم "
 18. وجدك قد أعطاك من قدم لــــــــــــــــنا
 19. فقبلت من أقدامه و بســــــــــــــــاطه
 20. وألقى على صفري بإكسير ســــــــــــــــره
- وولت جيوش النحس، ليس لها ذكر
وهجران سادات، فلا ذكر الهجر
ليالي لا نجم يضــــــــــــــــيء ولا بدر
فلا التذلي جنب ولا التذلي ظهر
و نار الجوى تكوي لما قد حوى الصدر
أمولاي هذا الليل هل بعده فجر
ألم به من بعد أحبــــــــــــــــابه الضر
يحدثني عنكم فينعشــــــــــــــــني الخبر
بعيد، ألا فادن فعندي لك الذخــــــــــــــــر
جناح اشتياق ليس يخشى له كســــــــــــــــر
ولم يثنه سهل هناك ولا وعــــــــــــــــر
وحط بها رحلي، وتم لها البشــــــــــــــــر
فلا فخر إلا فوقه ذلك الفخــــــــــــــــر
و من حلها حاشاه يبقى له وزر
ولا عجب فالشأن أضحي له أــــــــــــــــمر
لمنتظر لقياك يا أيها البــــــــــــــــدر
وذا الوقت حقا ضمّه اللوح والســــــــــــــــطر
ذخيرتكم فينا ويا حبذا الذخــــــــــــــــر
وقال لك البشرى بذا قضى الأــــــــــــــــمر
ف قيل له هذا هو الذهب التــــــــــــــــبر

21. و أعني به: شيخ الأنام، وشيخ من
 22. عياذي، ملاذي، عمدتي، ثم عدتي
 23. غياثي من أيدي العداة، ومنقذي
 24. ومحبي رفاقي؛ بعد أن كنت رمية
 25. محمد الفاسي له - من محمد
 26. بفرض وتعصيب غدا إرثه لــــه
 27. شمائله تغنيك إن رمت شــــاهدا
 28. تضوع طيبا كلّ زهر بنشــــره
 29. وما حاتم قل لي و ما حلم أحنف
 30. صفوح يغض الطرف عن كل زلة
 31. هشوش بشوش يلقي بالرحب قاصدا
 32. فلا غضب حاشا بأن يستفزه
 33. لنا منه صدر ما تكدره الــــدلا
 34. ذليل لأهل الفقر لا عن مهــــابة
 35. و ما زهرة الدنيا بشيء له يرى
 36. حريص على هدي الخلائق جاهد
 37. كساه رسول الله ثوب خلافة
 38. وقيل له إن شئت قل قدمي علا
 39. فذلك فضل الله يؤتيه من يشا
 40. و ذا وأبيك الفخر لا فخر من غدا
 41. و هذا كمال كلّ عن وصف كنهه
 42. أبو حسن لو قد رآه أحبّه
 43. وما كل شهم يدعى السبق صادق
- له عمّة، ذي عذبة، وله الصــــدر
 وكهفي إذا أبدى نواجهه الدهــــر
 منيري ، مجيري، عندما غمّني الغمر
 و أكسبني عمرا، لعمرى هو العمر
 صفي الاله - الحال و الشيم الغر
 هو البدر بين الأوليا، و هم الزهر
 هي الرّوض لكن شقّ أكمامه القــــطر
 فما المسك ما الكافور مالند ما العطر
 و ما زهد إبراهيم أدهم ما الصّبر
 لهيسته ذل الغصنفر و النمر
 و عن مثل حب المزن تلقاه يفتــــر
 ولا حدة كلاً و لا عنده ضر
 و وجه طليق لا يزايله البشــــر
 عزيز ولا تيه لديه ولا كبــــر
 وليس لها - يوما بمجلسه - نشر
 رحيم بهم برّ خبير له القــــدر
 له الحكم والتصرف والنهي و الأمر
 على كل ذي فضل أحاط به العصر
 و ليس على ذي الفضل حصر و لا حجر
 وقد ملك الدنيا وساعده التّصــــر
 فمن يدّعي هذا فهذا هو الســــر
 وقال له أنت الخليفة يا بحر
 إذا سيق للميدان بان له الخســــر

44. وعند تجلي النقع يظهر من علا
45. وما كل من يعلو الجواد بفارس
46. فيحامي ذمارا يوم لا ذو حفيظة
47. و نادى ضعيف الحي من ذا يغيثني
48. وما كل سيف ذو الفقار، بجده
49. وما كل طير طار في الجو فاتكا
50. و ما كل من يسمى بشيخ كمثله
51. و ذا مثل للمدعين ومن يكن
52. فلا شيخ إلا من يخلص هالكا
53. ولا تسألن عن ذي المشائخ غير من
54. تصفح أحوال الرجال مجرّبا
55. فانعم بمصر ربّ الشيخ يافعا
56. فمكّة ذي خير البلاد فديتها
57. بها كعبتان: كعبة طاف حولها
58. وكعبة حجاج الجناب الذي سما
59. وشتان ما بين الحجيجين عندنا
60. عجت لباغي السير للجانب الذي
61. ويلقي إليه نفسه بفنائيه
62. فيلقى مناخ الجود والفضل واسعا
63. و يلقى رياضاً أزهرت بمعارف
64. ويلقى جنانا فوق فردوسها العلى
65. و يشرب كأساً صرفة من مدامه
66. فلا غول فيها ولا عنها نزفة
- على ظهر جردبل و من تحته حمر
- إذا ثار نقع الحرب و الجو مغبر
- وكل حماة الحي - من خوفهم - فرّوا
- أما من غيور خانني الصبر والذهر
- و لا كل كرّار عليّ إذا كرّوا
- وما كل صيّاح إذا صرصر الصقر
- وما كل من يدعى بعمره إذا مثله
- على قدم صدق - طيبا له خبر
- غريقا ينادي قد أحاط بي المكر
- له خبرة فاقت وما هو مغترّ
- وفي كل مصر بل و قطر له أمر
- وأكرم بقطر طار منه له ذكر
- فما طاولتها الشمس يوما ولا النسر
- حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر
- و جلّ فلا ركن لديه و لا حجر
- فهذا له ملك وهذا له أجر
- نقدّس ممّا لا يجدّ له السير
- بصدق تساوى - عنده - السر و الجهر
- ويلقى فراتا طاب نهلا فما القطر
- فيا حبذا المرأى ويا حبذا الزهر
- وما لجنّان الخلد إن عبّقت نشر
- فيا حبذا كأس ويا حبذا خمّر
- وليس لها برد وليس لها حرّ

67. و لا هو - بعد المزج - أصفر فاقع
68. معتقة من قبل كسرى مصونة
69. ولا شاتها زق ولا سار سائر
70. فلو نظر الأملاك ختم إنائها
71. ولو شمت الأعلام - في الدرس - ريحها
72. فيا بعدهم عنها ويا بئس ما رضوا
73. هي العلم كل العلم والمركز الذي
74. فلا عالم إلا خبير بشـريها
75. ولا غبن في الدنيا ولا من رزيئة
76. ولا خسر في الدنيا ولا هو خاسر
77. إذا زمزم الحادي بذكر صفاتها
78. وقال استقي خمراً و قل لي هي الخمر
79. وصرح بمن تهوى ودعني من الكنى
80. نرى سائقها كيف هامت عقولهم
81. وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم
82. وقالوا فمن يرجى من الكون غيرنا
83. تميد بهم كأس بما قد تولوها
84. حيارى فلا يدرون أين توجّها
85. فيطرهم برق تألق بالحـمى
86. ويسكرهم طيب النسيم إذا سرى
87. وتبكيهم ورق الحمائم في الدجى
88. بحزنٍ وتلحينٍ تجـاوبتا بما
89. وتسبيهم غزلان رامة إن بدت
- و لا هو - قبل المزج - قان ومحمـر
وما ضمها دنّ ولا نالها عصر
بأجملها كلا ولا نالها تجر
تخلّوا عن الأملاك طوعا ولا قهر
لما طاش عن صوب الصواب لها فكر
فقد صدّهم قصدٌ وسيرهم وزر
به كلّ علمٍ كلّ حينٍ له دور
ولا جاهلٌ إلا جهولٌ بها غرّ
سوى رجل عن نيلها حظّه نزر
سوى واله والكف من كأسها صفر
وصرح ما كنّى ونادى نأى الصبر
و لا تسقني سراً إذا أمكن الجهر
فلا خير في اللذات من دونها ستر
ونازلهم بسطّ وخامرهم سكر
وشمس الضحى - من تحت أقدامهم - عفر
فنحن ملوك الأرض لا البيض والحمـر
فليس لهم عرف وليس لهم نكـر
فليس لهم ذكرٌ وليس لهم فكر
ويرقصهم رعد بسـلجٍ له أزر
تظن بهم سحرا وليس بهم سحر
إذا ما بكت من ليس يدري لها وكر
تذوب له الأكباد والجلـمد الصخر
وأحداقها بيض وقامتها سمر

90. وفي شَمها حقا بذلنا نفوسنا
 91. وملنا عن الأوطان والأهل جملة
 92. ولا عن أصحباب الذوائب من غدت
 93. هجرنا لها الأحباب والصَّحب كلهم
 94. ولا ردنا عنها العوادي ولا العدا
 95. وفيها حلا لي الذل من بعد عزّة
 96. وذلك من فضل الإله و منه
 97. وقد أنعم الوهاب فضلا بشريها
 98. فقل للملوك الأرض أنتم وشأنكم
 99. خد الدنيا والأخرى أباغيهما معا
 100. جزى الله عنا شيخنا خير مل جزى
 101. أمولاي إني عبد نعمائك التّبي
 102. وصرت مليكاً بعد ما كنت سوقة
 103. أمولاي إني عبد بياك واقف
 104. فمر أمر مولى للعبيد فإنني
 105. هنيئاً لنا يا معشر الصّحب إننا
 106. فنحن بضوء الشمس والغير في دجى
 107. ولا غرو في هذا وقد قال ربّنا
 108. وغيم السّما مهما سما هان أمره
 109. ألا فاعلموا شكرا لمن جاد بالذي
 110. وصلوا على خير الورى خير مرسل
 111. عليه صلاة الله ما قال قائل
- فهان علينا كل شيء له قدر
 فلا قاصرات الطرف تشي ولا القصر
 ملاعبهم مني الترائب والنحر
 فما عاقنا زيد ولا راقنا بكر
 ولا هالنا قفر ولا راعنا بحر
 فيا حبذا هذا ولو بدءه مـر
 علي فما للفضل عدّ ولا حصر
 فله حمد دائم وله الشكر
 فقسمتكم ضئزى وقسمتنا كثر
 وهات لنا كأساً فهذا لنا وفـر
 به هاديا فالأجر منه هو الأجر
 بما صار لي كثر وفارقني الفقـر
 وساعدني سعد فحصبناؤنا در
 لفريضك محتاج لجودك مضطر
 أنا العبد ذاك العبد لا الخـادم الحر
 لنا حصن أمن ليس يطرقه ذعر
 وأعينهم عمي و آذانهم وقر
 تراهـم عيون ينظرون ولا بصر
 فليس يرى إلا لمن ساعد القدر
 هـدانا ومن نعمائه عمّنا اليسر
 وروح هداة الخلق حقاً وهـم ذر
 أمسعود جاء السعد والخير واليسر

ملحق (2): الانزياحات المفردة في محور الاستبدال.

تجدر الملاحظة أنّ هذه الانزياحات لا تشمل الانزياحات المركبة، بل المفردة فقط، وسنقيّم

بثلاث ملاحظات، قوة الانزياح حسب اتساع زاوية الخيال وهي:

- انزياح من الدرجة الأولى (إذا كان المدلول الثاني مساو للمدلول الأول والثالث).
- انزياح من الدرجة الثانية (إذا كان عدد المدلول الثاني نصف أو يقارب النصف ، للمدلول الأول والثالث).
- انزياح من الدرجة الثالثة (إذا غاب المدلول الثاني تماما، أو وجد بنسبة صغيرة للمدلولين الأول والثالث).

انزياح الدّوال المفردة في موضوع البشارة			
المدلول الثالث	المدلول الثاني	المدلول الأول	الدالّ
3	0	3	3

الجدول (14)

انزياح من الدرجة 3

انزياح الدّوال المفردة في موضوع وصف الليالي			
المدلول الثالث	المدلول الثاني	المدلول الأول	الدالّ
4	4	4	4

الجدول (15)

انزياح من الدرجة 1

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الاستغاثة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
3	3	3	3

الجدول (16)

انزياح من الدرجة 1

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الاستجابة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
1	1	0	1

الجدول (17)

انزياح من الدرجة 3

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الرّحلة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
3	3	3	2

الجدول (18)

انزياح من الدرجة 1

انزياح الدّوال المفردة في موضوع ملاقة الشّيخ			
الدّالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
4	4	1	4

الجدول (19)

انزياح من الدرجة 3

انزياح الدّوال المفردة في موضوع وصف الشّيخ			
الدّالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
4	4	3	4

الجدول (20)

انزياح من الدرجة 2

انزياح الدّوال المفردة في موضوع شمائل الشّيخ			
الدّالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
11	11	5	9

الجدول (21)

انزياح من الدرجة 3

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الأرض المقدّسة			
الدّالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
5	5	4	4

الجدول (22)

انزياح من الدرجة 2

انزياح الدّوال المفردة في موضوع الخمرة			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
4	4	1	4

الجدول (23)

انزياح من الدرجة 3

انزياح الدّوال المفردة في موضوع السّكّارى			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
7	7	1	6

الجدول (24)

انزياح من الدرجة 3

انزياح الدّوال المفردة في موضوع تهنئة الصّحب			
الدالّ	المدلول الأول	المدلول الثّاني	المدلول الثالث
5	5	0	5

الجدول (25)

انزياح من الدرجة 3

يمكن أن نلاحظ أنّ معظم الانزياحات من الدرجة الثالثة، أي الأكثر اتساعاً في زاوية الخيال، تتواجد في المواضيع التي يكون فيها الخطاب باللغة الصوفية البحتة، كموضوع الخمرة، السّكاري والحديث عن أوصاف وشمائل الشّيخ، وهذا جدول عددي ملخّص لها.

ملخص انزياح الدّوال المفردة في مواضيع القصيدة				
الدالّ	المدلول الأول		المدلول الثّاني	المدلول الثالث
55	55	20	20	20
		30	00	30
		05	05	00
المجموع	55		25	50

الجدول (26)

أذكر مرّة ثانية أن هذا الإحصاء إنّما هو للدّوال المفردة؛ أمّا المركّبة فهي في موضعها من البحث حسب تقسيم مواضيع القصيدة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية "ورش".

*المصادر والمراجع بالعربية.

1. إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، (ط6)، 1978م.
2. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، (ج2)، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (دط)، (دت).
3. ابن عربي، محيي الدين: - أ - ترجمان الأشواق، بيروت: دار بيروت، (دط)، 1981م.
4. - ب - الفتوحات المكية، (ضبطه وصحّحه، أحمد شمس الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط2)، 2006م.
5. ابن الفارض، عمر بن الحسين: - أ (الديوان)، شرح وتقديم. مهدي محمد ناصر الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.
6. - ب (الديوان، شرح الشيخين حسن البوريني وعبد الغني النابلسي، (ج1)، بيروت: دار التراث، (دط)، (دت).
7. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، مج6، ج12، القاهرة: دار المنار، (ط1)، 2001م.
8. ابن منظور، لسان العرب، مج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.
9. ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبطه على المخطوطة، يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، (دط)، 2001م.
10. أبو علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، (وضع حواشيه، مرسي محمد علي)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 2001م.
11. أبو الطيب المتنبي، الديوان، بيروت: دار الجيل، (دط)، (دت).
12. أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ط1)، 2007م.
13. أبو نواس، الديوان، (حققه وشرحه وفهرسه، سليم خليل قهوجي)، بيروت: دار الجيل، (ط جديدة)، 2003م.

14. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، (تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم)، بيروت: المكتبة العصرية، (ط1)، 2006م.
15. أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه (أحمد شمس الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية، (دط)، 2001.
16. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، 1998م.
17. أحمد العياشي سكيرج، كشف الحجاب، بيروت: المكتبة الشعبية، (الطبعة الأخيرة)، 1988م.
18. أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (دط)، 1994م.
19. أحمد رامي، رباعيات الخيام، القاهرة: دار الشروق، (ط1)، 2000م.
20. أحمد محمد المعنوق، الحصيلة اللغوية، الكويت: عالم المعرفة، (دط)، 1978م.
21. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، بيروت: دار القلم، (دط)، (د ت)،
22. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (ط2)، 2005م.
23. أحمد محمد ويس، الانزياح، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (ط1)، 2005م.
24. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (ط2)، 1982م.
25. الأمير عبد القادر، - أ) الديوان، (تح وشرح وتعليق، زكريا صيام)، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، (دط)، (دت)،
26. - ب) ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، (تحقيق ممدوح حقي)، دمشق: دار اليقظة العربية، (دط)، 1976م.
27. - ج) مذكرات الأمير عبد القادر، (تح محمد الصّغير بنّاني و آخرون)، الجزائر: شركة دار الأمانة، (ط2)، 1998م.

28. - (د) المواقف، ج(2/1)، (تح عبد الباقي مفتاح)، الجزائر: دار الهدى، (ط1)، 2005م.
29. - (هـ) نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، (تحقيق، محمد الصالح رمضان، محمد الأخضر السائحي)، الجزائر: مؤسسة الأمير عبد القادر، (ط2)، 2001م
30. أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية، عمان: مجد لاوي، (ط1)، 2202م
31. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، (ط5)، 1998م
32. بدیعة حسني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق، الجزائر: دار المعرفة، (دط)، (دت).
33. بوطران محمد الهادي، وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، بيروت: دار الكتاب الحديث، (دط)، 2008م.
34. بيير جيرو، الأسلوبية، (ترجمة منذر عياشي)، حلب: دار الحاسوب للطباعة، (ط2)، 1994م.
35. توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، القاهرة: مطبعة العمرانية للأوفست، (دط)، 1991م
36. جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري، دمشق: دار اليقظة العربية، (دط)، 1966م.
37. جون كوهن، - أ) النظرية الشعرية، ج1 (بناء لغة الشعر)، القاهرة: دار غريب، (ط4)، 1999م.
38. - ب) بنية اللغة الشعرية، (ترجمة محمد الولي ومحمد العمري)، المغرب: دار توبقال للنشر، (ط1)، 1986م.
39. حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، القاهرة: دار الفكر العربي، (دط)، 1998م
40. حسن ناظم. البنى الأسلوبية، بيروت: المركز الثقافي العربي، (ط1)، 2002م.

41. الحلاج، الديوان، (وضح حواشيه وعلق عليه محمد باسل عيون السود)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط2)، 2002.
42. الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، تلخيص المفتاح، (قرأه وكتب حواشيه وقدم له، ياسين الأيوبي)، بيروت: المكتبة العصرية، (ط1)، 2002م
43. رابع بن خوية، مقدمة في الأسلوبية، سكيكدة: مطبعة NIR، (ط1)، 2007م.
44. رابع بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، الجزائر: دار العلوم. (دط)، 2006م.
45. راجي الأسمر، علوم البلاغة، بيروت: دار الجيل، (دط)، 2005م.
46. رضوان الصادق الوهابي، الخطاب الشعري الصوفي والتأويل، الرباط: زاوية للفن والثقافة، (ط1)، 2007م.
47. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف، (تح) محمد مرسي عامر، (ج2)، القاهرة: دار المصحف، (ط2)، 1977م.
48. سعاد الحكيم. ابن عربي ومولد لغة جديدة، بيروت: دندرة للطباعة والنشر، (ط1)، 1991م.
49. سعد مصلوح، في النص الأدبي، (....): عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (ط1)، 1993م
50. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، (ترجمه وقدم له، أبو القاسم سعد الله)، تونس: الدار التونسية للنشر، (دط)، 1974م.
51. شفيق السيد، البحث البلاغي عند العرب، القاهرة: دار الفكر العربي، (ط2)، 1996م.
52. صلاح فضل: (أ - أ) - بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: عالم المعرفة، (دط)، 1990م.
53. (ب - علم الاسلوب، القاهرة: دار الشروق، (ط1)، 1968م.

54. عبد الباسط محمود، الغزل في شعر بشار بن برد دراسة أسلوبية، ليبيا: دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، (دط)، 2005م.
55. عبد الرحيم البرعي، الديوان، (اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي)، بيروت: دار المعرفة، (ط1)، 2007م.
56. عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، الكويت: مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، (دط)، 2000م.
57. عبد السلام المسدي: (أ -) - الأسلوب والأسلوبية، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب (دط)، 1977م.
58. (ب -) - في آليات النقد الأدبي، تونس: دار الجنوب، (دط)، 1994م.
59. عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، (ضبطه وعلق عليه، محمد عبد الخالق الزناتي)، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1)، 2001م.
60. عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط4)، 1998م.
61. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شكله وقدم له ياسين الأيوبي، بيروت: المكتبة العصرية، (دط)، 2003م.
62. فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، 1985م.
63. فان دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، (تر، وتقديم. أبو العيد دودو)، الجزائر: دار هومة، (دط)، 2003م.
64. فيلي سانديرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ت، د/خالد محمود جمعة، سوريا: دار الفكر، ط1، 2003م.
65. كمال الدين عبد الرزاق القشّاني، اصطلاحات الصّوفية، (تح)، محمد كمال ابراهيم جعفر، مصر: الهيئة المصرية للكتاب، (دط)، 1981م.
66. مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، دمشق: دار الكتاب العربي، (ط1)، 1997م.

67. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به أبو عبد الله، محمود بن الجميل، (ج3)، القاهرة: دار البيان الحديثة، (ط1)، 2003م.
68. محمد الحافظ، أحزاب و أورد، مصر: مطبعة الزاوية التجانية الكبرى، (ط2)، 1379هـ.
69. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي، بيروت: دار النهضة العربية، (دط)، (دت).
70. محمد سويس، أدب العلماء، تونس: الدار العربية للكتاب، (ط2)، 1985م.
71. محمد صلاح زكي أبو حميدة، البلاغة والأسلوبية، القاهرة: جامعة الأزهر. (دط)، 2007م.
72. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، (شرح وتعليق ممدوح حقي)، (ج2)، بيروت: دار اليقظة العربية، (ط2)، 1964م.
73. محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو، الإسكندرية: دار الدعوة، (ط1)، 1988م.
74. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، (ط1)، 1994م.
75. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، القاهرة: مكتبة غريب، (دط)، (دت).
76. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (ج2)، بيروت: دار الفكر، (دط)، 2001م.
77. محمد المصطفى عزّام، المصطلح الصوفي، الرباط: نداكوم للصحافة والطباعة، (ط1)، 2000م.
78. محمود السعران، علم اللغة، بيروت: دار النهضة العربية، (دط)، (دت).
79. مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالته، دمشق: مطابع وزارة الثقافة، (ط1)، 1998م.
80. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، الجزائر: دار هومة، (دط)، 1997م.
81. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر د/ محمد العمري، المغرب: أفريقيا الشرق، (دط)، 1999م.
82. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الكتاب التذكري، محي الدين بن عربي، مصر: المكتبة العربية، (دط) 1969م.

83. يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأردن: الأهلية للنشر و التوزيع، (ط 1)، 1997م.
84. يوسف زيدان،: (أ-) ابن عربي، الجليلي، شرح مشكلات الفتوحات المكية، القاهرة: دار الأمين، (ط1)، 1999م.
85. (ب-) - الطريق الصوفي، بيروت: دار الجيل، (ط 1)، 1991م.

*المذكرات الجامعية.

86. عبد الحفيظ مراح، (العدول في البلاغة العربية، مقارنة أسلوبية)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2006/2005م.
87. مشاركة حسين، (رمزية المكان في شعر ابن الفارض)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2009/2008م.

*الدوريات.

88. قويدر قيداري، مجلة، (الأثر) دلالاتية مصطلح السماع في الفكر الصوفي، جامعة ورقلة، العدد الثالث، ماي: 2004م.
89. عبد الخالق رشيد، مجلة، (دراسات أدبية)، العدول الصوّتي وتناسب آي الذكر الحكيم، دورية فصلية محكمة، تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلّمية، العدد الثّاني، جانفي 2008م.

*المراجع الأجنبية.

90. Bruno étienne, Abdelkader, isthme des isthmes, Paris, hachette littératures , 2003.

91. Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale
.Bejaïa: Talantikit.2002.

الرقم	فهرس الجداول	الصفحة
1	مصطلحات الانزياح	24
2	حذف المسند إليه في الجملة الاسمية	72
3	حذف المسند في الجملة الاسمية	76
4	الحذف الجملة الفعلية	83
5	تقديم المسند جار ومجرور (المجرور ظرف)	87
6	تقديم المسند جار ومجرور (المجرور اسم ظاهر)	89
7	تقديم المسند على اسم الناسخ	91
8	تقديم المفعول (جار ومجرور)	95
9	الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية	102
10	الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية	107
11	ملخص مواضع الاعتراضات	109
12	نسب انتشار المواضيع في القصيدة	123
13	تمثيل لعمليتي الاختيار والتركيب	130
14	انزياح الدوال المفردة في موضوع البشارة	139
15	انزياح الدوال المفردة في موضوع وصف الليالي	141
16	انزياح الدوال المفردة في موضوع الاستغاثة	143
17	انزياح الدوال المفردة في موضوع الاستجابة	143
18	انزياح الدوال المفردة في موضوع الرحلة	145
19	انزياح الدوال المفردة في موضوع ملاقات الشيخ	146
20	انزياح الدوال المفردة في موضوع وصف الشيخ	148
21	انزياح الدوال المفردة في موضوع شمائل الشيخ	152
22	انزياح الدوال المفردة في موضوع الأرض المقدسة	154
23	انزياح الدوال المفردة في موضوع الخمرة	157
24	انزياح الدوال المفردة في موضوع السكارى	162
25	انزياح الدوال المفردة في موضوع تهنته الصّحب	165
26	ملخص انزياح الدوال المفردة في القصيدة	166
27	نماذج من استعمال حقل الفروسية	177
28	نماذج من استعمال حقل الطّبيعة والبداءة	181
29	نماذج من استعمال حقل أعضاء الجسم ومتعلقاته	182

فهرس الأشكال		
الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
1	مخطط عتبات البحث	15
2	عناصر الرسالة العادية والصوفية	33
3	تمثيل الانزياح السياقي	48
4	تمثيل سوسير للحقل الدلالي	53
5	تمايز للاختار الصوفي وغيره	54
9/8/7/6	تمثيل لعمليات الحذف و الاستبدال	67/65
10	تمثيل لعملية اختيار اللفظ	74
11	تمثيل للميزان الإيقاعي	101
12	تمثيل للانزياح في السياق	114
13	تمثيل للاتفاتات المركبة	120
14	تمثيل للاتفات في الأفعال	122
15	مخطط بياني لتباين انتشار المواضيع في القصيدة	124
16	مخطط لتشكيل مواضيع القصيدة	128
17	مخطط المدلولات (3-2-1)	135
18	مخطط لتوضيح زاوية الخيال	135
19	ثولد التناس من تداخل الانزياح والحقول الدلالية	183

فهرس المواضيع

الصفحة	العنوان
	• الاهداء
ز - م	• المقدمة
62-14	• الفصل التمهيدي: عتبات البحث
15	- مدخل
16	• ترجمة الأمير عبد القادر
24	• مفهوم الانزياح.
25	- الانزياح لغة
25	- الانزياح اصطلاحا
27	- مستويات دراسة الانزياح
30	- تميز الانزياحات الصوفية عن غيرها
37	• الانزياح على مستوى محور التركيب.
38	- الحذف
41	- التقديم والتأخير
45	- الاعتراض
47	- السياق
50	• الانزياح على مستوى محور الاستبدال.
52	- نظرية الحقول الدلالية
56	- المجاز
57	- الانزياح في الأساليب
128 - 63	الفصل الأول: الانزياحات التركيبية في رائية الأمير
64	- مدخل
67	• الحذف
68	- الحذف في الجملة الاسمية.

78	- الحذف في الجملة الفعلية.
84	● التقديم والتأخير.
85	- التقديم الجملة الاسمية.
92	- التقديم في الجملة الفعلية.
97	● الاعتراض.
97	- الاعتراض بين عناصر الجملة الاسمية.
102	- الاعتراض بين عناصر الجملة الفعلية.
110	● السياق.
110	- الانزياح في استعمال العدد ، الضمائر، الأفعال.
123	- التحول بين المواضيع.
129 - 193	الفصل الثاني: الانزياحات الاستبدالية في رائية الأمير
131	- مدخل،
132	● الاستعارة وتغيّر المدلولات
138	● انزياح الدّوال في مواضيع القصيدة.
166	● الانزياحات في الأساليب
175	● الحقول الدلالية:
183	● التّناس.
184	- من القران الكريم.
188	- من الشعر الصّوفي.
194	- الخاتمة
200	- ملخص بالّغة الانجليزية
201 - 210	- ملحق (1) و(2) رائية الأمير - ملخص الجداول
211	- قائمة المصادر والمراجع
220	- فهرس الجداول و الأشكال
222	- فهرس المواضيع